

في سجن آمد "ديار بكر" غادرت الحمام أعشاشها

إبراهيم غوروز
مذكرات

ترجمة: ريبير هبون





في سجن ديار بكر (آمد)... غادرت الحمام أعشاشها

*إبراهيم غوروز

ترجمة للعربية عن الكوردية
ريبر هيون



مُذَكَّرَاتُ

في سجن ديار بكر (آمد)... غادرت الحمام أعشاشها
إبراهيم غوروز
ترجمة: ريبير هبون
منشورات تجمع المعرفيين الأحرار

reber.hebun@gmail.com
رقم التسلسل: 103 - 24.06.2026

ISBN: 978-625-95383-7-2
تجمع المعرفيين الأحرار

Whatsapp: 004915750867809

<https://reberhebun.wordpress.com/>

<https://kulturforumdusseldorf.wordpress.com/>

تصميم الغلاف : ريبير هبون

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نسخ الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر، أي تقليد أو اقتباس يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.



في سجن ديار بكر (آمد)... غادرت الحمامم أعشاشها

مقدمة المترجم:

الكتاب بعنوان “في سجن آمد: غادرت الحمام أعشاشها” وهو كتاب أعده المناضل الكوردي ابراهيم غوروز وكتبه بالتركية وترجمه للكردية فيما بعد الكاتب خضر أوسو فقامت بدوري بتلقف النسخة الكوردية وترجمتها للعربية، ويأتي في شكل مذكرات لمعتقل سياسي قضى 15 سنة داخل سجن آمد، المعروف بشدة الانتهاكات والجرائم التي ارتكبت داخله بحق السجناء السياسيين.

الكاتب ابراهيم غوروز، وهو أحد الكوادر السابقين في صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني في شمال كردستان، يعرض تجربته الشخصية مع الاعتقال، لكنه يتجاوز السيرة الفردية ليقدم قراءة لمرحلة سياسية مضطربة.

النص يغوص في ذاكرة الشباب الأولى للكاتب، حيث تتشكل ملامح التمرد والغليان، وتبرز أفكار الاستقلال الكوردي كحلم مركزي يطبع تلك المرحلة.

الكتاب لا يقتصر على السرد الذاتي، بل يتحول إلى شهادة تاريخية لمرحلة شديدة الاضطراب في تركيا، خصوصاً في العقود الممتدة من نهاية السبعينيات من القرن العشرين وحتى ما قبل أواخر الثمانينيات.

خلال تلك الفترة، كانت المنطقة بأكملها تعيش حالة صراع مفتوح بين الأحزاب المناوئة لأنظمة الدولة من جهة، والحركات المعارضة والمنتازعة فيما بينها إيديولوجياً من جهة وقوى مختلفة التوجهات قومية ويسارية وشيوعية من جهة أخرى، في كل من تركيا وسوريا والعراق وإيران. هذا التداخل بين الصراع الداخلي لكل دولة والتنافس الإيديولوجي بين الأحزاب خلق بيئة سياسية مشحونة، اتسمت بالعنف، وإعادة تشكيل موازين القوى، وتداخل المشاريع السياسية.

الكتاب في جوهره يوثق مرحلة تاريخية من منظور معتقل سياسي، ويكشف طبيعة الصراع بين السلطة والحركات المعارضة، كما يعكس تجربة سجن تُعد من أكثر التجارب قسوة في تاريخ الاعتقال السياسي في المنطقة.

ينتمي الكاتب إبراهيم غوروز إلى صفوف الحزب الديمقراطي الكردستاني في شمال كردستان، دون أن يتبوأ موقعاً قيادياً، وتقتصر تجربته الكتابية في هذا العمل الذي خرج من رحم الاعتقال نفسه، بوصفه مذكرات شخصية لا عملاً أدبياً

لا يتبع الكتاب حبكة سردية منظمة، بل يقوم على استرجاع منقطع للذاكرة، يبدأ من لحظة الاعتقال وما سبقها من أحداث سياسية وشخصية خارج السجن، حيث تتداخل التجربة الفردية مع سياقها العام. ويعتمد السرد على أسلوب وصفي وتحليلي، ينتقل بين الوقائع والانطباعات وكذلك نجد بعض من كلمات

انطباعية من قبل أصدقائه سواء المعتقلين أو القراء في نهاية الكتاب.

يركز النص على العلاقة بين السجناء أنفسهم، وعلى أنماط التعذيب التي مارسها السجنانون، إضافة إلى تصوير رمزي لملامح الإنسان المعتقل، وما يتعرض له من ضغط نفسي وجسدي. وفي المقابل، يبرز عنصر مقاومة داخلي مستمر، لم تتمكن إدارة السجن من كسره، رغم شدة القمع.

عالم المعتقل هو انعكاس للخارج بما يحمل من انكسارات مجتمعية سياسية وإيديولوجية، ويكشف عن عجز بنيوي للدولة التركية الشمولية العنصرية تلك التي لا تعترف بوجود أعراق أخرى أصيلة سوى العرق التركي وهو أصل المعضلة التي تقف عثرة في سبيل تقدم تلك الدولة وتحررها من الماضي المثخن بالجراحات والتصدعات المجتمعية، بقاء المسألة الكردية بلا حل والتعامل معها كمعضلة أمن قومي .

كما يسلط الكتاب الضوء على جانب آخر من المنظومة داخل السجن، يتمثل في صمت بعض العاملين، بمن فيهم أطباء السجن، وتواطؤهم في أحيان كثيرة مع السلطة لإخفاء آثار الانتهاكات وطمس حقيقتها .

ولا يكتب المؤلف بوصفه كاتباً محترفاً، بل بوصفه شاهداً دفعته الحالة النفسية والصدمة الوجودية إلى تدوين التجربة. فالكتابة هنا محاولة لاستعادة الاعتبار لتلك المرحلة، وتثبيت معنى المقاومة داخل السجن، وفي الوقت نفسه وسيلة لتحقيق قدر

من التوازن الداخلي، وإيصال رسائل إلى القارئ والأجيال اللاحقة.

يأتي هذا العمل بوصفه شهادة توثيقية أكثر من كونه نصاً أدبياً، تسعى إلى حفظ ذاكرة مرحلة سياسية مضطربة شهدتها المنطقة.

حاولت بترجمتي من الكوردية للعربية نقل النص بإحساسه وعفويته وقسوته ليلاص العوالم الداخلية للمتلقى، بكل ما يحمله من حرارة وتوتر وانفعال.

حيث للسجن آثاره الباقية على النفس حتى لو خرج المرء كجسد فيزيائي من بين القضبان، لكن زواياه وشحوب جدرانه وصراخ من فيه لا يغيب أو يبارح السجين بل يظل مستقراً فيه، إذ لا ينتهي باعتباره مكاناً مادياً مغلقاً، بل يستمر كحالة نفسية وذاكرة قسرية تلاحق السجين خارج أسواره. فالتجربة هنا لا تُغلق بانتهاء الحكم، بل تبقى كصدى متكرر للألم والذاكرة والانكسار، يعيد تشكيل علاقة الفرد بذاته وبالعالم من حوله.

وفي حالة إبراهيم غوروز، تتخذ هذه الفكرة بعداً أكثر حدة، إذ أن دخوله السجن جاء في مرحلة مبكرة من حياته، مباشرة بعد انتهاء سن الطفولة القانوني، ليقضي داخله خمسة عشر عاماً كاملة وستة شهور و سبعة عشرة يوماً يخرج منها وهو في الرابع والثلاثين من عمره هذا التداخل بين بداية تشكل الوعي السياسي وبداية الاعتقال الطويل يجعل من التجربة تجربة تأسيس قسري للذات داخل فضاء مغلق، حيث تتحدد الهوية عبر السجن نفسه، لا خارجه.

وبذلك يصبح الخروج من السجن، وفق منطق هذه الشهادة، لا يعني الانفصال عنه، بل استمرار حضوره في الذاكرة والسلوك والانفعالات، كأثر ممتد يتجاوز الزمن الفيزيائي للاعتقال.

السجن حوى 2500 معتقل كوردي حسب قوله، وقد كتب ابراهيم غوروز بكل شفافية بعيدة عن التحزب والأدلجة، راح يعري الأشياء ويسمى الأسماء بمسمياتها، انتقد بعض المعتقلين الذين كتبوا مذكراتهم بشكل مودلج وهمهم هنا استرضاء حزبهم والنيل حتى في هذا الموضوع من نضالات الأفراد المنتمين للأحزاب الأخرى، ففي عدة مواضع كرر انتقاده واحتقاره لهذه الفئة من المعتقلين باعتبارهم مشوهين للحقيقة وجزء من منطق فرق تسد الذي فرضه المحتل التركي لشمال كردستان.

وهنا أبدو عاجزاً عن اجترار ختام لمقدمة وأبدو بالفعل أمام سرب من الدموع العنيدة الرافضة الخروج من الأحداق، إني أفكر بالأب الذي يتعذب أمام ابنه دون أن يستطيع الإبن ان يفعل حياله شيئاً وبلحظة تعذيب ابن أمام أبيه دون أن يجرؤ الأب على أن ينبس ببنت شفة حيال صراخ الإبن، وعن أم تموت وأمنيته أن تر ولدها أو عن أب فارق الحياة على وقع أمنية أن يجد ابنه بالقرب منه قبل الرحيل الأخير، ملامح كل معتقل وكل جدار في السجن حكاية وجع كوردستانية تخبر بالكثير ويبقى لسان حال ابراهيم غوروز وكل معتقل مثله يقول أن ما زال ثمة الكثير مما لم يقال وما تجسد هنا ليس سوى نذراً يسيراً مما حدث وكلّي أمل أن تدرك هذه الشعوب حاضرها ولا تعيد تفريخ سلطة ظالمة من بين ظهرانيها تفسد في الحياة وتحيل الخضر

إلى يباب ، فهل من ماضٍ للمستقبل بأقدام واثقة تنشد العدل
والحرية والديمقراطية!؟.

ريبر هبون

مقدمة شفيق جولاق عن الكتاب

منذ ثمان سنوات عندما درست في أمريكا، وصلتني رسالة من صديق، لم يكن بيني وبينه أي رباط يتعلق بالود والتقدير، حيث كنا أنا وإياه مختلفين تماماً في الرأي ولاسيما سياسياً، حيث افتتح رسالته بالانتقاد لنفسه ولمن سبقه، وهنا كان من المفيد أن أضع نبذة عما ورد في رسالته:

"منذ أيام الدراسة لم نكن نحبك، بسبب ما كنت تقول له لنا ، إذ كنا نعتبرك خائناً للوطن، شعب لم يكن بمقياسنا كنت أنت تقرّ بوجوده، كنا نراك كشخص عبثاً على وطننا وشعبنا ، وكنا نشعر بالعار عندما نتواجد بمكان تكون أنت فيه، وأحياناً لم تكن موجوداً، تمنينا حينذاك أن تكون في قبضة أبطالنا من قوى الأمن، كانت تلك الأمنية مبعث سعادتنا.

بعد أن أتيت إلى أمريكا، أثناء مقامي هناك ، اطلعت على الكثير من الحقائق المغايرة، وما تلقفته جعلني أقف مذهولاً، تعرفت على مدى الظلم والبطش الذي وقع على الكورد من قبل ذوي الجلود الحمراء الذين هم آبائي وأجدادي في واقع الأمر، لكم شعرت بالعار للظلم الذي ألحقه الآباء والأجداد بحق الكورد فقد كانوا يتصورون على درجة من الشجاعة والعدل، لقد ارتكبوا الموبقات الجسام والمني ذلك، عوضاً من أن أخجل من وجودك وجب أن نخجل نحن من سلفنا، فبدلاً من أن نحاسبهم على ما اقترفوه من مظالم بحق الشعوب المضطهدة ، أوغلنا أكثر في

المضي نحو ارتكاب المزيد من الظلم، أصبحت أرى المناضلين الكورد أشخاصاً وطنيين بعدما كنت أراهم خونة، وآمل من مواطنينا أن يروهم كذلك كما أرى، ونعيش كجيران جيدين، وأعتذر لك ولشعبك بالنيابة عني وعن شعبي وموضع فخري أنني صديق للمناضلين الكورد.

آمل أن تتحقق أمنية ذلك الصديق في أقرب وقت، عندما يعي الكورد جيداً تاريخهم ويمارسوا العمل السياسي بمقتضى ذلك.

ربما لا يعي كم العذابات والمظالم التي لا يتصورها عقل إزاء الكورد سوى من عاصر آخر قرنين من تلك الحقبة الحديثة بخاصة ممن تم الزج بهم في السجون، ولا يجب أن تنتسى من تاريخ ذاكرة الإنسانية.

يعد معتقل ديار بكر (آمد) رقم 5 أحد المعتقلات الأكثر شناعة على الإطلاق، فعندما سمع بها عزيز نيسن، نطق قائلاً :
 " اعتقدت أنني وافر الخيال إلا أنني عندما سمعتم أيقنت أن الكورد أكثر امتهاناً في التعبير مني."
 فما رواه المسجونون عما لحق بهم فاق كل وصف أو إدراك!.

لم يروي ابراهيم غوروز تفاصيل تلك العذابات، إلا بما يتعلق بتجاربه وما رآه هناك.

يكتب عن مواقفه وأصدقائه ويقدم اعترافاته كمن يحاكم نفسه وجدانياً وعلى نحو عميق.

لقد عمل المحتل دوماً على تمزيق الكورد وتشتيتهم ودق الأسافين فيما بينهم، الأمر الذي أضعفهم، واستطاع أن يسوق منهم تابعيناً وعبداً.

في هذا الكتاب نصطدم ببعض تلك الأمثلة، فعندما يعي الكورد هؤلاء الساعين للخيانة ويحبطوا ذلك من خلال الوحدة والمحبة فسيستخلصون حتماً الدروس والعبر من هذا النضال والصمود الذي أثبتته مقاومة السجون.

اللافت في هذا الكتاب ذكره للمتطوعين الذين أرادوا أن يدفعوا عن رفاقهم التعذيب والأذى وذلك بأن تقدموا للجلاد بالنيابة عنهم.

لقد تم تأليف الكثير من الكتب عن ذلك السجن رقم خمسة، بيد أن الكاتب راح يذكر لنا بعضاً من الأسماء التي قضت في ذلك الجناح بوضوح وجلاء، ونحن نعلم أن ثمة الكثير ممن لم يُذكروا في الكتب لقيوا حتوفهم بصمت إلى جانب الأسماء المذكورة، وهم جميعهم موضع فخر وتقدير لعامة الشعب الكوردي.

الآلام والعذابات التي تم عيشها أكثر بكثير ممن تم توثيقها أو الكتابة عنها، خاصة في ذلك الجناح رقم 5 وينبغي من جميع الكتّاب أكاديميين كانوا أم باحثين في الشأن الاجتماعي، النفسي، السياسي والمعرفي أن يوقفوا حول ذلك سواء في جنوب كوردستان أم في غربها وينبغي أن توثق تلك القضايا في المعاهد ومراكز الأبحاث وكذلك الجامعات.

من خلال قراءة هذا الكتاب يمكن استخلاص الكثير من
الدراسات والتحليلات التي لا تحصى، لتكون بديلاً موضوعياً
وحقيقياً عن عديد من الدراسات المنغلقة التي يزيّفها المحتل
بشأن الكورد حيث يراهم خطراً وجودياً عليه بمعزل عن
اتجاهاتهم.

شفيق جولاك

08.12.2023

لماذا معتقل رقم 5 في ديار بكر (آمد)؟!؟

المعتقلات هي أماكن تبنّيها الدولة كوسيلة لإعادة التأهيل وكسر
الإرادات، ظلت بمثابة ميادين حرب غير مرئية ، تقيمها الدول

عبر التاريخ ، عدا من يدخلها لأسباب جنائية، فالسجناء الرأي
 حصّة من هذه السجون والتي تستخدم فيها مختلف وسائل
 التعذيب ، حيث أقيمت تلك السجون في أماكن تواجد الشعوب
 الخاضعة للأمبراطوريات كالبيزنطية والعثمانية وأخيراً
 الجمهورية التركية الحديثة فكانوا في حالة من الحرب بغية
 كسر شوكة تلك الشعوب الأصلية وعلى جغرافياهم وأماكن
 سكنهم، وذلك ظل بمثابة إرث مستحدث للدولة التركية الحالية.

حرصت الدول على أن تكون تلك المعتقلات بعيدة عن الناس
 والرأي العام حتى لا يعلم أحد ما يجري من مظالم وانتهاكات
 بحق السجناء، فكانت بمثابة ساحة حرب تتم في الخفاء إلا أن
 العثمانيين والدولة التركية لم تأبهان لذلك العرف المعتاد.

ارتكبت الدول الغربية بحق معارضيتها في الداخل الكثير من
 الانتهاكات، وأقامت العديد من المعتقلات في الدول التي
 احتلتها، إلا أنها أنشئت سجوناً بعيدة عن أراضيها بحق
 الشعوب التي أعلنت الانتفاض ضدها، ولم تستهدف عوائل
 الأفراد المقاومين لها ولم يحملوهم تبعات خروج أبناءها
 ضدهم، فقد كانوا يتعرضون للاعتداء بمعزل عنهم.

إلا أنه في كردستان بصورة خاصة قام الأتراك باستهداف
 عوائل السجناء أصدقائهم وأقاربهم، كي يتقاسموا معهم ذات
 الألم والترهيب والقمع، أردوا من الشعب الكردي أن يذعن
 لهم، خاصة في المانتى عام الأخيرة، حيث ارتكب المحتل
 التركي سياسة ترهيبية شديدة الفظاعة في كردستان، فأنشئت
 سجونها في المناطق الكردية المأهولة بالسكان.

ولكي ندرك سبب إقامة سجن رقم خمسة في مدينة ديار بكر علينا مراجعة التاريخ إذ دون الاسترشاد بالتاريخ لا يمكننا فهم نية المحتل الحقيقية وسنقع في القصور والمثالب، التي ستضيع مقاومتنا وتفقدنا جدواها.

بعد بروز الانتفاضات الكردية سعت السلطنة العثمانية وكذلك الدولة التركية فيما بعد لسلوك نهج القمع المركز والعلي بحق الكورد ، الذين ينتفضون ضدها وكذلك عوائلهم آباء وأمهاتاً ، فكانت تظهر تلك الفظائع أمام الكورد كافة، على عكس القوميات الأخرى والتي كانت تخفي عن بعض شرائحها الاجتماعية ما تفعله بحق الأخرى، فإخافة الكورد قاطبة كانت بمثابة تحذير عام من مغبة الوقوف بوجه سلطتها، ولم تتغير تلك السياسة على الرغم من التطور التكنولوجي، ظل التعامل الأمني الحاد ضد الكورد هو الثابت في سياستها.

في عام 1946 عند إعلان جمهورية مهاباد، قام الكورد في إدارة شؤونهم بأنفسهم مدة 11 شهراً وبتحالف من القوى المعادية و الدولة الإيرانية قامت الأخيرة وباستخدام الأسلحة الثقيلة بمهاجمة الجمهورية الوليدة حديثاً وقامت باحتلال كوردستان مجدداً، وتم اعتقال قادة الجمهورية وفي مقدمتهم بيشاوا قاضي محمد وأفضى ذلك إلى إعدامهم في ساحة "جارجرا".

الدولة الملكية في إيران أقدمت على ذلك الفعل في وسط المدينة ليأخذ الناس من ذلك العبرة، إلا أن الدولة التركية وقبلها العثمانية اعتادت على إعدام القادة الكورد حتى سنة 1940 كما

فعلت إيران تالياً، بزعمهم أن في ذلك الفعل تأديباً وتحذيراً
للكورد من مغبة المضي في طريق الحرية وطلب الاستقلال،
لهذا فإن بناء المعتقلات في المدن الكوردية في غاية من
الأهمية بالنسبة لهم، فعبّر التاريخ كانت هنالك معتقلات إن في
ديار بكر أو أغري أو خاربیت، للإمعان في الأذى والتضييق
على الشعب، و الانتقام من كل صوت يطالب بالحرية داخل تلك
السجون والزنازين.

لماذا آمد على وجه الخصوص؟

كون الكثير من الأحزاب الكوردستانية اتخذت من مدينة ديار
بكر (آمد) عاصمة لنشاطها وكانت مقراتها هناك فقد أقدمت
تركيا كما إيران على مناهضة الحراك الكوردستاني القومي،
حيث تعد مساحة معتقل ديار بكر الجناح رقم 5 حوالي 46.000
متر مربع، حدثت الانقلابات العسكرية بمقدار ازدياد سوء
الأوضاع السياسية والاقتصادية في تركيا ، الأمر الذي جعل
نظامها يزداد ضعفاً وبعد انقلاب 12 أيلول 1980 قامت بإنشاء
السجون لغرض حماية النظام وقمع الخصوم السياسيين وزجهم
في تلك الأقبية.

كيف اعتقلنا في 12 أيلول؟

في 12 أيلول أقدم بعض من عناصر الجيش بانقلاب عسكري
وتمت حيازة السلطة على إثره، والهدف التالي بعد نجاح
الانقلاب هو قمع الحركة القومية الكوردية، ولم يكن الهدف

ضرب حركة التحرر القومي فحسب وإنما استهداف الشعور والفكر التحرري بغية استرضاء الشعب التركي، حيث قام اليمينيون باستهداف اليساريين وأطفالهم قاطبة وزجهم في السجون، ومورس بحقهم التنكيل إلا أن ذلك لا يقارن بفضاعة التعذيب الذي مارسوه بحق الكورد على وجه الخصوص، حيث فاق كل تصور، وحشيتهم اضطرتهم لإخفاء ذلك عن الرأي العام الدولي، حيث مهد الانقلابيون قبيل نجاح انقلابهم لدق الأسافين الايديولوجية والمذهبية بين شرائح المجتمعات، وكانت أن حدثت مجازر هنا وهناك بفعل تخطيطهم، ولم يعطوا أي مجال ليمارس سواهم أي نشاط، الأمر الذي لم ينجح فيه أحد في التصدي لهم.

ضعف التجربة وفقدان الثقة وقلة التعمق في التاريخ كان من أسباب انكسار الحركة القومية الكوردية، حيث تم دفع ثمن باهظ إزاء ذلك، ومع ذلك فقد برز الصمود والتحدي من قبل المساجين وكافة المعتقلين ليواجهوا آلة القمع الهوجاء ببسالة.

ولم يكن ثمة فرق بين إقدامنا وثبات الآباء والأجداد، فقد كان الهدف واحد وهو بلوغ الحرية والاستقلال، لحماية الهوية، اللغة، الثقافة والتاريخ الممنوع عن تداوله وبغية استعادة كل تلك الأشياء كان النضال التحرري هو الخيار الأوحد.

لم تتمكن الحركة الكوردية على الرغم من تعاضدها حينذاك بمد أواصر العلاقات بين المتعاطفين معها سواء في الداخل أو الخارج وهذا أدى لتشرذمها، وقد تمكن المحتل بزرع الشقاق والانقسام داخلها، من خلال دس مؤامراتها داخل تلك الأحزاب،

لهذا لم يكن ذلك النضال إلا محفوفاً بالهلاك والمخاطر الجسيمة

.

لقد اعتقلت في 12 أيلول سنة 1980 أغلقوا ما حول بيتنا ،ولقد تم اعتقالني كوني كنت في البيت بينما جاري الذي لم يكن حينها في منزله فقد تمكن من النجاة، إلا أنهم اعتقلوا شقيقه خليل يشين بدلاً عنه، أخذونا معاً إلى ثكنة ماردين، وقبل أن يستجوبونا قاموا بضربنا بأخمص بندقياتهم من عيار

G-3

إلى جانب ركلهم لنا بأقدامهم، كان قلبي يحترق على الأستاذ خليل قالوا له:
- أين شقيقك؟

أجاب:

- أقسم بالله والنبي لا علم لي عن مكانه، لم يخبرني.

لم يجلبوا خليل يشين فحسب ويقوموا بتعذيبه بل أخذوا عدة رفاق وكذلك أفراد من كزوجة صديقي خضر يغيت وابنه ذو التسعة أشهر اعتقلوهم ولم يجيدوا نطق كلمة بالتركية.

بقيت 35 يوماً قيد الاستجواب، نلت تعذيباً لم أتصوره، في ذلك المكان الذي تعرض فيه الآلاف من الكورد للتعذيب الوحشي، ولعل مشاهدتي لما نال الآخرين من بطش كان أقسى بالنسبة لي لما تجرعتة هناك ، بعد ذلك أخذوني للقاضي العسكري في آمد ، حيث تم النطق بمدة محكوميتي دون أن يستنطقوني أو

أقدم لو إفادة للمحكمة و بموجب ذلك تم نقلي إلى المعتقل
العسكري

E-NO5.

من تواجد في معتقل رقم 5؟

قبل التحدث عن الوحشية المتبعة أود هنا الحديث عن المعتقلين
التابعين للأحزاب وعلاقتهم ببعضهم بعضاً.

الحزب الديمقراطي الكردستاني في تركيا، الجمعية الثقافية
الديمقراطية الثورية، الأحرار القوميين الكردستانيين، جيش
العمال وقروبي تركيا، طريق الثورة، الحزب الشيوعي التركي،
وحزب العمل الشيوعي، قسم من اليساريين الأتراك سجنوا إلى
جانب التنظيمات الكردية، لكن أكثر من 95 بالمائة أعضاء
في التنظيمات الكردستانية، كانت تلك الأحزاب إلى جانب
اهتمامها بحل القضية الكردية تتعصب للخط الايديولوجي
المؤيد للاتحاد السوفيتي أو الماوية الصينية كان ذلك على
حساب الفكر القومي بل راحت تنقسم فيما بينها وتنتهي
بالخلافات الايديولوجية مما أضر ذلك بالقضية الكردية وصب
في منفعة السلطة التركية، فلو اهتمنا حينذاك بالقومية
الكردية وعقدنا العزم على الاتحاد لما صرنا على قدر من
الضعف والهشاشة.

التعصب الحزبياتي الايديولوجي كان سبباً للانقسام والتبعثر
داخل حركة التحرر القومي الكردستانية وهذا مهد الطريق
للتباغض ، الخيانة والافتتال بين تلك القوى.

تأثير التنافر والتناقضات ما بين التنظيمات في المعتقل:

منذ أن تأسس حزب العمال الكردستاني قرر تصفية الأحزاب الأخرى المختلفة معها في الإيديولوجيا والرؤية، فقد رأت في وجودها تهديداً لبقائها، فوضعتها بمقام العدو، فكل من يختلف معها في الخط أو يخرج عنها فإن مصيره هو الموت.

عدا حزب العمال الكردستاني لم يخرج حزب على شاكلته يحتكر المشهد بهذا الأسلوب، بعض التنظيمات أحياناً كانت تقع في الأخطاء لكنها لم تصل لدرجة أن تتسبب بأذى قريناتها بشكل عنيف.

لم تكن لأعضاء مختلف التنظيمات الكردية في المعتقل وبما فيها مناصري حزب العمال الكردستاني أي سبب أو عائق لتكوين موقف واحد إزاء الممارسات الوحشية التي يتعرضون لها في السجن، كل تناقضات العمال الكردستاني والأحزاب الكردية تم طويها في المعتقل، فالتعذيب المطبق بحق الكل وحّد الكل، ولم يحني أحد رأسه للجلاد، فلو عشنا حالة التوحيد تلك قبل أن ندخل السجن لما وصلنا إلى ما نحن عليه ولكان لكفاحنا صدى وتأثيراً كبيرين.

عمل الحزب الديمقراطي الكردستاني كمؤمن بالحقوق القومية الكردية ووقف بالضد من أي انقسام يعصف بالبيت الكردي أو يقوّض عمل الأحزاب الكردية الساعية للحرية وقد وقف بالضد من النهج التصفوي الذي كانت يعمل عليه حزب العمال الكردستاني مستهدفاً التنظيمات الكردية وكذلك الأفراد، فقد أظهرت تنديده لذلك، وكذلك دفاعه عن نفسه وبلا ريب فإن ذلك

كان له تأثيراً سلبياً على الأجيال الناشئة ، ذلك أن الشدة والتطرف اللذين أبداهما حزب العمال الكردستاني سببا الأوجاع الكثيرة لعموم المجتمع الكردستاني.

وقد كان ذلك الاحتراب الداخلي الذي أمعن الحزب في تعميقه وبأمر من قيادة الحزب وتخطيط من قبله والذي أشار إليه محمد سليم جوروكايا في معرض برنامجه المسمى تاريخ حزب العمال الكردستاني، والذي قُتل على إثره جتين غونغور نظراً لمحاولته وقف ذلك الاحتراب، وذلك وفق قول القيادي القديم في الحزب شكرو غولموش :

قرر أوجلان ودوران كالكان باستئناف تصفية كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني وفق رواية عضوه حسين كابلان معبراً عن كيفية اعداد الحزب لخطط التصفية حيث أشرك الحزب عدداً من الوطنيين الذين لم يكن لهم علم مسبق بما يجري في الحقيقة، وبذلك فإنهم تورطوا في تصفية كوادر التنظيمات الكردية في شمال كردستان، بغية إنهاء أي نشاط حزبي كوردي خارجها، وكذلك لتصفية كل من يخرج عن الحزب، فقد أشاع بأن كافة الأحزاب السياسية الكردية هدف وجودها مسخر لشيء واحد وهي إنهاء حزب العمال الكردستاني.

ولم يكن أمام تلك الأحزاب سوى أن تدافع عن نفسها إزاء قرار تصفيته.

وقد آمنا كحزب أن الاحتراب العشائري أو الحزبي لم يجلب لشعبنا أي فائدة عدا أنه صب في منفعة العدو دون غيره، فقد

عملت الدولة التركية لدق الأسافين بين الشعب الكوردي للحفاظ على سلطته وهيمنته على كوردستان.

في الاقتتال الحاصل ما بين حزب العمال الكوردستاني وأحرار كوردستان القوميين ، عبر الشعب علانية عن موقفه ، فذات يوم خرجنا للشارع برفقة مجموعة من رفاقي وخرج في إثرنا مجموعة تابعة لحزب العمال الكوردستاني ولولا أن ثمة امرأة استدركت ذلك التعقب وأشارت لنا بضرورة الابتعاد لربما حدث شجار عنيف فيما بيننا.

حاولت بعض الشخصيات الوطنية أن تتوسط وتكون حائلاً يمنع دون حدوث اقتتال بين الحزبين ، وبيئت أحرار كوردستان القوميين عن استعدادها لوقف الاقتتال أما حزب العمال الكوردستاني فقد أعطت للمتوسطين قائمة ضمت عدة شخصيات مطلوبة على لوائحها قائلة: سلّموا لنا هؤلاء الخونة وسنوقف الحرب.

ظهر بعض الأشخاص الوطنيين من حزب العمال الكوردستاني وأبدوا رفضهم القاطع في استمرار الاحتراب الداخلي مما اضطر الحزب على إثر ذلك بوقف النزاع.

بعد وقف إطلاق النار كيف كان موقف حزب العمال الكوردستاني في المعتقلات:

لم تتوقف الأعمال العدائية سواء في السجن أو خارجه من قبل حزب العمال ، وظلت تظهر بين وقت وآخر حسب شهادة أمين بالجي، ورغم ذلك فقد أظهرت حركة طريق الحرية موقفاً

إيجابياً تجاه ذلك الاحتراب، إلا أنه تم إبداء التضامن والتعاون الكامل بين كافة معتقلي الأحزاب الكردستانية بروح الكوردياتية الصميمة، فقبل انقلاب 12 أيلول 1980 ، وضع أحد أعضاء حركة أحرار كردستان القوميين نزار أردمجي في أحد القواويش التي وضع فيها مجموعة من معتقلي حزب العمال الكردستاني في آمد، فقام السجناء هناك بضربه وراحوا يقولون لإدارة السجن: انقلوه لمهجع آخر لا مكان له عندنا!.

بهذه المنوال كان يتم الإشارة لإدارة السجن بكل سجين تابع لأحرار كردستان القوميين بأن يرسل أولاً لذلك المهجع حيث يتم ضربه من قبل السجناء التابعين للعمال الكردستاني، بعد ذلك يتم إخراجه لمكان آخر ، كنا نشاهد المعتقلين الجدد الذين ينزلون للسجن في ساعات الصباح بين العاشرة والثانية عشر أما النزلاء في المساء فلا يمكننا رؤيتهم إلا في اليوم التالي.

جان آزباي هكذا يصف المشهد:

أدخلوا مجموعة معتقلين السجن في ليلة حالكة، تم اعتقالهم في باطمان، وجيء بهم إلى هنا، أحد مسؤولي حزب العمال الكردستاني يقودهم لقاووشه، من ثم يوقفونهم في الممر، من بين المعتقلين شخص يدعى عزيز غولموش، اقترب مني ، حيّاني وقال: هذا الشخص رفيقكم، لقد تعرض للضرب ليلة أمس، الأفضل أن تأخذوه لجناحكم، بعد ذلك أعلمت بقية الرفاق بذلك، كان مسؤول قاووشنا "بوبي أسر"، وعندما استكملت إدارة السجن إجراءات نقله، انتقلنا مع "بوبي أسر" إلى

الممر، قال لموظف السجن، الرفيق نذير من معارفنا، في
قاووشنا ثمة مكانين فارغين، نريد أن يأتي هو وعزيز إلينا،
عندها اقترب منا مسؤول حزب العمال الكوردستاني وقال
للرفاق:

- فيم وقوفكم هنا يا أبناء العاهرة، ثم قاموا على إثرها بضربنا
ولكنا بالأقدام أنا وبوبي أسر، ودافعنا عن أنفسنا إلا أن كثرتهم
غلبتنا وثلنا نصيباً وافرأ من اللكم، عندها قام الرفاق بفتح باب
جناحنا ودخلنا، قلت مرة لبوبا أسر:
- لقد قمت بتأليف كتاب عن السجن ورغم تعرضك للاعتداء
بالضرب إلا أنك لم تذكر هذه الحادثة؟!

أجابني:

- لقد تطرقت لجل ما عشناه هناك، إلا أنه لم يتسن لي أن
أحدث لجميع الرفاق لأدرك ما يجري، بالكاد لضيق وقتي
تفرغت لكتابة روايتي (السجان).

كيف حدثت الواقعة؟

لم نكن نعلم بقدوم نذير أردمجي، لقد أتوا به بعد تعرضه
للتعذيب من قبل أفراد الشرطة، ولم يكن يعرف وجهته، حيث
يوضع في جناح الاعتقال الذي يؤوم معتقلي حزب العمال
الكوردستاني، ويتعرض للضرب هناك أيضاً، نذير أردمجي
يروى لنا هذه الحادثة:

- بالكاد خرجت من غرفة الاستجواب، نقلوني للمعتقل، كنت أود
أن أسألهم فيما لو استطاعوا نقلني لمهجع رفاقي في حزب
أحرار كوردستان القوميين، لكنهم أخذوني لجناح معتقلي حزب

العمال الكوردستاني، وعندما علموا بخلفيتي الحزبية، قاموا باستجوابي على طريقتهم التي فاقت شدة عن الشرطة، انحدر المعتقلين من مدينة باطمان، استمر الاعتداء بالضرب من قبلهم لست ساعات، ثم ألقوني لمهجع آخر، بعد عقد صفقة بينهم والشرطة، لم أستطع إثر التعذيب أن أمضغ الطعام داخل فمي ولمدة عشرة أيام، فقط كنت أكل البسكويت بعد إدخاله في فمي بالحليب، كي يسهل بلعه.

عندما علم كوادر الأحزاب الكوردية الأخرى الخارجة عن فلك حزب العمال الكوردستاني بهذه الممارسات التي جرت بحق نذير أردمجي اتفقوا على إبداء موقف، منددين بهذه السلوكيات المرتكبة بمعتقلي أحرار كوردستان القوميين، فلم تكن تلك التناحرات الحزبية والانتهاكات بحق كوادر الأحزاب الكوردستانية ما قبل انقلاب 12 أيلول تصب في خدمة القضية أو الشعب وإنما يستفيد منها العدو فقط.

فبدل من أن يخيم على السجن شعور التعاضد والتعاطف بين كافة الكورد على اختلاف تنظيماتهم، كانت تلك التجاوزات تسبب التباعد وتخلق النفور بين المعتقلين، فعندما يقوم أعضاء حزب العمال الكوردستاني بهذه الأعمال وفي داخل السجن فذلك يمثل خرقاً أخلاقياً لعادات الشعب الكوردي المضيايف، فالسجن أو المهجع هو بمثابة البيت الذي كل من يدخله على المضيف أن يتحلى بأخلاقه لا أن يضرب الوافد إليه!

ألم نقل للأعداء التعذيب منافع للإنسانية!

فبدل من التنديد بأفعالهم نأتي نحن ونرتكب ما يقومون به
إزاءنا؟؟!!

فلو اعتذر إداريو حزب العمال الكردستاني مع تقادم الأيام عن
تلك التجاوزات بحق كوادر الأحزاب الكردية الأخرى، لكان من
المحتمل ألا يصل بنا الأمر في الإذعان للقهَر الممارس بحقنا
من قبل الجلادين، لقد تجاوزوا ذلك وراحوا ينكلون بكل من
يخرج عنهم سواء أكانوا رفقاءهم بالأمس القريب أو من
أعضاء الأحزاب التي يناهضونها.

ألم تكن أن توصم تلك الانتهاكات بالخيانة والعمالة حين تصدر
من حزب آخر غير حزب العمال الكردستاني، إذن تحت أي بند
يمكن أن ننظر لما جرى بحق كادر معتقل كنزير أردمجي؟؟!!،
الذي تعرض للتعذيب على يد جلادي الدولة وكذلك معتقلين
كورد مثله فقط كونه على غير خطهم السياسي، هذه الأفعال
نجحت في تشتيتنا وإيلامنا في الصميم ومثلت بالنسبة لنا عاراً
كبيراً!!.

بعد الانقلاب العسكري، أعدت الأحزاب نفسها لمقاومة الاحتلال.
لقد كانت لديهم تجارب سابقة ومعرفة. لم يكن من السهل أن
يكونوا غير مستعدين. في اللحظة التي كانت تأتي فيها قوات
الاحتلال، كانوا يتخذون مواقعهم فوراً، يبدأون بالمقاومة، وبعد
كل مقاومة، كانوا يقيمون أنفسهم مجدداً.

في رأيي، من دون وجود سياسة أو خطة أو برنامج واضح، لا
يمكن لشعب أن يدافع عن نفسه. في الأنظمة الديكتاتورية حيث
كانت الدولة المحتلة تهيمن، لم يكن بالإمكان الوصول إلى

مستوى معين من المقاومة دون وجود سياسة. فبمقدار ما كان الشعب يعاني من التعذيب، بقدر ما كان يبتعد عن قبوله، بل يرفضه. لم يكن يقبل هذا العذاب باعتباره قدراً مكتوباً. كان يقف ضده، يطالب بالعقاب للجناة، ويطالب بحقوقه حتى النهاية.

عندما ننتقد أنفسنا علينا وضع برنامج الدولة المحتلة أمام نظرنا، أرادت الدولة فرض تعذيب ممنهج، والهدف من ذلك هو إبعاد أولئك الذين يؤمنون بالقضية الكردية في كوردستان عن الميدان وزجهم في السجون.

يجب أن تستخلص الحركات الكردية الدروس من المواقف والسلوكيات السابقة. من أجل المستقبل، يجب أن نفهم، نقيم، ونُدوّن تجارب نضال الشعب الكردي. كل موقف لم يُقَيِّم في وقته، يجلب في المستقبل نتائج ثقيلة. في القضية القومية، يجب على المرء أن يرى الثغرات الموجودة الآن ويملاها. لذلك يجب أن تكون القاعدة كالتالي:

في كل مرة تكون فيها الشروط مناسبة، يجب على الحركات والأحزاب الكردية أن تنظم نضالها بما يتوافق مع خصوصية البلاد وواقعها.

لكي لا تتكرر أخطاء الماضي، يجدر ألا يخون أحد الآخر. في لحظة الانطلاق الثوري، إن لم تتجاوز الأحزاب والحركات الكردية الإيديولوجية الضيقة، فإنها لن تستطيع أداء مهمتها القومية بشكل موحد.

عندما تنخرط الأحزاب القومية في النضال، ينبغي عليها أن تضع خلافاتها جانباً. منذ البداية، يجب أن تُبنى العلاقات الثورية على أسس متينة. في الوقت المناسب، علينا جميعاً أن نحدد موقفنا ونقرّر وفق ذلك.

رغم أن بعض الأحزاب الكردية انخرطت في تحالفات وهاجمت الدولة، إلا أن هذه التحالفات لم تكن لصالح الثورة القومية الكردية، بل كانت تهدف إلى منع تقدم الانتفاضة الكردية بعد الانقلابات العسكرية. في النهاية، كانت تلك القوى تستخدم المذهب، القومية، اليمين واليسار لهذا السبب كان من الضروري أن يتم تجاوز هذه المرحلة بوعي وتنظيم عالٍ. خاصة بالنسبة للمعتقلين السياسيين، كان التعذيب أكبر من المعتاد. كان يتم استهدافهم بشكل مباشر، ويُجبرون على الاعتراف، ويُرغمون على الخضوع. كانت هناك ضرورة لأن يواجه هذا الظلم بإرادة قوية.

عندما تعرّض الكورد للظلم السياسي والتعذيب، انتفضوا فوراً، واتخذوا موقفاً، ولم ينتظروا طويلاً. كانوا يطالبون بالحرية. أرادوا أن تتحول أماكن تعذيبهم إلى مواقع للمقاومة، وأن تكون المنظمات أكثر تنظيمًا من ذي قبل، وأن تصل المطالب إلى أهدافها. لأنهم وجدوا أن السبب الآخر في تعرضهم لهذا القدر من الظلم كان هو ضعف تنظيمهم الداخلي. هذا هو السبب في أن مقاومة الكورد ضد الأنظمة المحتلة لم تكن كافية. وهذا السبب كان يمنح العدو فرصة لتصعيد الضغط وممارسة الظلم الأكبر عليهم.

والهدف من ذلك الضغط هو سحق شخصية المعتقلين وإرغام بعضهم على التعاون الأمني ليصبح جاسوساً على رفاقه.

نجحت الحملة العسكرية في بعض الأماكن وكان ذلك بسبب جهلنا وقلة تجربتنا لو أننا احتطنا وعرفنا ما يجدر علينا فعله لبقى من استشهد على قيد الحياة، كان لابد من أن ندرك أن مجيئ العدو لمهاجمتنا سيوقع في صفوفنا شهداء ومصابين،

لا يجوز لأي شخص أو حزب أو حركة أن يقول: "أننا نحن من صمدنا بوجه العدو وغيرنا استسلم!" هذا الموقف هو نتيجة ضياع في الرؤية والضعف في الإرادة، ولا علاقة له بأي مبدأ

وطنيو فترتي 1979-1980، رغم شدة التعذيب والعنف، تمسك البعض بموقفه ولم يخونوا أحزابهم، ولم ينهاروا، ولم يصبحوا عملاء، وبقوا أوفياء، حيث قدّموا مثلاً لنا جميعاً. أكنّ لهم الاحترام، وما زالوا في ذاكرتي.

يجب أن أقول إن أولئك الذين لم يتعلموا من التجارب والدروس، خانوا مقاومة الشعب الكوردي والقيادات الكوردية البطلة مثل قاضي محمد، الشيخ سعيد، سيد رضا، والملا مصطفى البارزاني. لم يخضع أحد منهم للعدو ولم يستسلم. كلهم وقفوا بكرامة وماتوا بشرف من أجل وطنهم وشعبهم. جميع أعضاء الحركات الكردية قدّموا أمثلة رائعة في الشجاعة. أمل أن يصبح موقفهم في وجه ظلم المحتلين درساً للأجيال القادمة.

-وضعنا قبل بداية التعذيب الشديد في السجن رقم 5

في السجن رقم 5، كان يتم جمع أعضاء مختلف الأحزاب والحركات في أجنحة مختلفة. في الجناح 20،

كنا في الجناح 21. نحن وأعضاء حركة خلاص كوردستان

نحاول التنسيق مع بعضنا البعض هناك، كنا نذهب إلى الحمام سوياً.

كل هذه الأجنحة كانت في نفس الكتلة، مقابل الساحة المركزية، وكنا نُضرب حينما نتحدث مع أجنحة أخرى. ذات مرة، حين كنا ننقل من حمام الجناح 32، تمّ ضربنا لأننا تحدثنا مع آخرين، ومنذ ذلك اليوم لم يُسمح لنا بالحديث أو اللقاء مع أي أحد.

كان هذا القاوش مكوناً من صالة نوم وصالة طعام، كلّ منهما في طابق منفصل عن الآخر، لكن الباب المؤدي إليهما واحد. خلال فترات معينة، كان يتم فصل النوم عن الطعام. فقط خلال الليل كان يُمنع الدخول إلى القاوش. في الجزء العلوي من الزنزانة، كان يُغلق باب النوم عند الساعة 7:30 مساءً، أو في بعض الأحيان بين الساعة 7:24 و7:25. في الشتاء، حينما كانت الليالي أطول، كان وقت الإغلاق يصل إلى الساعة 6:24. في تلك الأيام التي كانت فيها الليالي طويلة جداً، كان يتم إغلاق القاوش من الجدار حتى الساعة 8:28 أو 8:20 صباحاً. داخل القاوش، لم تكن هناك ساعات، لذا كنا نعتمد على أصوات السجناء لقياس الوقت. لهذا السبب، كان تنسيق الحياة داخل القاوش مبنياً على النظام والانضباط. كل يوم، بين الساعة 9

و11 صباحًا، كان يتم تنظيف القاوش بالكامل. من الساعة 9 حتى 11، كانت نظافة القاوش في غاية الأهمية.

في هذا الوقت، لم يكن هناك أحد ينام، ولا أحدًا يجلس. الكل كان ينظف. كان كل شيء يسير على ما يرام.

عندما لا يستطيع البعض تحمّل الجوع، أو حين يكونون متعبين، كان بعض الأصدقاء يغامرون بالخروج للبحث عن وسيلة تسلية!

على سبيل المثال، كانت مجموعة من الشباب يقلدون أصوات الطيور.

بعد الأكل، كنا نغسل أيدينا. أصدقاؤنا الأعزاء، كانوا يسIRON نحو الحائط، ينظفون أيديهم ببعض التراب، ثم يمسحونه على ملابسهم. كانوا أحرارًا. يضع أحدهم يده على فمه، ثم يقرأ شعرًا، وكان صوته يشبه لحناً موسيقيًا. كان لصوته نغمة خاصة. كان يقرأ الشعر، وكان تأثيره قويا. كنا نقرأ الأشعار، ونضحك. كم كان ذلك جميلاً

كنا أحراراً، ولكن من الداخل. في هذا الجانب من الحياة، لم يكن الطفل بداخلنا يشعر بالضرر أو بشعور ذنب تجاه الآخرين ، كانت طفولتنا الكامنة في دواخلنا نابضة بالإحساس والمشاعر .

بعد أن أصبح أصدقاؤنا جاهزين، بدأنا أعمال التعليم. لم يكن يُسمح لنا بالخروج من القاوش إلا في أيام العطل، وكانت وقد بدا لنا السجن أشبه بمدرسة أو جامعة.

كنا نعيش جميعًا في كومونة واحدة، نعمل في التنظيف أو في المطبخ. يجب أن يكون المرء في قمة الحياة الجماعية (الكومونة). كانت البداية مع الكومونة، ثم يأتي التوجه نحو الحرية، لأن الكومونة كانت تحمي الإنسان من ضعف الإرادة، وتجعل له إمكانية في الحياة. فالطعام لم يكن يُقدم حسب الرغبة الفردية.

بل حسب احتياجات الجماعة من الفيتامينات. كان يتم إعطاء ... سبع علب سجائر لأصدقائنا المدخنين في الأسبوع. سواء أكان ذلك بسبب الفقر أم لسبب صحي، لم يكن الجميع يدخنون. كان يجب أن تُوزع السجائر حسب النظام الداخلي لتلك الجماعة. يجب أن تكون الصداقة قوية ومبنية على الإخلاص والولاء. من أجل هذا، كان يجب أن تفهم هذه العلاقة بشكل صحيح وأن تُنظم حسب خط الجماعة.

الحياة الجماعية لم تكن فقط حزبًا، بل كانت روح قاووشنا. كل من كان فيها، من أي خلفية سياسية، كانت روحه على نفس النهج.

كان توزيع الشاي، أو الشاي والقهوة، وتوزيع الطعام والفاكهة والحلويات، وحتى القيام بالمهام الأخرى، يتم بجدية. كانت هناك قوائم تُكتب، وكان لكل عمل ترتيب. كان الشباب نشيطين، ينهضون في الصباح الباكر ويبدؤون أعمالهم. كان الأصدقاء الذين كانوا في صفوف الحزب أو ممن تعرضوا لتعذيب شديد، يتمكنون من الاستيقاظ بسهولة أكبر. أصدقائنا الذين كانوا منذ مدة طويلة في الداخل، كانت عيونهم حادة، وقلوبهم قوية، ولا

يتحدثون عن العذاب بسهولة، بل كانوا يبتسمون، وأحياناً يضحكون، وهذا كان يؤلمنا. كنا ننظر إليهم ونسال أنفسنا كيف تحملوا كل هذا؟

في البداية، كانت المهام تُسند إلينا من خلال أولئك الذين كانوا مسؤولين عن النظافة. من أجل النظافة، كنا نجّهز الماء الساخن، والصابون، والفرش، وكان هناك من يحضرها. كان من الممكن ألا يكون هناك ماء ساخن في القاوش، لكننا كنا نجد الحل دائماً، عن طريق الأسلاك أو الأدوات الصغيرة التي كنا نستخدمها للتسخين. لكي يكون الجميع نظيفين، كان يتم توعية الجميع. بعد ذلك، كانت تُعقد اللقاءات السياسية والاجتماعية، وكان يتم تسجيل الكلمات المهمة على شكل تقارير، وكنا نكتب هذه التقارير يدوياً. في تقاريرنا، كنا نكتب كيف كان يُفكر فلان، وماذا قال، وما هي ميوله، وما الذي دار في الحوار. في نهاية اللقاء، كان يتم تسجيل أسماء الحاضرين، وإذا لم يحضر أحد الأصدقاء، كنا نكتب السبب. كذلك، كنا نكتب كيف بدا وجهه أثناء الكلام، وهل كان حزيناً أو سعيداً.

في 12 كانون الثاني 1980، عندما تم اقتيادنا إلى السجن، لم يبدأوا فوراً بالتعذيب. في البداية كانوا يفرضون علينا بعض التمهيدات، بحجة أنهم يريدون الاستجواب. كانوا يأتون إلى الطابق العلوي لإجراء التحقيقات، وكانوا يعذبون الناس هناك كل أسبوع مدة 30 دقيقة تقريباً. لم يكن البرد القارس في أمد (ديار بكر) خلال الشتاء فقط خارج الزنزانات، بل داخلها أيضاً. كل أسبوع، كان يأتي شخص جديد ويُعذَّب، وكأن هذا الأمر قد أصبح عادة ثابتة لديهم. ومع مرور الوقت، بدأوا باستخدام

التعذيب في الأقبية أيضاً، تلك الأقبية التي لم تكن مخصصة لذلك الغرض من قبل.

لكي نتمكن من الصمود في السجن أسبوعاً واحداً على الأقل دون أن ننهار نفسياً، كان ينبغي علينا أن نكون مستعدين منذ البداية. تعلم العديد من رفاقنا الهندسة أو الطب أو الكهرباء أو التقنية، أو قرأوا كتباً كثيرة حول هذه المواضيع. وأنا أعتقد بأن أولئك الذين تمكنوا من الصمود في التحقيقات، كانوا من بين هؤلاء الذين كانوا قد توصلوا إلى حلول داخل أنفسهم مسبقاً.

في الزنزانة التي كنا فيها، كانت هناك أسلاك كهربائية تمر فوق رؤوسنا، وخرطوم مياه مثبتة في الحائط. كنا نسحب الماء بأنفسنا. كان لدينا مصباح كهربائي، لكن انقطع التيار عنا لمدة 20 دقيقة. لم يكن لدينا ماء دافئ. في فصل الشتاء، كنا نحاول تسخين الماء عن طريق احتضانه بأجسامنا. بالطبع، هذا لم يكن كافياً.

عندما كنا نُؤخذ إلى جلسات التعذيب، كنا نجتمع نحن ورفاقنا لنحدث مع بعضنا البعض. في إحدى الليالي، تحدثنا مع أحد رفاقنا لمدة 20 دقيقة. في غرفة التحقيق، كنا نقول لرفاقنا بأن يبقوا أقوياء (كانوا يدخلون ويخرجون). حتى لو كنا قد اعتقلنا معاً، كنا نواسي بعضنا البعض. لأنه خلال استجواب الشرطة، ومع التعذيب، يصبح الإنسان غير قادر على الثقة بأي أحد. لذلك، حتى رفاقك، لا ينبغي أن تقول لهم كل شيء، لأنه قد يحدث في لحظة ما أن يفقد أحدهم قدرته على التحمل.

النصيحة التي كان يقدمها لنا الرفاق دائماً كانت: لا تُخبر رفاقك بما لا يجب أن يعرفوه، ولا تُظهر لهم نقاط ضعفك. بعد السجن، أصبحت هذه من بين أكثر التجارب السياسية عمقاً التي تعلمناها. لأن من خلال هذه الأمور، كان يتمكن العدو من جعلك تعترف وتنهار تحت التعذيب، وأيقنا بعد ذلك صحة ما كان يقوله لنا الرفاق.

عندما كنا نقيس الساحة كانت أعين الحرس تتفحصنا، رئيس السجن كان ينظر للمعتقلين بعدائية إلينا، وقد ملء رؤوس جلاديه بأسباب الحقد والجبروت، كي يوسعنا ضرباً هناك، بشكل فاق تصورنا، عيون الجلادين كانت تتفحص سحناتنا المتعبة بينما كنت نتأمل أسقف السجن على نحو من ينتظر شيئا ما ، لقد راحت ملامحهم تتفرسنا كأعداء ، كأنهم يوشكون في الانقضاء علينا، كأنما يتحيزون الفرص للنيل من صمودنا ، جلبوا أسطل الطعام المصنوعة من الألمنيوم والتي يتسع كل منها لي 10 لترات من الطعام.

وكان لابد من أن ننال نصيبنا من الضرب المبرح عند قدوم الطعام وبعده.

خلال شهر تموز الذي كنت فيه سجيناً جديداً، لم يبدأ التعذيب بعد. كانوا يجهزون لنا حفلة تعذيب ، تهيئنا لها كمعتقلين جدد من منتمين لمختلف التنظيمات الحزبية استعداداً للهجمات التي كانت ستأتي. كان استعدادنا بمثابة سلاح نواجه من خلاله هجماتهم.

كنا في غفلة من أمرنا ، ولم نتخذ التدابير المناسبة للانتهاكات
الممارسة ضدنا، الكثير من المعتقلين لم يكونوا على دراية بما
سيحدث حتى ذاقوا المرارة والرعب هناك، صدمتهم فاقت
استيعابهم لهول التعذيب وضراوة الظلم الذي مورس بحق
الكثيرين هناك.

ونحن نؤمن بأننا ضحايا، أدركنا متأخرين أنه كان علينا وضع
خطة مقاومة ، حيث لم تتخذ أحزابنا خارج السجن أي موقف
من شأنه التخفيف عن محنتنا.

-متى بدأوا بالتعذيب؟

قبل أن يبدأوا بممارسة التعذيب والانتهاكات ضد الكورد، كان
يجهزون برامج وخططاً مفصلة على ضوءها يتم التحرك
التعذيب الجسدي والنفسي معاً بغية النيل من الكورد
وكسرهم، وإذلالهم، وإفراغ الجدوى من النضال وفرض
الاستسلام للسلطة.

كذلك تأليب الكورد ضد بعضهم بعضاً، حيث ليس بالإمكان
اختراقهم إذا ما كانوا على قلب رجل واحد.

في العاشر من تشرين الثاني مطلع الثمانينيات، فتح السجان
الباب المركزي وقال: أضع أمامكم هذا الخيار، يجب أن تربطوا
مصيركم بمصيرنا، يجب أن تدعونا لنا ، وإلا فالعقوبة ستكون
شديدة.

هذا "الحارس" لم يكن سوى الضابط أسعد أوكتاي يلديران، أمر السجن رقم 5، والذي كان آنذاك تحت إمرة الضابط الأول مَولود جاويش.

أسعد أوكتاي كان قد جاء بخطة مدروسة من الكلية العسكرية في آمد (دياربكر) ومن رئاسة الأركان العامة.

جاويش لم يقبل أن تتسخ يده بمثل هذه المهمات، لذلك أرسل أسعد أوكتاي يلديران، الذي كان واحداً من أعضاء الطاقم الحربي الخاص، إلى السجن ليكون منفذاً لهذه السياسة وكأنما أرسلوا منفذاً للحرب النفسية الخاصة إلينا

في السجن، لم يكن ذلك مجرد سياسة تركية عابرة، بل كانت سياسة مبرمجة ومتصلة ببعضها: مشروع لاقتلاع جذور الكورد، لمحو الأمة الكوردية من الوجود، وجعلها شعباً بلا هوية. لم تكن القضية مجرد تعريب أو تترك، بل كانت محاولة لإزالة الكورد كلياً. لقد أدركنا أن هذه السياسات ليست خاصة فقط بكوردستان، بل هي جزء من مشروع الدولة التركية تجاه كل الشعوب. لكن في كوردستان كانت أكثر حدة وقسوة.

إن الإبادة الثقافية التي مورست هناك خلقت خطراً وجودياً عظيماً، التترك لم يكن فقط في المدارس، بل أيضاً في السجن.

وهكذا صار السجن مدرسة محو للهوية على نحو قهري

في كوردستان كان كثيرون يقاومون، لكن في السجن كان الأمر أشد صعوبة. لذلك لجأت الدولة إلى التعذيب كسلاح

أساسي. ومن هنا، في السجون، بدأوا بممارسة أبشع صنوف التعذيب ضد المناضلين الكورد.

برنامج المجلس العسكري في سجن آمد كان مخططاً له بحيث يحطم الروح الكوردية ويقضي على أي وعي سياسي. كانوا يريدون استبدال النضال الكوردي ضد الدولة بإرهاب الدولة نفسه. خارج السجن كانت السياسة قائمة على القمع، وداخل السجن كان الهدف هو كسر إرادة الكورد وتحويلهم إلى أدوات بيد الدولة. لذلك كان المشروع قائماً على بناء جند مخلصين من الأسرى الكورد، جندي يقبل أن يصبح خادماً للنظام. ومن رفض، فكان نصيبه التعذيب بلا حدود.

نحن، كسجناء سياسيين، لم يكن لدينا خيار آخر أمام ممارسات الدولة وسياستها القمعية، ولذلك لم نكن نعرف تماماً ما الذي سيحدث لنا. كنا نعلم أننا سندفع ثمناً غالياً، لكن لم يكن بوسعنا القبول بمطالبهم. تلك المطالب لم تكن سوى وسيلة لجَرنا إلى الاستسلام.

قبل كل شيء، كانوا يطلبون منا أن نأكل طعام أمهاتنا (شكراً لله وللأم وعاش الجيش و الأمة)، أن نقسم بالولاء للأمة التركية والجيش التركي، وأن نهتف بحياة هؤلاء الجنود دون تردّد. كنا نرفض ذلك رفضاً قاطعاً. ولهذا السبب كانوا يستخدمون مطالبهم كوسيلة للتعذيب.

إذا ما حاولنا أن نتنبأ بما سيحدث، فمجرد أن نرفض تلك الطلبات كان يعني حكماً أننا سندخل في مواجهة التعذيب. أحياناً كان الأمر ينتهي بالموت والاستشهاد، ومع ذلك، كنا نرى أن

بقاؤنا على عهدنا وشرفنا كان أهم من كل شيء. هذه كانت فلسفتنا في مواجهة سنوات طويلة من العذاب؛ فالإيمان بأننا على حق كان يخفف من الألم.

لكن هذا التعذيب، وهذه البربرية، لم تكن مجرد مسألة سجن. كانت امتداداً لسياسة الدولة التركية ضد كل شعوب تركيا، وضد البشرية جمعاء. الدولة ارتكبت جريمة عظيمة حينما أنكرت وجود شعب بكامله، وحرمتهم من هويتهم. على مرّ التاريخ، لم تستطع أية قوة أن تمحو هوية أمة، وكذلك الدولة التركية لم تتمكّن من بلوغ مرادها. نحن لم نسلّم لهم أنفسنا، ولم نتركهم يغسلون عقولنا.

في المحكمة، حينما وقفنا أمام القضاة، كنا نرى أن واجبنا أن نظهر لهم إرادتنا، لا أن نُذلّ أنفسنا. وحينما كان والد الشهيد يقف أمام القاضي، كان يقول: "لن نبيع دماء أبنائنا". كانوا يواجهون الموت بكرامة. يوم صدور الأحكام، حينما حُكم علينا بالسجن لسنوات طويلة، لم نكن راضين عن قراراتهم، لكن عزيمتنا بقيت صلبة. تلك الأحكام لم تكسر إرادتنا. بالعكس، زادتنا إيماناً بعدالة قضيتنا، وأظهرت أن الدولة التركية لم تعد تملك شيئاً سوى العنصرية والكراهية والظلم.

في سجن آمد (دياربكر)، فهمنا جيداً أن نضالنا لم يكن فقط من أجل كردستان، بل من أجل كل الشعوب المظلومة. وطننا احتلّ من قبل الدولة التركية، وتم إنكار إنسانيتنا ولغتنا وأرضنا وتاريخنا وحقوقنا. والد الشهيد لم يكن مجرد أب لشهيد، بل

صار رمزاً لقضية شعب بأكمله. كنا نقاوم من أجل حقوقنا القومية، وحقوقنا السياسية والديمقراطية، ومن أجل حريتنا.

نحن على الطريق السليم وقضيتنا عادلة

عدونا لا يستهلك إنسانيتنا وحسب، بل ينتهك إنسانية العالم كله أيضاً.

إن الدول و الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وشركائهم - هم شركاء بالكامل في جريمتهم ويلازمون مثلهم

لقد وضعنا هذه الحقائق نصب أعيننا وقناعاتنا راسخة في أن نستمر في ظلّ تلك الظروف من التعذيب الشديد الذي طال أمده

لقد كان العدو يطالبنا بالخيانة والتجسس وإنكار الأمة الكوردية. قاومنا بأجسادنا وأرواحنا، لكي ندحر غاياتهم

أردنا ألا نخزي أبنائنا وأحفادنا، بل أن نكون مصدر فخر لهم في المقاومة ضد العدو الوحشي.

لقد رأينا الكثير من الصعوبات وذقنا الاضطهاد

لقد واجهنا السلطة المستبدة كأفراد

وكمنظمات وكمثقفين ووطنيين. في تلك الظروف، تحمّل الجميع الآلام، تكبدوا المشقات والمصاعب.

وبدلاً من تكريمهم، قام بعض الأشخاص القدامى وناكري الجميل بانتقادهم بطريقة لغوية، [مما مس] كرامة الأمة

الكردية والتاريخ [المتأخر/القصير]، وبالتأكيد، هذا إهمال بحق أمتنا وتاريخ المقاومة.

ليتذكروا هذا الصمود بنبل لقد كان بالنيابة عن شعب كامل بأسره.

شرعوا بتعذيبنا، ظلوا يضربوننا عشوائياً بهراوات الخشب والركل واللكمات. وهكذا أصبحت الخرسانة والأسطح ملطخة بالدماء. لم يبق دمٌ لم يسَل! ومن جراء ضرب الحراس العسكريين، وبإشراف الضباط على رأس مجموعتنا من الرفاق، غاب عن الوعي رفيقانا حميد سازبند وعبدالوهاب أكسان. في هذه الأثناء، وبدلاً من أن يعارض الطبيب هذه الوحشية، كان يعيد من يغمى عليه إلى وعيه ويسلمه إلى الجلادين ليواصلوا تعذيبه.

هاجمونا وعذبونا، فكسرت رؤوسنا وأيدينا وأرجلنا، وغطتنا الكدمات السوداء والزرقاء. ومن جهة أخرى، كان صراخ المعتقلين الكورد في المهاجع الأخرى يُحزننا ويثير الاكتئاب فينا. كان هذا الألم والحس الداخلي يُولد فينا الوجد.

مشهد آخر كان مصدر حزن لنا، يتعلق بالحمائم التي كانت تُؤاسينا وتتخذ من سطح مبنى السجن المقابل مأوى لها فقد تركت أسرابها أعشاشها بسبب صراخنا، ولم تعد تنظر إلى الوراء. وكأن تلك الحمائم شعرت بألمنا وفضحت الجلادين، فددت أجنحتها وطارَت وذهبت. وحتى بعد أن انتهى هذا التعذيب، لم نعد نرى أي حمامة على تلك الأسطح.

عندما بدأوا تعذيبنا، حَلَقُوا شعرنا وشواربنا بآلات يدوية كأنهم ينتزعون الحشرات من وجوهنا. ولقد حُلِق شعرنا على يد الجند بشكل مهين جداً، . لقد حُلِق شعرنا لا بمقص ولا بآلة حلاقة مهذبة، وإنما بطريقة تشوّه شكلنا وتجعلنا مثل الحشرات. كان الجنود يسخرون منا ويضحكون. وعندما كانت أيديهم تتقوس من التعب، كانوا يضربوننا بأرجلهم. وعندما لم نَعُد نقوى على الوقوف من كثرة الضرب، كان الحراس يمسكون بكل واحد منا من كتفه ويرموننا بقوة إلى داخل مهاجعنا بأيديهم.

داخل السجن، استمر ضربهم لرفاقنا. من استطاع الصمود قاوم، ومن لم يستطع سقط فاقداً للوعي.

ترى عيون رفاقنا كانت خجلة. كنا نتوق لأن نروي سرّاً رأيناه بعد المعركة.

يا إلهي! كانت ساحة قتال حقاً. القطن، الريش، كل وسائد وأسرة الأجنحة، والأغطية كانت ممزقة تحت أقدامهم

وكل ما شاب به سُحق أيضاً، والسجاد حتى ملابسنا ، وكل شيء كان مبعثراً وممزقاً. كل شيء كان له قيمة، مثل الخواتم والساعات والنقود، كان قد سُرِق من قبل الجنود.

عندما بدأنا بالحديث عن حالنا المكسور والمهان والمسلوب، كانوا يلوموننا وكأننا ارتكبنا ذنباً وقالوا لنا: "كيف تجرأون على قول سوء عنا؟ نرى أنكم تتآمرون لاتهامنا بالسرقة! يجب أن تدفعوا ثمن هذا العار..!

ومنذ ذلك اليوم، كنا نعيش في خوف دائم وكنا نخاف من رؤية ظلالنا، مثل خوف الضابط المراقب. وعندما كان السجانون يأتون إلينا لينهبوا ويسرقوا ما تبقى لدينا من لوازم

لم يكن هناك خلاص لحياتنا أمامهم إلا بالتعذيب والقتل. كل يوم كانت هناك حكاية جديدة. كان أملنا الوحيد أن نسلم أنفسنا بالكامل للعدو ونطلب منه أن يستخدمنا كما يشاء. البعض منا كان محبطاً جداً لدرجة أنهم قالوا: "ما دمنا سنُقتل على أيديهم، فلنكن نحن من يفعل ذلك بأنفسنا لننهي حياتنا.

ورغم توقيع تركيا على معاهدة تحسين ظروف السجن للمعتقلين بيد أنها ظلت تمارس ازدواجية فاقعة وتتصرف كملتزم بها إزاء الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية.

والدول ذات المصالح مع تركيا تغض الطرف عن ممارساتها تجاه الكورد فلا تبالي تلك الدول بما يجري رغم علمها بحقيقة تلك الممارسات القذرة لهذه الدولة.

قام مسؤول المهجع (القاووش) بطرق الباب لعدة دقائق

"فقال له الحارس الغاضب: "ماذا هناك يا هذا!؟"

أجابه مسؤول المهجع: "بعض رفاقنا مرضى للغاية وقد فقدوا وعيهم، وهم بحاجة ماسة إلى ماء. إذا تأخر إحضار الماء بهذه الطريقة، فقد تزهق أرواحهم. أبلغ الإدارة بهذا الوضع؛ فإذا "حدث شيء لهؤلاء، فأنتم المسؤولون"

ردّ الحارس: "حسناً، سأذهب وأخبر أسيادي

وفي يوم آخر، قَطَّعُوا عَنَّا طعامنا

هذا الحرمان جعلنا جميعاً ضعفاء وفاقدي القوة. ولم يُفرض هذا الموقف على مجموعتنا فحسب، بل فُرِضَ على جميع المهاجع التي كان يقيم فيها السجناء الكورد.

حُجِبَ عَنَّا الماء والطعام، وأجروا علينا لساعات طويلة تدريبات قاسية. في البداية، كان الحراس يَمرون أماننا وتُدَاعِ المارشات العسكرية ويجعلوننا نكررها، ومن لم يقلها أو كان يتلأ (أو يستصغر نفسه)، كانوا يُنزلونه إلى الساحة (الميدان)، ثم يقوم 5 أو 6 حراس بضربه بالعصي حتى يدخل في غيبوبة. بعد ذلك، أجبرونا على حفظ حوالي 50 مارشاً عسكرياً وشعاراً وطنياً، وكانوا يضربوننا أثناء التدريب العسكري.

ومن شدة صوت المارشات وأصوات الأقدام التي كنا نضرب بها الأرض الخرسانية، كان ذلك السجن يهتز.

ضد هذا الظلم، كان لا بد لنا من أن نُقيم ثورة ومقاومة وننفذها. إن هذا الظلم، والمقاومة ضد هذا الظلم، لم تكن مقصورة علينا فقط. ففي الماضي، فعلوا الشيء السيئ نفسه بآبائنا، وغداً سيفعلونه بأطفالنا وأحفادنا أيضاً، لذلك كان لا بد لنا من أن نترك إرثاً للمقاومة لأجيالنا والمستقبل.

في ظل ذلك الجوع والعطش اللذين استبدا بنا، وكانت الساعة ما تقارب ١١ ليلاً، سمعنا أصوات جلجلة العساكر تروح وتجيء بالقرب من السجن ، فتح أحدهم علينا الباب صارخاً:

-استعدوا للخروج!

كل واحد منا أنهك من فرط جوعه وضعفه وإعيائه، كان يتراخى ويهدأ، ويسرع الجنود في إحضار العصي والعمد الملطخة بالدم والأغلال من جديد.

الضرب الذي تعرضنا له في ذاك المكان هدفه تدمير روحنا المعنوية. خاصة الضرب الذي تلقاه صديقنا أديب كالي و يونس آك، اللذان خرت قواهما.

كان الضرب يُمارس بقسوة لا متناهية، أصاب قلوبنا وأوقف ضمائرنا. وقد جاء الطبيب بعد ذلك وغادر ليطلب منهم مواصلة الضرب. في تلك اللحظة، كان الجميع يرتجف، صوت الطبيب تردد في المكان.

مرحلة التخويف والاعتداء:

قام جندي شرير بتهديدنا بقاذف اللهب، كأسلوب مختلف في التعذيب، وبغرض إرهابنا، كان يرفع قاذف اللهب الذي يحمله شيئاً فشيئاً فوق رؤوسنا ويوجه فوهته إلى الأرض. ذكرني ذلك بطفولتي وقد رحت للسينما لمشاهدة فيلم تركي، كنتُ أرى إيرول تاش يلعب دور الشرير، حيث كان يضع الخنجر على حلق عدوه ويقوم بتعذيبه، ويصرخ فيه ليحذره من خيانة رئيسه، كان يمثل ببراعة دور الشرير الذي لا يرحم. وعندما رأيت ذلك الجندي وهو يلوح بقاذف اللهب نحونا ويوجه

فوهته إلى الأرض، تذكرت إيرول تاش. هذا المشهد رَسَخ في ذهني التحوّل والرفض.

بعد ذلك الوضع، لم يعد هذا الرجل الشرير يهددنا بقاذف الذهب مثلما كان يفعل في السابق، بل أمرنا بأن نركع على ركبنا. بعدما ركعنا جميعاً على ركبنا، شعرنا بالخزي، فكانوا يضحكون علينا ويهينون أهاليّنا وأمّهاتنا الذين هم تحت الأرض، ويهينون تراب وطننا.

كنا جميعاً مرهقين، متعبين من الجوع ومن آثار الضرب والجروح، وضعيفين وواهنين، عندما أحاط الجنود بقاعتنا. استمر قرع ولطم العصي والمكانس، واللكمات والركلات، والألفاظ والشتائم القذرة من الممر. استمروا في الضرب في الممر.

ثم أثناء الضرب، فقد رفيقنا أديب غالي ويونس آك

وعيهما وسقطا على الأرض. جاء طبيب السجن، الذي كان يقف إلى جانب ثلاثة أو أربعة جلادين، إلى الرفيقين. بعد أن تفحص الطبيب نبضهما وأعادهما إلى وعيهما، سلّمهما للحراس ليواصلوا ضربيهما. في ذلك الموقف، وبعد أن سقط الجميع على الأرض، ظهر مشهد فظيع ومروع

كان في يد الجندي خرطوم إطفاء الحريق، لغرض التعذيب، وبضحكة عدائية، قام بتشغيل صمام طرف الخرطوم وفتح الماء ببطء وتركه ينساب على الأرض. عندما كنت أذهب إلى السينما في طفولتي، كان هناك في الأفلام التركية غالباً شخصية تدعى

أرول تاش، عندما كان يقيّد عدوه ويعذبه، كان يطيل لسانه ليلامس شفة خصمه المقيّد، الذي كان يتألم من العطش، ثم يضع له كأساً يطيلها وينزل الماء من الأعلى في فمه وحلقه، ويسكب المزيد على رأسه ويتركه ينساب على الأرض. هذا الفعل، أيها الحراس، أعاد لي تلك المشاهد لأرول تاش.

بعد هذا الموقف، فتحوا خرطوم الماء حتى النهاية، ووجهوا الماء الغزير والقوي نحونا، ومن كان منا يسقط، بعد أن أصبحت أرضية الممر مبتلة بالكامل، هاجمونا بالعصي، وقالوا لنا أن نرمي أنفسنا ورؤوسنا على الأرض، ونتقابل في وضعية القرفصاء المتلاصقة على الجدار المقابل. سُحبنا كثيراً في ذلك الماء المختلط بالدم وتراب الممر، متقابلين على الأرض! هذه المرة قالوا: "ابقوا منحنين على ظهوركم قدر الإمكان."

قالوا لبعضهم إياكم والشفقة عليهم لا يعلم أحدنا كم قتلوا من جنودنا ومواطنينا.

سأعطي مثالا: مرة أخرجوني إلى الخارج، سألني أحد الحراس

"كم جندياً أو شرطياً قتلتم؟"

قلت له: "نحن لم نقتل لا جندياً ولا شرطياً"

قال: "كيف إذن تقومون بعمليات؟"

قلت له: "صحيح، نحن نقوم بعمليات لكننا لا نستهدف المدنيين.

ثم أضاف: "لكن في الأخبار والصحف والتلفزيون يُقال إن آلاف الجنود والشرطة قد قُتلوا، هل تُصدّق هذا؟ بالطبع لم أجب.

في الحقيقة، سؤاله كان يختبرني. لو قلت شيئاً آخر، لكان استخدمه ضدي كدليل على الإرهاب.

الحراس الذين كانوا حولي، والذين يعملون كمراسلين داخليين، كانوا يتهامسون ويقولون: ابن القحبة جنودهم يعرفون جيداً أننا لا نكذب.

لأن بقاء الإنسان على مبدئه وإرادته، حتى وهو في السجن، يجبر العدو على احترامه.

ولذلك عندما كان أسعد أوكتاي يلديران يأتي للتفقد، كان يصفعهم ويعاقبهم إذا علم بأن أحد الحراس عامل سجيناً ما برفق.

في يوم آخر، عندما أخذونا إلى الساحة، بسبب التعذيب والبرد، كنا نرتجف من شدة البرد.

حاولنا أن نحمي أنفسنا بأن نتحرك باستمرار.

أحد الحراس قال لنا: "إذا لم تتوقفوا عن الحركة، سنخرجكم إلى الساحة ونرمي الماء البارد فوقكم.

لم نتوقف عن التحرك.

عندما رأوا أننا لم نتوقف، فتحت الحارس باب القاعة وقال:
سوف أملأ نصف الحوض ماءً، وستلقون فيه.

بعد أن ملأوا الحوض، جاؤوا ليأخذونا واحداً تلو الآخر، لكننا
مع رفاقنا دخلنا في مواجهة معهم.

قبل أن نأكل مع رفاقنا، كنا نرسل الماء إلى رفاقنا الآخرين في
العنابر.

بعد ذلك كنا نأكل.

كانوا يغيرون لون الماء بوضع أشياء فيه

لذلك، في تلك الأيام، لم نكن نشرب الماء مباشرة

كنا نصنع لأنفسنا أواني من العلب المعدنية، نصنع أكواباً
وصحوناً وشوكاً وسكاكين صغيرة من علب المواد المعلبة.

عند انقطاعنا يومين عن شرب الماء، شربنا بنهم، تغيرت
وجوهنا وشعرنا برغبة في التقيؤ نظراً لامتلاء معدتنا
أخذوا كافة الكتب، المجلات و الروايات الكلاسيكية، أصاب
الكثير من المعتقلين الجنون لشدة العنف الذي نالهم من
السجائين منعوا عنا كل ما يتصل بالقراءة لتجميد أدمغتنا كلياً،
لقي البعض حتفهم من وطأة التعذيب.

أخذونا للمنفردات وقاموا بعزلنا عن بعضنا بعضاً بغية قطع التواصل بين الرفاق ، منعوا الحديث، الضحك الجلوس، وكان التعذيب يتم بالتزامن مع محاولة تلقينهم لنا الأناشيد التي تمجد أتاتورك والاستقلال.

كانوا يعدّون حتى أنفاسنا. كانوا يجبروننا على العدّ بلغة عسكرية، مثل: 1-2-3-4-5-6-7-8-9

كانوا يحاولون أن يفرضوا إيقاعاً عسكرياً على كل شيء حولنا، كانوا يزجون بنا في الزنازين الانفرادية

الحراس الذين كانوا يراقبوننا على مدار 24 ساعة كانوا يعاقبوننا بشتى الطرق.

كانوا يمنعون الضحك، يمنعون الغناء، يمنعون من أن نتحدث مع بعضنا في النهاية، أرادوا أن يجعلوا من كل السجن ثكنة عسكرية ونظاماً عسكرياً صارماً لكننا جعلنا من زنايات التعذيب مدارس للمقاومة.

ورغم كل ذلك، لم نستطيعوا أن يكسروا إرادتنا.

القسوة والتعذيب كله، كان الغرض منه أن يكسرونا. كانوا يريدون أن يُخضعونا، أن يجعلونا نستسلم.

لكننا، كلما ازدادوا في وحشيتهم، كانت كراهيتنا للاستعمار، وللدولة الغازية، وللظلم، تكبر أكثر فأكثر.

كنت أرى أن حتى مجرد كلمة تُقال ضد الاحتلال، حتى أي موقف صغير، هو أعظم وأشرف من أن يركع الإنسان أمام آلة الدولة.

لم يكن في قلوبنا مكان للخوف.

كانت أعيننا لا تنظر بخوف إلى العدو، بل بالعكس، عيوننا كانت مليئة بالكرامة، بالجدية، وبالعناد.

جهاز الدولة الغازية كان يعتقد أنه يستطيع سحقنا بالقوة، لكنه في الحقيقة كان يزيد من صلابتنا.

إما أن يتحمّل الإنسان الألم الأشد، أو يضحّي بنفسه كي لا يرى صديقه يُهان أمامه.

التعذيب كان قاسياً جداً، كانوا يكسرون الأسنان، الأضلاع، الأيدي.

لكن في الوقت نفسه، كان هنالك آباء وأمّهات يرسلون أبناءهم إلينا، أبناءهم الذين كانوا يعرفون أن مصيرهم هو السجون

هؤلاء الآباء لم يكونوا ضعفاء، كانوا يربّون أولادهم على فكرة أن التضحية واجبة، حتى لو كان الثمن حياتهم.

هذا الوضع لم يكن عادياً، لم يكن حادثاً عرضياً.

كان مرتبطاً بالسياسة التي اتبعتها الدولة.

هم أرادوا أن يزرعوا اليأس فينا، أن يجعلونا نبتعد عن بعضنا،
أن نخون مبادنتنا، لكننا لم نخضع أبداً

كنا نعلم أنّ كل أمر وكل فرمان وكل تعذيب كان يصدر عن
الدولة بهدف إذلّالنا

لكننا لم نعترف لهم أبداً، لم نمنحهم اعترافاً واحداً، كنا نعلم أن
السبيل الوحيد هو المقاومة.

ما كان عندي سوى قنّاعة واحدة: أن كل من يُقتل أو يموت،
فإنّ دمه لن يذهب هدرأً، بل سيكون وقوداً لاستمرار الحياة
والنضال.

وهذا الحساب لم يخذلني يوماً عبر السنوات الطويلة، هذا
الحساب ظل صحيحاً .

في السجن، كل الرفاق، كل الأعضاء، كل المساندين، كانوا
بمثابة مجلس وطني كوردستاني.

بحسب اتفاقية جنيف، كان يفترض أن يُعتبر كل معتقل سياسي
أسير حرب، لكن الدولة الغازية التركية لم تعترف لا بالإنسانية
ولا بالقانون.

كانوا يعاملوننا كما يعاملون الأعداء، بل حتى أسوأ من ذلك
التعذيب عندهم لم يكن استثناءً، بل كان قاعدة

الإيمان بالقمع والظلم كان متجذراً عندهم، وكانوا يمارسونه
كشيء طبيعي.

الفرق الوحيد بين الأشخاص هو طريقة التعذيب: واحد يُعذَّبونه بالتيار الكهربائي، آخر يُعذَّبونه بالضرب، وآخر يُعذَّبونه عبر كسر العظام.

حتى في السجن، كان كل شيء ممنوعاً: الضحك، الغناء، تبادل الأسرار، وحتى ترتيب الفراش بشكل مختلف.

حتى داخل السجون، وحتى حين استخدموا علينا أساليب تعذيب تهدف إلى نزع إنسانيتنا، لم تقص هذه العمليات على إنسانيتنا. بعد ذلك التعذيب القاسي والطويل، لم تتحول مشاعرنا إلى قسوة أو حقد أو ضيق أفق حزبي. بل على العكس، شيئاً فشيئاً صارت مشاعرنا أنعم، أدفأ وأكثر صداقة. تعلمنا أن الأفضل هو المواجهة ككتلة واحدة. عدونا هو من يفرق بيننا.

أسعد أوكتاي يلدران وقف أمامنا يخطب أمام الحشد: «بصفتي أمر هذا السجن من الداخل، كُلفت بإدارة هذا السجن. من الآن فصاعداً سيدار هذا السجن بنظام عسكري. من الآن فصاعداً أنتم جنود. إن لم تلتزموا فستُعاقبون بأشد الطرق. من الآن فصاعداً سأطبق الأمن والحماية داخل وخارج هذا السجن. أنا الرجل الأكثر صرامة في الشرق الأوسط.

تم تعيينه من قبل أناس مرتبطون بدولة مارقة هي الأكثر سوءاً في الشرق الأوسط أولئك الذين تولوا تلك المسؤولية كانوا أشد إصراراً. كلما صاروا أكثر ثباتاً في مواجهتنا، ازداد لدينا الأمل أن يأتي يوم ينتهي فيه سلطانهم.

كلما تصاعدت درجات التعذيب، ظهرت أمامنا أساليب جديدة. كانوا يريدون أن يكسرونا نهائياً. أرادوا أن يطعنوا في كرامتنا ويُحرجونا أمام أنفسنا.

أرادوا أن يجعلونا نخضع لأوامرهم ونذهب إلى محاكمهم. كانوا يراهنون على أن ذلك سيدفعنا إلى خيانة رفاقنا وأهلنا. كانوا يريدون أن نصبح صغاراً أمام عائلاتنا وشعبنا.

هدفنا كان تحويل التعذيب إلى مدرسة للمقاومة. أردنا أن نجعل من صمودنا ضربة في وجه أعدائنا.

لم نمنحهم مرادهم نحن الوطنيين الكورد فقد خاب مسعاهم في تحجيم نضالنا.

كل يوم كان يتم ضربنا وإذلالنا بالركل والشتائم. كانت حالتنا مثل حالة أناس مساقين قسراً. كنا نُعامل وكأننا عبيد. على سبيل المثال: حين كنا نُساق إلى المغاسل، كانوا يضربوننا بالهراوات، ويُجبروننا على غسل الممرات الملطخة بالدماء. كانوا يجبروننا على تنظيف الدم بأيدينا وأقدامنا. في كثير من الأوقات كانوا يُفرغون دلاء الماء البارد على أجسادنا، وفي البرد القارس كنا نُجبر على تنظيف تلك الممرات. كانت أصوات صراخنا مع ارتطام الماء تتردد في كل مكان. كانوا يقولون لنا: "اغسلوا! وإلا سنضربكم حتى الموت.

بهذا الشكل كانوا يُجبروننا على تنظيف الساحات بمماسح بالية. كانوا يعاملوننا كالحيوانات، وكأننا أوساخ يجب التخلص منها.

كان هدفهم أن يجعلونا مخلوقات مُهانة لا قيمة لها. أرادوا أن يُذلونا في أعيننا وأعين الآخرين.

لكننا كنا نقاوم هذه الممارسات. كنا نعلم أن الهدف ليس مجرد التعذيب بل القضاء على إنسانيتنا. لذلك، كنا نرفض الاستسلام.

حين كانت تُجلب مجموعات جديدة من الأسرى، كانوا يُراد لهم أن يتعلموا من أول لحظة أساليب الإذلال. بعد لحظة واحدة من دخولهم كانوا يتعرضون للضرب المبرح والشتائم، ثم يُساقون إلى الممرات. كانوا يقولون: "اضربوا حتى الموت إن لزم الأمر!"، وكان صراخهم يملأ المكان.

المعنى من كل هذا هو أنهم أرادوا أن يحطموا إنسانيتنا، أن يمسخوا شخصيتنا، وأن يسلبوا عزيمتنا. لم يكن الهدف مجرد التعذيب الجسدي، بل كسر إرادتنا الداخلية.

لكن، رغم أن الكثيرين كانوا ضعفاء، لم يستطيعوا السيطرة علينا جميعاً. لأننا كنا نعلم أن الوقوف بوجههم ضرورة. تلك المقاومة كانت تُعطي قوة للآخرين أيضاً.

بين من قاوموا واستمروا حتى النهاية، وسقطوا تحت التعذيب، كان هناك كثير من الأمثلة. لقد صاروا رمزاً لا يُنسى. بعض الأسماء التي لا تُمحى من ذاكرتنا.

محمد جان أزبائي، إبراهيم غروز، زينال أوزدوغان، أديب غالين، رؤوف كابلان، شاكربيتك، عبید كالين، نوري أورر، وحميت جزغنجي.

هؤلاء جميعًا كانوا أمثلة للصمود، في كثير من الأحيان كانوا يريدون أن نأتي، وكانوا يقولون: يجب أن نأتي إلى هذا الدور. لكننا لم نقبل أوامرهم. كثير من رفاقنا لم يقبلوا تلك الأوامر، بل كانوا ينهضون لمواجهةها ويضحون بأنفسهم

ذات مرة، بينما كنا مصطفين، مرّ أسعد أوكتاي يلديران، فتوقف عندنا في الممر وأخذ يتفحصنا، ثم أعطى أوامره لحرسه وقال: "اضربوا هؤلاء، هؤلاء ليسوا مطيعين، اضربوهم حتى يشعروا بنا!" عندها هجم الحرس بالهراوات والعصي على رؤوسنا وأجسادنا، وجعلونا نغرق في الدماء. في ذلك الحين رفع أسعد أوكتاي يلديران عصاه، ونادى على جنوده وقال لهم: "لِمَ تضيّعون وقتكم؟ حطّموا رؤوسهم بأحذيتكم.

حينها وضع أحد الجنود حذائه على رأس رفيقنا وقال له: "يا ابن الكلب، سأقتلك!" ثم ضغط بكل قوته حتى انفجرت جمجمة رفيقنا. لم نر رفيقنا بعد ذلك أبداً

كانوا يزدون من صعوبة التعذيب. الإهانات والشتائم لا تنقطع. كانوا يصرخون في وجوهنا: "أنتم مخصصون (بقرار

المحكمة) لتدميركم بالكامل، أنتم لا قيمة لكم، سنسحقكم هنا ونمزقكم إرباً.

بعد حفلات التعذيب تلك، كان رفاقنا حسن كولانج، إبراهيم ديلمج، إسماعيل آي، ومحمد جان أزيبي مثخنين بالجراح. جاء الطبيب وحاول معالجتهم بصعوبة. لكن قاندهم صرخ في الطبيب: "لا تُعالجهم! يا طبيب،

-هؤلاء يموتون، أيها القائد!"

فرد أسعد أوكتاي يلديران على الطبيب: "دعهم يموتون هنا أمام أصدقائهم حتى يذوقوا الموت بأعينهم.

وبعد أن استمر التعذيب أياماً وليالي طويلة، وصل الأمر في النهاية إلى أن نُساق جميعاً إلى الزنازين الانفرادية. كنا عشرة أشخاص في الزنزانة رقم 36. من بين رفاقنا الذين كانوا معنا: نجدت باهادير، داود هنار، إبراهيم ديلمج، زكي بايراق، وإسماعيل آي. هؤلاء جميعاً كانوا معنا في التعذيب، وقد تم اقتيادنا قاطبة إلى تلك الزنزانة الضيقة.

مع رفاقنا في الزنزانة لم يبقَ سوى مساحة صغيرة جداً للحركة. وقتها، كان الطعام يأتي متقطعاً، أحياناً مرة كل يوم، وأحياناً مرة كل يومين. كانت سعادتنا الكبرى أننا كنا مع رفاقنا في الحياة والموت.

في تلك القواویش المنفردة كان يتم تعذيبنا، وفي كل منفردة تعذيب بنمط مختلف عن الآخر، وعزاؤنا في أن نسأل عن حال رفاقنا القابعين بجوارنا، وفي سياق ذلك يمكن فهم التعذيب الممنهج، جميع الذين كنت أسألهم ومن مختلف التنظيمات الكوردية عن أحوال سجنهم بعد خروجهم كانت اجاباتهم متشابهة تعكس وحدة الحال والمصير بينما سليم جوروكايا أظهر نفسه وجماعته في كتابه على أنهم الأبطال وغيرهم كانوا سجناء بالصدفة، فأعجب جداً مما أرى منهم وآسف لما ذهب إليه حقاً، فوفق سليم جوروكايا تعرض رفاقه لتعذيب أشد بينما الآخرين لم يصمدوا كثيراً واستسلموا إزاء الاعتداء الجسدي

عليهم ببسر، توظيف تجربة الاعتقال وتسييسها لأهواء الحزب سلوك مشين ، فالجميع عانى هناك في ذلك السجن وهم سواسية أمام الألم والقهر والمعاناة. الجميع يعلم ما لقيوه من شتى صنوف الإذلال والضرب الوحشي، فمن يقوم بتسييس المعتقل وقول أنه فئة ذاقت الويل أكثر من الأخرى فهو يمارس الحقارة والخسة بحق من قضي في ذلك المسلخ البشري. إن تسييس الواقع فعل شائن ، الغرفة التي من المفترض أن تتسع ل 20 شخصاً كان يتم وضع أكثر من 70 شخصاً فيها، كنا نفتش الأكياس عند تناول الطعام ولم نكن قادرين على الترحزح قيد أنملة من مكاننا، وكانت ثمة عساكر تحرس مهاجعنا في ذلك السجن، لم يكن حر الصيف في آمد يحتمل،

عذبونا وانهالوا علينا بالشتائم القاسية. كان هدفهم تحطيم نفسياتنا وإيذاءنا جسدياً ومعنوياً، وتدمير أفكارنا وزعزعتها، وتصغيرنا وإذلالنا. أرادوا أن يفهمونا أننا مرضى، من خلال تمرير رسائل عنصرية، وإخضاعنا لها حتى نقبلها.

بعد أن جلبوا الماء وملأنا الأواني الفارغة، تركونا عطاشى من جديد، كي يربطوا عقولنا دائماً بالماء، ونفكر به طوال الوقت. بعض رفاقنا من ماردين تذكروا ينابيع منطقتهم، مياهها الباردة والعذبة. أحدهم قال: "إذا خرجت من السجن حياً سأذهب إلى بحيرة عين عباسو، سأحنني وأشرب من مائها حتى أطفأ عطشي، وأنسى ما عانيتُه هنا."

كنا نتألم حين نسمع هذه الكلمات، ونستفيق من الخيال حين يدخل الحارس ويفتح السجن بعد الأكل، ويعلن أن المسؤول

سيأتي. كنا نعلم أن البلاء قادم، وأن ما يعطوننا من خبز وماء ليس سوى وسيلة أخرى لامتحاننا.

بعد قليل دخل السجن وأمر أن نعد خلال نصف ساعة قائمة لوازم يومية، وأن نصنع سكاكين وأشواك من البلاستيك والنايلون. وإلا فإن الطعام سيُلقي على رؤوسنا. وهكذا اضطررنا أن نجمع ونصنع ما يريدونه. كانوا يبيعون تلك المواد البلاستيكية بأسعار باهظة، ومع ذلك كنا نشترها.

لم يكن أمامنا خيار آخر، التنظيمات التي كانت ترسل المال كانت تعرف أن غالب عائلاتنا فقيرة. وحين كانت تصلنا المساعدات، كانت العائلات تقطعها من أفواه أولادها لتمنحنا إياها. بالكاد كان يصلنا شيء. والدي، قبل وفاته، كان يرسل ما يقدر عليه، ومعه أمي وأختي المريضة بما استطاعتا تقديمه. كذلك الأصدقاء والأقارب والرفاق الذين تمكنوا من زيارتنا، رغم أن الزيارة نفسها كانت تتم بصعوبة بالغة. بعض الأشخاص، لأسباب تنظيمية، كانوا يصفون الوطنيين الذين انتفضوا كأبطال، وكان قادة وأعضاء أحزابهم ينعنونهم بالرموز المتقدمة. لكن الحقيقة أن كل معتقل يجب أن ينظر إلى جميع المعتقلين على قدم المساواة.

بعض التنظيمات حاولت تسييس القضية واعتبار المناضلين العائدين إليها تنظيمياً هم الأبرز، ويملكون فضائل أكثر من الآخرين فقط لكونهم مرتبطين بها تنظيمياً

هذه نظرة أيديولوجية ضيقة تقلل من قيمة وتضحيات جميع المعتقلين الكورد.

التنافر بين الأحزاب والتنظيمات زاد العبء علينا في السجون. الأحداث التي شهدناها هناك يجب تقييمها من منظور وطني، لا أيديولوجي حزبي ضيق. تلك الرؤى المحدودة جلبت الضرر لجميع القوميين والوطنيين عامة.

كلنا أكملنا مهمتنا وواجبنا، وناضلنا وصمدنا ولم نستسلم. هذا لا يعني أن جميع المعتقلين ملانكة أو كاملين، لكنهم بذلوا أرواحهم وعانوا من أجل قضيتهم، ولم يقدموا مصالح شخصية على المصالح الوطنية العادلة.

لو كانت هناك علاقات أخوية بين التنظيمات المختلفة، أو صيغة وحدوية، لما وصلنا إلى الانقسامات التي جعلتنا ضحايا سهلة للعدو. الدولة العنصرية المحتلة قتلت أبناءنا وعذبتهم. لو كنا متفقيين على مبدأ واحد وموقف واضح، لكانت قضيتنا قد تقدمت أكثر.

أمام هجمات الدولة وبربريتها، كان يجب أن نعمل على تحقيق وحدتنا. دفعنا ثمن أخطائنا العلني، وفي هذا الصدد تقع المسؤولية على عاتقنا جميعاً، وليس من الضروري إلقاء اللوم على الآخرين. رفاقنا كانوا يأتون لزيارتنا كل بضعة أشهر، وبعضهم لم يكن يستطيع أو كان يخشى المجيء، فبقي بعيداً ولم يأت أبداً. وحين كانت تصلنا المساعدات المالية كنا نجمعها ثم ننفقها على ما نحتاجه من ضروريات، لكن تلك الأموال كان يعترضها لصوص السجن، فيسرقونها كثيراً. وعندما كانوا يوزعون شفرات الحلاقة لنحلق ذقوننا كانوا يأخذونها منا بعد استعمال واحد، ويتذرعون بأنهم يخشون أن نقتل بعضنا بتلك

الشفرات، ويضيفون بوقاحة: «ليس لأجل حياتكم، فحياتكم لا تساوي عندنا نملة، لكن نريدكم أحياء كي يستمر وجعكم».

بهذه الطريقة كنا نطهر من أبسط حقوقنا. لم نكن نجروء على طلب مستلزماتنا الشخصية التي تصل إلينا، ولم نستطع اتهام السجانيين أو إدارة السجن، خوفاً من أن يتهمونا نحن بإهانتهم أو إهانة عساكرهم.

في تقارير حقوق الإنسان الأوروبية أو اللجنة الدولية. كان هناك بندٌ معلقٌ عن حقوق الجماعات الإثنية والعقائدية، ويتضمن أيضاً حقوق المعتقلين وأسرى الحرب. في معاهدة لوزان قبلت كثير من هذه البنود، لكن الدولة التركية وقّعت عليها شكلياً فقط.

تركيا ليست ضد الشعب الكردي فحسب، بل ضد جميع الحقوق الإثنية للأقليات والمكونات القومية الأخرى. لقد انتهكت العديد من القوانين الأممية. وما يدعو للعجب أن الدول تعرف ذلك ومع ذلك توثق علاقاتها مع تركيا، ولا أحد يطالبها بالإصلاح أو ينتقدها علناً. هذه الدولة تجد نفسها دائماً حرة مطلقاً الصلاحية في ممارسة ما تراه مناسباً ضد الكرد وأبناء هذا الشعب.

حتى التنفّس والخروج إلى الساحة كان ممنوعاً علينا، وكل القواوِيش والأجنحة كانت تعيش الحال نفسها. وبالرغم من كل هذه الممارسات الهمجية، تشبّثنا بغيرتنا الإنسانية والسياسية والقومية. كل تلك المخططات والانتهاكات كنا نعرفها ونفصلها عن أهدافنا، ولم نلعن قادتنا ورموزنا، بل بقينا نؤمن بهم وبالعدالة القومية لقضيتنا من أجل الحرية.

كنا دائماً نعثر على فرصة للعصيان أو الانتفاضة. لم نخف الموت، لكننا لم نرد أيضاً أن يبقى رفاقنا في تلك الحال. وعندما كان يأتي يوم الانتفاضة كنا ننتفض معاً ونصرخ، وكل واحد منا وضع الموت أمام عينيه.

لأن هناك أحزاباً وتنظيمات لم يكن لديها مسؤولون مباشرون عن المعتقلين الذين يخضعون في السجن، فلو وجدت صلات أخوية أو رفاقية بين تلك التنظيمات وأعضائها، لما كان هناك استسلام أو خضوع، ولما خسرنا كل هؤلاء الشهداء.

فالجهة التي تسببت بخسارتنا لرفاقنا هي الدولة العنصرية المحتلة بلا شك، ومع ذلك كنا مذنبين إلى حدٍ كبير، لأننا لم تكن أصحاب موقف موحد. أمام صنوف التعذيب والهجمات التي تشنها الدولة علينا، كان من الضروري أن نحقق وحدتنا. لقد دفعنا ثمن أخطائنا الكبيرة، وفي هذا الصدد نحن جميعاً مسؤولون، ولا حاجة لأن نلقي اللوم على بعضنا البعض

أما من جهة قيادة السجن وإدارته، فكلما مرّ الوقت، ازداد التضيق والتعذيب علينا. كانوا يدفعوننا نحو الخيانة والاستسلام، لكن التضامن والتكاتف بين المعتقلين كان يكبح الضعف، لأن العدو كان يهاجمنا بشراسة مضاعفة، وأحياناً في الليل، وأحياناً أخرى بالقوة والعنف، محاولاً مساومتنا على مبادئنا ودفعنا للتعاون الأمني معه

كان بيننا تنسيق كبير لإفشال تلك المخططات الوحشية التي كان المحتل ينفذها بوحشية وهمجية. لم يكن لدينا في السجن سوى الإيمان، والتنسيق، والمساعدة الجماعية فيما بيننا. هذا الإيمان

المشترك والإرادة الجماعية دفعا أعضاء الأحزاب إلى المقاومة
بارادة عالية ومعنويات قوية، فاستطاعوا مواجهة ظروف
السجن القاسية.

كان بيننا أناس أصحاب نخوة وكرامة، انتفضوا ولم يستسلموا،
وتعرضت أجسادهم للتعذيب والتشويه، ومنهم من تكسرت
أعضاؤه. وأنا أنحني إجلالاً وتقديرًا لثباتهم.

المسؤول المباشر عن معاناة السجناء هناك هو إدارة السجن،
أي تلك الدولة الشمولية العنصرية. ومن أمثلة جلاديه المدعو
أسعد أوكتاي يلديران، الذي كان نموذجًا للفظاعة التي مارسها
علينا، إلى جانب عثمان يلديران و الشاويش مولود أكوين، قادة
ومسؤولي السجن رقم خمسة .

كلهم ساهموا في قمع انتفاضة السجن، ووقفوا بشدة ضد
تطلعات الشعب الكوردي في القرن العشرين، وكانوا معروفين
بخطرستهم وقسوتهم. كالكلاب المسعورة هاجمونا وجربوا
علينا شتى أساليب التعذيب، فكانت آثارها عميقة في أجسادنا
ونفوسنا، ومع ذلك كنا نتقدم للأمام ونساند بعضنا بعضاً.

في الخامس من أيلول عام 1980 رفعنا صوتاً واحداً بالانتفاضة
وقلنا: "ليسقط الجلاد!" وأعلنا إضراب الموت عن الطعام،
مستعدين لكل أنواع التعذيب التي تشبه الموت ذاته. كثيرون
أقسموا قائلين: قد يأتينا الموت، لكننا لن نخضع

حينها أدركوا أن الأمور خرجت عن سيطرتهم. بعض العناصر
المرتبطة بتنظيم حزب العمال الكوردستاني قالوا لنا إن إدارة

السجن وعدتهم بحل الموضوع دون اللجوء إلى مزيد من العنف، ولذلك طلبوا منا أن نهذاً قليلاً

بعد أيام، اجتمع عدد من الجنرالات في صالون كبير يُدعى وسألونا عن سبب انتفاضتنا، فأجبناهم:

نحن لسنا عساكرًا، نحن معتقلون. وبحجة أنهم يريدون أن نردد الأناشيد العسكرية، يقومون بإيذاءنا وضربنا. إما أن تعاملونا بإنسانية، أو اقتلونا. لم نعد نصغي لتوجيهاتكم.

كنت حينها في الجناح رقم 36، ثم نُقلت إلى الجناح رقم 12، حيث وُجد بعض أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، وحزب آزادي، وحركة القوميين، وعدد من الأحزاب الكوردية الأخرى. كنا خمسين شخصاً، وعقدنا تجمعاً بيننا، وربطنا أواصر المودة.

عندما كانوا يعطوننا قالب صابون واحد، كنا نتقاسمه فيما بيننا أثناء الاستحمام. أحد المساجين، بعد أن تراكت عليه الأوساخ، استخدم الصابون بكثرة على وجهه، فقال له أحد الرفاق:

رفيقي العزيز، جلدك أسمر، ومهما استخدمت الصابون فلن يبيض.

فاكتفى الرجل بالابتسام وأعطى الصابون لزميله الآخر

في فترات التعذيب المفرط وحياة أجنحة السجن، كانت الحياة – رغم كل شيء – مستمرة. الأهم أن يرسم الإنسان لنفسه حياة

تليق به، وأن يعيشها بكرامة، محافظًا على دفاع وراحة من حوله.

الحياة اليومية في السجن رقم خمسة لم تكن تُعدّ حياةً حقيقية، بل كانت قيد احتجاج ضمير كل إنسان. أعتقد أن وجود ذرة من الإنسانية يجعلها تخجل مما يجري في السجون. وأطفال وأحفاد الجلادين سيشعرون بالعار يومًا ما لأن آباءهم وأجدادهم كانوا جلادين.

في أجواء التعذيب، كانت ساعات الصباح تبدأ بالصراة. عند السادسة يجب على الجميع الاستيقاظ وترتيب الأسرة. كل صباح تُوزَّع شفرات الحلاقة، وكان على كل سجين أن يحلق ذقنه. في البداية كان بعض الرفاق، ممن سيقتادون إلى المحكمة، غير قادرين على الحلاقة بأنفسهم، فكنا نساعد بعضنا ونحلق لهم. لكن إن لاحظ السجان أن وجه أحدهم لم يكن حليقًا جيدًا، كان يصفعه ويركله وربما يعيده إلى الزنزانة ليعيد الحلاقة من جديد.

من لم ينهض في السادسة كان ينال نصيبه من الضرب بالعصي. وعند السابعة يقف الجميع صفًا، يتلقى الأوامر: إما أن نردد النشيد الوطني، أو نقرأ من كتاب أتاتورك. كان يجب أن تُقال الكلمات بصوت عالٍ وواضح. من يقرأ بصوت منخفض أو يتردد في ترديد أقوال أتاتورك كان يتعرض للشتائم والضرب حتى الإغماء، وسط صراخ السجانين: "أنتم أعداء دولتنا، لا تريدون تلاوة شعاراتها.

عند الثامنة تُفتح أبواب الأجنحة، ويبدأ التفقد اليومي. يدخل الجنود صفوفًا، ويعَدُّون السجناء لا بالأصابع، بل بالركل والضرب: ضربة على الأنف، وأخرى على الصدر. تُسمع الشتائم المعتادة: "يا ابن الكلب، لم ترفع صوتك! لم تنظر إلينا!"، ويُغرقوننا بالركلات حتى نتخضب بالدماء

بعد ذلك تأتي مجموعة من الجلادين يحملون الخراطيم والعصي، فينهالون علينا ضربًا. ثم يأمرُوننا أن "نتكَوِّم" على بعضنا حتى نصبح تلة بشرية. من يرفض، يُسحب بالقوة ويُضرب حتى يطيع. من يرفع رأسه، يُضرب مجددًا

بعضنا كان يختبئ تحت الطاولات في منافذ ضيقة لا تتجاوز ثلاثين سنتيمترًا تحت الأرض، مملوءة بالأوساخ والمياه العفنة. كانت جراحنا تتورم بسبب امتزاج الدم بالطين والمياه الآسنة. ورغم ذلك كنا نردد، كما يُجبرُوننا، "كل شيء من أجل الوطن" لكننا كنا نقولها بعمق آخر، لأننا كنا نغني وطننا: كوردستان.

في تلك اللحظات، كان العسكر يرددون في أنفسهم أن كل شيء بالنسبة لهم هو الوطنية، وصوتهم يعلو على كل صوت. كانوا يكرِّرون الشعارات العسكرية، ويحتَوِّنون على عدم التخلي عنها

جاءت فترة الإفطار عند حوالي الساعة الثامنة. كانت وجباتنا محدودة جدًّا: شاي وزيتون، أو شاي وقطعة صغيرة من الجبن، أو شاي مع قليل من الخبز. لم تكن هذه الكمية تكفي لعشرين شخص، بينما كنا نحو سبعين. رغم ذلك، كنا نتقاسم الطعام بإنصاف

أحياناً كانوا يأخذوننا لأعمال النظافة، مثل تنظيف مطعم الجنود وحمل أوعية الحليب واللبن والخضار والفواكه.

الممرات كانت مليئة بالطعام، لكنه لم يصل إلينا إلا كمهمات منتهية الصلاحية أو معرضة للعفن

المعتقلون الذين يذهبون إلى المحكمة كانوا يتعرضون للضرب المبرح قبل وأثناء وبعد الرحلة، بما في ذلك عشرة سياط على اليدين وضرب على الرقبة والظهر وأحياناً على الوجه. بعد العودة، كانت آثار الضرب واضحة على وجوهنا

بعد كل تعذيب، كان الحراس يلقون علينا الاتهامات ويحاولون إثارة المشاكل بيننا، لكننا كنا واعين لما يحدث ولم نلم بعضنا بعضاً

كانت الحياة في السجن مليئة بالقسوة والانتهاكات الجسدية والنفسية المستمرة، مع حرمان متعمد من الطعام وفرض أوامر قاسية بشكل يومي.

الذين كانوا يُؤخذون إلى المحكمة، كانوا يُسحبون قبل بدء العدّ، ويُضربون منذ لحظة فتح الباب. كان الضرب يشمل كل معتقل عشرة سياط متتالية على وقع المارش العسكري والشعارات والأوامر. كانوا يُساقون جماعات من عشرة، وأيديهم مكبلة خلف ظهورهم، يردّدون بصوتٍ عالٍ: قسمنا وشعارنا الاستقلال. وكانوا يُجبروننا على تكراره مراراً

كانوا يأمرّوننا بالجلوس والوقوف مراراً، ويضربوننا بالعصي على الأعناق والرقاب، لكنهم لا يضربون الوجوه أثناء الذهاب

إلى المحكمة. أما عند العودة، فكانت وجوهنا تتلطح بالدماء وتظهر عليها بقع زرقاء من شدة اللكم. أحياناً كانوا يضربوننا أمام هيئة المحكمة نفسها، وكانت المحكمة تعلم بذلك وتتغاضى عنه.

بعد كل جلسة أو اعتقال، كانوا يلفقون لبعضنا تهماً جديدة. كان بيننا من هو صغير السن، ضعيف البنية، لا يستطيع الوقوف جيداً. في الليل، عندما يذهب إلى المرحاض لقضاء حاجته، كانوا يحرمونه من وجبة الفطور دون سبب. وكان المسؤول ”يقول ساخراً: “لقد أكلتم أكثر من وجبتكم، استعدوا للتأديب

نديم كايا، يونس أكو، عزيز توران، عبدالصمد شتيم، ودعود حنار إبراهيم دلمات. هؤلاء جميعاً نالوا نصيبهم من الظلم أو شاركوا فيه

كنا نحضّر الأواني الفارغة كل وقت بانتظار الفطور، وغالباً ما يُضرب بعضنا قبل وصول الطعام. كانت كل لقمة خبز تُنال بثمن الضرب والإهانة. كانوا يصفعوننا ويشتموننا، حتى أصبح أكل الخبز معركة بحدّ ذاتها، وكثيرون كانوا يحاولون الركض تفادياً للضرب.

الذين كانوا يُستدعون لإحضار السطل كان السجناء يأمر بأن يأتي شخصان لحمله. عند تقدمهما عبر الباب كان السجناء يهاجمانهما. كان الرفيقان يدخلان والجروح تُغطي جسديهما. كانت البقع الزرقاء تظهر على الجلد. كانت أيديهم وأرجلهم تتلوى من الألم. كنا نحزن عليهم. نضع الطعام جانباً ونلتف

حولهما لنضمد جراحهما النازفة. أحياناً كانت ملامحهم من الخارج تكشف ألمهم البالغ. هكذا كان يأتي الفطور

لم نأكل فطوراً كما يأكل الناس العاديون. كنا جوعاً دائماً. من بين سبعين سجيناً يصلنا عشر أرغفة خبز من نوع الصمون. نصيب كل منا لا يذكر. كان هناك إناء شاي وعدد قليل من الزيتون وزبدتان. هذا ما يسمونه فطوراً. نتقاسمه بالتساوي قرر الإمكان. نضع الشاي في أكواب بلاستيكية صغيرة ونأكل بالملاعق.

السجانون يراقبوننا من خلال النافذة. ينتظرون أن ننتهي ثم يفرضون علينا ترديد القسم. كنا نقول الحمد لله ولجيشنا وشعبنا. كان مسؤول السجن يذهب ليبلغ رؤسائه. كانوا يسخرون منا ويأمرون بإدخال الطعام في أفواهنا. كان السجانون ينعوتوننا بالكلاب واللقطاء. كانوا يعطوننا أقل الطعام. رغم ذلك لم نتشاجر. تعاملنا كاخوة وأكلنا بصمت.

كانوا يحاولون أن يجعلونا نتشاجر. كانوا يأخذون أوامرهم من أسعد أوكتاي يلديران. عند العاشرة تقريباً كانوا يجلبوننا ويأمروننا بقراءة نصوص عن أتاتورك بصوت عالٍ. إن لم نقرأ بصوت مرتفع كانوا يهددون بذبحنا واحداً تلو الآخر. صرخاتهم أربكت عقولنا.

كنا نخضع لعقاب دائم من الصباح إلى المساء. الراحة ممنوعة. نموت عطشاً وجوعاً وخوفاً. أجسادنا تضعف. كثيرون منا لم يستطيعوا الوقوف. كنا نتعاون لحمل المرضى إلى أماكن قضاء

الحاجة. الروائح الكريهة في الحمامات كانت لا تطاق. الخروج إلى الهواء الطلق لم يكن تنفّساً بل تعرّضاً للضرب

أسعد أوكتاي كان يقول إننا جنود وهو يدرّبنا. كان يفرض علينا أداء الحركات العسكرية وترديد أناشيد وشعارات. أي خطأ في الحركة كان يلاقيه الضرب الجماعي. كانت العقوبة مشتركة. عند سكون الصوت أو عدم تحريك الأرجل كان مصير أحدنا ضرباً مبرحاً. كنا نُعطى عشر ضربات بالعصي ثم المزيد. كانوا يركعوننا ثم يضعوننا بجانب الحائط.

المساجين كانوا ينهضون ويجلسون ويقفون ويجلسون متتالياً. كان الضباط يأمرّون: «ازحفوا، قُموا بوضعية الذي سيتعرض للضرب. ثم يُضرب كل واحد منا عشر ضربات بالعصي. بعد ذلك يقولون: «استعدوا لتلقي العصي على الأرجل.» نأخذ وضعية تلقي الضرب على الأقدام. لم يروِ ذلك غليلهم ولم يهدأ قلوبهم.

أمرّونا أن ننحني فضربونا ونحن منحنون. بعد عدة جولات من الضرب، كانوا يسندوننا على الحيطان ويضربون شخصاً واحداً بلا سبب أمام الجميع. كان هذا المسكين يتلقى الضرب من كل جانب، وكنا نخاف أن يقتلوه. رؤية هذا العنف كانت تزيد آلامنا بدل أن تخففها، إذ كنّا قلقين عليه.

كانوا يلقوننا إلى زنانات ضيقة لنبقى في حزنٍ وألم. بعد تناولنا لعدة لكمات ألقونا بقسوة في السجن، حاولنا أن نتظاهر

بالضحك ونروي نكاتاً لتخفيف التوتر. لكن زملاءنا كانوا متورمين من الضرب وما زالوا يساعدون بعضهم البعض.

حوالي الساعة الثانية عشرة، عندما يخرج أحدنا لطلب الطعام، يتعرض للضرب المبرح بأشكال متعددة: «انهضوا، اجلسوا، ازحفوا، انحنوا» — كلها أوامر يتبعها صياح وضرب. كنا نتعرض يومياً لهذا النوع من العنف عند كل مرة يُجلب فيها الطعام. الأذى كان مصاحباً لكل وجبة.

الطعام كان حساءً و أرز وحمص وفاصولياء، يُقدّم بكميات قليلة. لم تكن هناك أوعية مناسبة، فكان الطعام ينسكب والأجزاء تتضارب. عند ظهور قطع لحم ويحدث ذلك نادراً، كنا نتقاسمها. مرة حاول أحدنا تقسيم الطعام بعدالة، وصاحوا عليه: «يا ابن الحمار، كيف تقسم الطعام أنت لا تعدل في القسمة؟» ثم ضربوه حتى امتلأ جسده بالكدمات والقيح.

في مواعيد الغذاء والعشاء دخلوا علينا : أمرونا بالتدريبات داخل زنزاناتنا، و ترديد المارشات وأناشيد عسكرية. كان يُطلب منا ترديد ما يتم قراءته من قبل الحارس في كتاب أتاتورك يقف أحد الحراس ويقرأ ونحن نعيد؛ وكان هذا يحدث ونحن منهكون من الجوع والعطش والروائح الكريهة وقلة الهواء النقي.

سقط كثير من زملائنا مغشياً عليهم من الإجهاد؛ كنا نأخذهم للمغاسل و نضع الماء على وجوههم لنستعيد وعيهم. عندما

يجد الحراس شخصاً ممدداً أو فاقد الوعي على سريرته، كانوا يلعنوننا بأبشع الألفاظ ويجرحون كرامتنا، ثم يعاقبوننا بحرمان الطعام أو الماء أو حتى الشاي أو السجائر.

أحياناً كانوا يفتحون الأبواب فجأة ويدخلون بعنف، يضربون من يُقبَض عليه متلبساً أو من يُكتشف نائماً. بعد ساعة من التدريب، عند الثانية، كنا نواجه تعذيباً جديداً. طلبنا الشاي فقدموه لنا ماء ساخناً مُخففاً بخيطٍ من الشاي وكميات كبيرة من الماء (حجم عشرين لتراً في أنية)، وكان طعمه ضعيفاً جداً. الشاي كان يمنحنا القليل من الراحة لعدة ساعات بعد التعب والضرب.

حين نجلس لنشرب الشاي أو ندخن سيجارة، نتحدث عن حالنا: ما الجريمة التي ارتكبتها لنعاقب بهذا الشكل؟ ومتى سينتهي هذا العذاب؟

كنا دائماً في حالة من الجوع والعطش ولأننا كذلك كنا ندخل في الخيالات وكنا نتخيل أننا نشرب شاياً في مكان هادئ أو أننا نتناول طعاماً لذيذاً وكان لعابنا يسيل على إثر هذا التخيل بعد تلك الاستراحة المريعة كانوا يحضرون لنا بعض الشاي شربنا بضع رشقات منه وعندما أمرونا بالخروج قمنا بالخروج وقامت مجموعة من الجلادين وكأنهم كانوا صيادين محترفين ووجدوا فرائسهم فهموا بالانقضاء علينا وضربنا في جميع أماكن جسمنا بالتزامن مع إلقائهم للأوامر انهضوا ازحفوا انبطحوا تمرغوا بالوحدل أو في مكان الوسخ عندها كنا نفعل ما يطلبونه منا وقاموا بإخراج شاب أو رقيق معتقل لدينا من بين

المعتقلين واسمه رمزي كايا وتفردوا بضربه ضربه بشكل متوحش وأغمي عليه وقد استيقظ بعد أن غاب عن وعيه لمدة ساعة ونص قمنا بإزالة أو بنزع ملابسه الوسخة عنه ووضعها في كيس نايلون بعد ذلك حاولنا أن نطبخ جراحه واستيقظ بعد ذلك وعند قدوم المساء شعرنا بالراحة كونه جاء هذا المساء وأخيراً نستطيع أن ننام قليلاً عندما كان يحل المساء كنا نقول الحمد لله لأننا لا نزال نعيش حتى هذا اللحظة وأننا سننام بشكل مريح أخيراً في الصباح أيقظونا وقمنا بالاصطفاف رتلاً برتل وقمنا بقراءة ما كانوا يقومون بتلقينه لنا كبعض الجمل والعبارات التي كتبها أتاتورك ، ومع الوقت تبدلت أوقات التعذيب وصارت في الليل أيضاً كانوا يدخلون علينا بغتة في منتصف الليل ويقومون بضربنا لنصف ساعة وعندها لم يعد المساء أو الليل بالنسبة لنا وقتاً للأمان أو وقتاً للراحة كانوا يضربوننا وكنا معتادين على أن يضربوننا في المساء أيضاً وأحياناً كانوا يقدمون لنا طعاماً قذراً وكان هذا الطعام يصيبنا بالإسهال لدرجة أننا كنا نتزاحم على حمام واحد أو على تواليت واحد تواليت واحد يزوره سبعين شخصاً كنا نذهب إليه أربعة أربعة أو خمسة خمسة وكان ذلك التزاحم ذريعة جيدة لتعذيبنا أكثر.

لم يكن ذلك الانتهاك أو التعذيب محصوراً في السجن وحده، بل امتد إلى جميع الأجنحة منذ البداية.

عندما كانوا يذهبون إلى القاوش رقم 20 أسفلنا، كنا نستيقظ فجأة من النوم، واعتقدنا أن الاقتحام يقتصر على المكان الذي كنا فيه. شعرنا وكأن كابوساً جثم على صدورنا. كان لذلك

الهجوم أثر عميق في أرواحنا وعقولنا، وسيطر على حواسنا بالكامل.

عندما اقتحم العساكر سجننا، استيقظ رفاقنا مذهولين. بدا أن إدارة السجن بدأت بأسلوب جديد من الإذلال، إذ كانوا إذا وجدوا أحد المعتقلين نائمًا بطريقة غير مرتبة، يأمرّون الحراس بمناداته بعبارات مهينة، ثم يوقظونه ويضربونه. كل معتقل كان يتعرض لعشر ضربات بالعصا كل ليلة. أرادوا أن يحولوا ليايلينا إلى كوابيس متكررة.

كان التعذيب قاسيًا ومؤلماً حتى أنه ترك آثاراً نفسية مدمرة. بعض السجناء أصيبوا بالفصام، وآخرون بالجنون أو بانهيار عقلي تام. كانت الانتهاكات تُمارس علناً ليلاً ونهاراً، دون توقف. لم نعرف لحظة راحة أو فرصة لالتقاط أنفاسنا.

في ظلمة الليل كانت الهموم تتكاثر، وحتى النهار بدا مظلمًا وضائعًا، لأننا كنا نحمل آثار القمع والتجويع والعطش.

كرامتنا كانت تُهان يوميًا بعد يوم، حتى أصبحنا كشموع تذوب ببطء. ضعفنا وهزلت أجسادنا وفقدنا القدرة على النوم. ومع ذلك، ظل في داخلنا خيال صغير ينمو: إذا خرجنا من هذا الجحيم يومًا، هل سنقدر على النوم مجددًا ولو لبضعة أيام؟

معاناتنا لم تقتصر على الجوع أو العطش أو القذارة التي كنا نعيش فيها، بل تجاوزتها إلى أشكال تعذيب تتجدد كل بضعة

أيام. كان عزاؤنا الوحيد هو تلك الذكريات التي نحتمي بها،
صور من أيامنا قبل السجن.

كانت القذارة تملأ المكان. أحد العساكر كان ينزع ثيابه المليئة
بالقمل ويلقيها فوقنا ليتفشى القمل في أجسادنا، وأحياناً يأمرنا
بغسل تلك الثياب له.

لم تزد القذارة إلا مع الوجع والعطش والهزال الذي حضر
أجسادنا. امتلأت زنازيننا بالمرض. تورمت أجساداً وتقيحت
أخرى.

كنا نشرب من كأس واحدة. نأكل من صينية واحدة. أحياناً من
ملعقة واحدة. كانت إدارة السجن تقصد إجبارنا على مشاركة
أدوات واحدة لتنتشر بها العدوى بيننا. ازداد التورم وعمت
العدوى.

أحياناً أصيب الجنود أو الحراس بنفس المرض.

فتحوا السجن على المصابين بالعدوى والورم.

وصل عدد المصابين في بعض الأحيان إلى منتي سجين بعد
العدوى. ثم قرروا توزيع هؤلاء المرضى على بقية الأجنحة.
اعتنينا بهم قدر الإمكان. وفرنا لهم ما تيسر من حليب وبيض
مسلوق. كنا نعطيهم مما نملك رغم إصابتهم بالمرض. أحياناً
كنا نشعر بالجوع لنؤمن طعامهم. كثيرٌ منهم امتنع عن الأكل.
أراد الأوغاد أن يكسروا فينا حسَّ الإنسانية والشرف. بقيت
كرامتنا شوكة في حلوقهم.

كانت هذه الانتهاكات تُمارَس في كل أقبية السجن بأمر من قيادة السجن. لكل جندي سطوته. هدفهم كان قتل الحياة فينا. رغم ذلك لم نستسلم. استخلص السجناء خبراتهم من معاناتهم. صارت مقاومة آلة القمع جزء من حياتنا.

كنا نصحو أحياناً على نبا انتحار زميل.

ينهض الجميع عند خبر الموت. كان السجناء يصرخون مطالبين بمحاسبة المسؤولين. تناوبنا في حراسة بعضنا. من يناوب كان يعد تقارير عما يجري أثناء نوم الآخرين.

كنا غالبيتنا شباباً وبصحة نسبية. واجهنا كل ما حدث بعزيمة قوّينا إرادتنا رغم سوء الحال. ظل نداء الضمير والكرامة حاضراً. انتظرنا يوم الانتفاضة والكفاح.

هذا السجن أنشأ بهدف إضعاف المعتقلين الكورد الثوريين من ذوي الطاقات والمدركات المختلفة.

في البداية أود أن أتحدث عن مخطط السجنين رقم عشرين وواحد وعشرين، اللذين كنت أعيش فيهما.

كانت إدارة السجن قد اتخذت تدابير تمكّنها من مراقبة كل زاوية ووضع المعتقلين تحت الأعين بشكل دائم.

تصميم هذين المعتقلين كان نسخة عن بعض السجون المعروفة في الولايات المتحدة الأمريكية.

السجن، باستثناء مقر الإدارة أو القيادة، كان مؤلفاً من أربع مباني رئيسية، وفي منتصفها ساحة واسعة.

في كل ساحة كان يوجد قاووشان (أي مهجعان)، وأسفل كل قاووش كان هناك مكان مخصص للطعام يشبه المطعم.

وفوق القاوشين كان يوجد ما يُعرف بالماخور، أي المكان المخصص للدعارة.

ومن الجهة الأخرى من الممر كان هناك أيضاً قاووش آخر، وفوقه ماخور آخر.

كان هذا المعتقل مصمماً ليستوعب نحو 350 شخصاً فقط بحسب الخطة الأصلية.

لكن السلطات التركية، بهدف إذلالنا وكسر إرادتنا وزرع روح الاستسلام فينا، زجّت فيه نحو 2000 معتقل سياسي كوردي

علماً أن المبنى لا يتسع لأكثر من 350 شخصاً

وبحسب تقديري، فقد مرّ في هذا المعتقل ما يقارب 5000 إنسان على الأقل.

لذلك كان الازدحام شديداً في كل مكان: في أماكن النوم، وفي قاعة الطعام، وحتى في ذلك “الماخور” الواقع فوق القاوش.

ولإدارة ذلك الازدحام الشديد، قامت إدارة السجن بالاستفادة من كل مساحة متاحة داخل المعتقل.

تم بناء أسرة متصلة ببعضها البعض على شكل صفوف متراكبة، بحيث كان يُحشر في الغرفة الواحدة ما بين 100 إلى 200 شخص

أما قاعة الطعام التي كانت مخصصة في الأصل لما بين 50 إلى 70 شخصاً، فقد تم تحويلها أيضاً إلى مكان إيواء جديد أنشأوا عدداً كبيراً من القواویش (المهاجع) الجديدة لإدخال السجناء إليها.

كان كل قاووش مؤلفاً من أربع حجرات، وفي كل طابق كان هناك نحو عشرة من الرقباء أو المخبرين.

تم تخصيص مساحة قدرها متران مربعان، وكان من المفترض أن تكفي هذه المساحة لشخصين فقط، لكنهم كانوا يزجون فيها عشرة أشخاص دفعة واحدة.

أما مطعم السجن فقد تم استثماره أيضاً، حيث حوّلوه إلى قاووش جديد ملاصق لنا، وسمّوه القاووش رقم 28 و29

وفوق هذين القاوشين أقيم ماخور آخر، أُعطي الرقم 26

ولكي يتمكنوا من مراقبة جميع السجناء في تلك القواویش،

قاموا بفتح أربع نوافذ صغيرة في الزوايا، وكانت تلك النوافذ مغلقة بأبواب صغيرة بعرض 20 إلى 30 سم وارتفاع 120 سم عن الأرض.

كنا نخضع عبرها للمراقبة المستمرة على مدار 24 ساعة في اليوم.

كانت أبنية القواويش بمساحة تقارب خمسين متراً مربعاً

باب كل مهجع كان من الحديد، أما الجدران الفاصلة بين القواويش فكانت تمتد حتى سقف البناء، وذلك لمنع أي تواصل بين السجناء في المهاجع المتجاورة.

تم تصميم البناء خصيصاً لقطع أي وسيلة اتصال بين المعتقلين

ولأنهم حوّلوا المطعم إلى قواوش إضافي، فقد كانت بعض القواويش السفلية والعليا تستطيع في البداية التواصل فيما بينها.

قبل بدء جلسات التعذيب، كان من الممكن سماع أصوات بعضنا البعض ولو بشكل خافت، لكن بعد بدء التعذيب، تم قطع كل أشكال التواصل نهائياً.

كل من حاول إقامة اتصال أو تواصل مع غيره كان يُعاقب بعنف ويتعرض لتعذيب شديد.

القواويش رقم 20 و21 عُزلت عزلاً كاملاً عن البقية، ولم يكن من فيها يتمتعون بأي حظ أو فرصة للتواصل.

هذا العزل كان جزءاً من قرار إداري، وكانت القواويش رقم 24 و25 و26 و27 تُفتح أبوابها في وقت واحد.

لكن لم نكن نعرف السبب الحقيقي لذلك، فقد كانت النوايا غامضة وغير واضحة لنا.

أما القواويش رقم 35 و36، فكانت عبارة عن غرف صغيرة
خُصصت أيضاً للعزل التام.

كل غرفة كانت تتسع في الأصل لشخص واحد، لكنها وُسعت
قليلاً لتصبح بمساحة مترين، وأضيف فيها مرحاض بسيط
أما مكان النوم فكان منصة من الخرسانة المسلحة مرتفعة
نصف متر عن الأرض.

باب القواويش كان في منتصف الجدار، من الحديد السميك،
وفي كل طابق كان يوجد نحو عشرة مخبرين، يفصل بينهم ممر
ضيق عرضه متر واحد مصنوع من الحديد
أمام القواويش السفلية الأربعة كان ثمة فراغ بمساحة خمسة
إلى ستة أمتار فقط.
كل الغرف كانت ضيقة للغاية، وكل طابق مغلق بباب حديدي
لم نكن نتواصل إلا عندما كانت تعلو أصواتنا من شدة الصراخ
أثناء التعذيب.

لكن ما إن يبدأ التحقيق والتعذيب حتى يُقطع أي تواصل
من كان يتحدث أو يعترف بما جرى له كان يُعاقب بضربٍ أشدّ،
وغالبًا ما كان العقاب يشمل الجميع بسبب خطأ فردي من معتقل
أو اثنين فقط.

فإذا ارتكب أحدهم مخالفة، كان العقاب يشمل نزلاء أربعين حجرة دفعة واحدة.

في ظل هذه الظروف القاسية، كان علينا أن نكون في غاية الحذر، وأحياناً كنا نتبادل الرسائل بالنظر فقط، بصمت ومن خلال الأعين، لم يكن يُسمح لنا بالنوم أو بالراحة، بل حتى التقاط الأنفاس كان صعباً.

كانت أماكن الاستحمام وحاجيات المبيت محدودة جداً. في وقتنا هذا، وفي المدن المتحضرة، يُفترض أن يُسجن أي معتقل في ظروف صحية وآمنة، فهذا حق إنساني أساسي. أما حين يُحتجز الإنسان في أوضاع قاسية ومهينة، فإن ذلك يُعدّ قانونياً عملاً شائنًا.

غير أنّ واقعنا كان مختلفاً. كنا نمكث في أقبية ضيقة تلتف حولها القذارة، وكان عدد الحمامات قليلاً لا يكفي لأعداد المعتقلين الذين رُجّوا دفعة واحدة في تلك الزنازين. كانت السجون بالكاد تتسع لأجسادنا، والحمامات صغيرة خائقة. أنشأ حَمّام إضافي، لكنه لم يسدّ ولو جزءاً يسيراً من الحاجة، إذ لم يتّسع لأكثر من ثلاثين شخصاً، والمياه المخصصة له لم تتجاوز عشرة لترات.

قبل بدء التعذيب، كانت لنا فرصة للاستحمام تستمر بين عشرين وثلاثين دقيقة. لكنّ الحمامات تحولت لاحقاً إلى مكان للتعذيب نفسه. كان الجنود يبلّوننا فيها ثم يهاجموننا بالعصي

ونحن عراة، يضربون أجسادنا من كل جانب. لم تكن تلك الأجساد تقوى على الاحتمال، ولم يكن لتلك الأماكن من اسم سوى الألم.

كان هدف السجّانين أن يجعلوا الأسير فاقد الإرادة تماماً. فقد صوّروا مشاهد من داخل المعتقلات تُظهر التعذيب الذي كان يُمارس على السجناء، ثم عرضوها عليهم ليحرقوا قلوبهم ويكسروا معنوياتهم أكثر. كانت تلك الصور صادمة، تُظهر المعتقلين غارقين في القذارة، بملامح يائسة وأجساد منهكة.

لم يكتفِ السجّانون بذلك، بل كانوا يُجبرون المعتقلين على الاستحمام جماعياً في مساحة ضيقة لا تكفي لأحد، متلاصقين، مغطين برغوة الصابون وآثار الضرب، حتى تحوّلت الحمامات إلى بؤر للأمراض المعدية كالدمامل والجرب. كانوا يأخذوننا بملابسنا الداخلية أو سراويل قصيرة إلى الحمامات، ثم ينزعون ما تبقى منها ويأمروننا بأداء أوامر عسكرية مهينة قبل الدخول، خصوصاً في برد الشتاء القارس، ثم يرشّون علينا المياه الباردة بخراطيم قوية، ويضربوننا أثناء ذلك بالعصي. كانت آثار الضرب تظل واضحة على أجسادنا، وكانوا يفعلون ذلك أحياناً بابتسامة وسخرية.

في الدول المتحضّرة، وظيفة الدولة وأجهزتها إصلاح السجناء وتأهيلهم وفق القوانين الدولية ومواثيق حقوق الإنسان. أما في تلك المعتقلات فكان الأمر نقيض ذلك تماماً. لم يكن يُقدّم أي علاج للجرحى أو المرضى، وكان ذلك جريمة إنسانية صريحة.

الأطباء والكوادر الطبية في سجن ديار بكر رقم 5 لم يقوموا
بواجبهم المهني أو الأخلاقي، بل تعاونوا مع إدارة السجن
والسجنائين لإطالة معاناة المعتقلين.

كما كان يُرغم بعض المعتقلين على التعاون الأمني
والاستخباراتي، لكنّ معظمهم صمد ودافع عن رفاقه، ولجأ إلى
الإضراب عن الطعام. وحين كان المعتقلون يقتربون من الموت،
كانت الإدارة تخفف التعذيب مؤقتاً وتسمح بزيارة الأهالي، فقط
لتستخدم العائلات أداة ضغط نفسي، وتؤكد لهم أن أبناءهم أمام
خيارين إما أن يستسلموا أو يموتوا.

حتى في المستشفيات، حيث كان يُفترض أن يجد المعتقل
الرعاية، استُخدمت تلك الأماكن لتمديد معاناته. القلة من
الأطباء الذين أبدوا شيئاً من الإنسانية لم ننسَ مواقفهم. ومع
ذلك، كنا نخاف أن نتحدث مع الأطباء عن شيء خارج المرض
نفسه، لأننا كنا نُعاقب بعد العودة إلى السجن بالضرب مجدداً
تلك الحياة كانت جحيماً منظماً، هدفها تدمير الإنسان جسداً
وروحاً

في الدول المدنية الديمقراطية، تكون المحاكم دائماً وفي كل
الأحوال والظروف، بمعزل عن أن تكون ضد من ينبغي أن تكون
مكاناً للعدالة. هذا شرط تلتزم به كل الدول التي هي عضو في
الأمم المتحدة عند توقيعها على موثيقها. أما المحاكم التي
تكون خارج الأطر الدولية، فلا يُعترف بها لأنها ليست ضمن

تلك الهيئة الدولية، وبذلك تكون هذه المؤسسات إما مُستبعدة أو مُجرّمة.

في الوطن الذي لا تتمتع فيه المحاكم بالاستقلالية، تتحول بدلاً من أن تكون مؤسسات عادلة تقوم بوظائفها، إلى أدوات لفرض الدكتاتورية والإذلال والعنصرية. في المكان الذي لا تتحقق فيه العدالة، أو تكون شبه منعدمة، تصبح الأفعال التي يقوم بها المحتل وأعدائه خارجة عن الوجدان والقوانين الدولية، ولا تصب إلا في مصالح الدولة المحتلة.

في كل أنحاء العالم، يُعتبر المحامون جزءاً من النظام القضائي، وكلما كانت العدالة تلتف حول القضايا المهمة، كانت تلك القضايا أكثر حماية للقانون، سواء تعلق الأمر بالقيادة أو العدالة نفسها. ولكن في تركيا، تتدخل الهيئات في عمل المحامين ولا تسمح لهم بالدفاع عن الضحايا. هذا الموقف والسلوك يمثلان انتهاكاً للحقوق، ويجب الوقوف عندهما ومحاسبة المسؤولين عنهما.

محاكم ديار بكر (آمد) التابعة للدولة التركية، من القضاء وحتى العاملين في الشأن القضائي، كانوا بالنسبة لنا مجرد أدوات بيد الدولة العنصرية. كانوا يقومون بأفعال ضد الإنسانية، وكأنهم أعضاء في مجلس حربي، يضيّقون على الشبان الكورد ويكتمون أفواههم، ويمارسون كل أشكال الانتهاك بحق السجناء. كانت تلك مواقف ثابتة لا يتراجعون عنها، خصوصاً في ظل القوانين التي تسمح بمثل هذه الممارسات، والتي أصبحت كأنها وظائف ضرورية بالنسبة لهم.

لم يشعروا بالخجل من تلك الأفعال. أما المحامون الكورد، فكانوا بلا دور فعال، وأصبحوا جزءاً من تلك المحاكم في حربها ضد الكورد، يتصرفون بالعقلية ذاتها وتحت أوامر القيادة العليا. كان اعتقال الناس من أقسى الأمور، مخالفاً لحقوق الإنسان، ومثالاً على بربرية لا حدود لها. وهذا بحد ذاته موضوع مستقل عن المواضيع الأخرى.

التعذيب من خلال الضغط على ذوي المعتقلين كان أسلوباً متبعاً للضغط على الأشخاص داخل السجن. من الناحية الإنسانية، التي ترتبط بالعدالة، كانت أكثر الأمور أهمية تتعلق بالزيارات: زيارات العائلات والأصدقاء للمعتقلين، وكذلك لقاء المحامين بموكليهم. تفعيل هذا الحق كان له أثر نفسي بالغ على السجنين، إذ كان التأثير مباشراً على وجدانه ووجدان الزائر في آن واحد.

في سجن ديار بكر، وخاصة في معتقل رقم 5 المعروف، كانت أماكن الزيارة بحد ذاتها جزءاً من منظومة الإذلال والتعذيب المنهجي الممارس على السجناء. كان الظلم يمتد ليشمل ليس فقط المعتقلين، بل أيضاً عائلاتهم ومحاميهم.

مكان الزيارة، المعروف باسم “الكابينة 23”، كان مصمماً بطريقة تمنع التواصل الحقيقي بين الزائر والمعتقل. كان هناك باب حديدي يفصل بين كل كابيتين متجاورتين، والزجاج الفاصل بين الجانبين مثقّب ثقوباً غير متقابلة، بحيث لا تمر الأصوات بوضوح. كنا نقول قبل التعذيب أو الضرب: ربما

يراقبوننا سرًا. لم نكن نستطيع التحدث مع الزائر براحة، ولا التطرق إلى السياسة.

بعد جلسات التعذيب، كان يُضرب أحيانًا الزائر نفسه. جنديان كانا يراقباننا طوال الزيارة. الكابينة كانت بالكاد تتسع لشخص واحد، ومع ذلك كانوا يضيقونها عمدًا ليزداد الاكتظاظ ويصعب التواصل.

كانت الأسئلة التي تُطرح سطحية، مثل الحديث عن المطر أو محصول العدس والحمص، لتجنّب العقاب. كنا نقول: لننتحدث فقط عن الزراعة أو عن الطقس. وعندما نسأل عن أحوالهم يجيبون بإيجاز: “نحن بخير”، ولا أكثر. كان يُوصى الزائر والمعتقل بعدم التحدث إلا في أمور بسيطة ومباشرة. وإن تجاوزنا ذلك، كنا نتعرض للضرب فورًا.

عندما يحاول أحدها أن يقول “نحن لسنا بخير”، كانوا يطلقون صفارة إنذار إشارة إلى التوقف، ثم ينهون الزيارة فورًا ويعيدوننا إلى الأجنحة. مدة الزيارة كانت ثلاثين دقيقة، لكن عند بدء التعذيب كانوا يخصمون وقتها من المدة المحددة للزيارة.

كان التحدث بالكوردية ممنوعًا. نحن وزوارنا من العائلات الكوردية التي لا تتقن التركية، كنا نتواصل بالنظر فقط. آباؤنا وأمهاتنا، الذين لم يذهبوا إلى المدارس التركية، لم يعرفوا اللغة. كانوا يقتربون منا ويمسكون بأيدينا، لكن إن تجاوزنا

التعليمات كان السجانون يسحبوننا من شعورنا أو أعناقنا ويعيدوننا بالقوة.

الزوار كانوا يدركون معاناتنا، لكنهم عاجزون عن فعل شيء. كانت قلوبهم تحترق علينا، وعيونهم تدمع من رؤيتنا في تلك الحالة. كنا نتعرض للضرب والإهانات أمامهم، مما كان يزيد ألمهم ويكشف لهم قسوة ما نعيشه.

عشنا في ظروف قاسية: الجوع، العطش، القذارة، قلة النوم، والضرب المستمر. في كثير من الأحيان كنا نتمنى الموت، لكن الموت لم يكن يأتي.

شكلنا وحركتنا وسحناتنا بدت تجسد اضطراباً نفسياً وأخذ شكل الاضطراب وانعدام التوازن أمام مرأى أعين العساكر الأعداء كنا أمامهم بأشد درجات صمودنا كما آبائنا وأجدادنا، هذه الدولة في المستقبل وفي الماضي وهذا الحاضر ضد آبائنا وأجدادنا ذات النهج وذات الهمجية الممارسة والمتبعة ضد كافة الأجيال وفي مثل تلك الظروف في بلادنا التي باتت مرتعاً للتعذيب والاذلال وباتت سجنًا مفتوحاً على مصراعيه لقد تعد الظلم الوصف ذلك الممارس علينا وهذه العدائية الشديدة باتت مصيبة عظيمة على رؤوسنا وكان لابد من أن نحارب إما الموت او الانبعاث وكان لأجل ذلك تتفتح آمالنا ويقيننا أن سنصمد وننتصر واستطعنا الثبات على الأرجل بفعل ذلك الأمل إذ لولا ذلك الايمان وذلك الامل من كان بإمكانه أن يصمد ضمن تلك الظروف الصعبة القاسية لم نكن نستطيع التواصل مع محامينا لقد تم إطباق الحصار على موكلينا ولم يكن يستطيعون حمايتنا

مما كنا نتعرض له من أذى وكانوا يعملون ضمن شروط التهديد من قبل أزام الدولة كان مجموعة من المحامين أو بعضهم تم اعتقالهم أيضا وقد مروا بمراحل التعذيب كما مررنا بها لقد تعرضوا له كما تعرضنا نحن له لقد قمنا بالاضراب مرة وكانوا يقولون انه في قاووش ما ثمة عصيان كبير وبغته اقتحموا علينا السجن بشدة وبدأوا بالسباب والشتائم إزاء صراخنا واستغاثاتنا وقد مر وقت طويل حتى رأينا عشرين إلى ثلاثين عسكريا أربع أو خمسة من الجند كانوا يأمرورهم، اقتحموا علينا الغرف دخلوا إلى الممرات فتحو الأبواب خمسة الى ستة عساكر دخلوا علينا وقالوا لنا اخرجوا جميعاً هيا ولم يقولوا غير ذلك عندما خرجنا من الباب بدأوا يصطفون أمامنا وبدأوا بتطويقنا فرحنا نهرب الى أماكننا وقال لنا : انبطحوا وازحفوا !

فداسوا علينا وقاموا بسحلنا وضربنا باستخدام العصي والخيزرانات وقاموا بضربنا جميعاً ،لقد تلطخت السجون بدماننا كما تتلطح الأبواب بالدهان.

الكثير، من رفاقنا تم كسر فكهم إنفهم أسنانهم أضلاعهم وأصابعهم بعد ذلك قالوا اذهبوا الى أماكنكم زحفاً فقاموا بفتح الكوات وبدؤوا بمشاهدتنا ليتأكدوا أننا انتهينا للإذعان والخضوع لهم من شدة الألم قالوا ليكن الصباح الساعة التاسعة سوف نقوم بالاستطلاع بتفقدكم من جديد وإذا ذهبتم الى المحاكمة واخبرتم القاضي عما تتعرضون له من تعذيب سوف نقوم باستقدام عوائلكم ونعذبهم أمام أعينكم وما تتعرضون له سيتعرضون له ، بامكانهم ومقدورهم ان يفعلوا ما يقولون ويقومون باعتقال عوائلنا ليضربوهم أمامنا فلم يكن هناك فرق

بيننا وبين عائلتنا، في يوم الاضراب او يوم العصيان من أجل الزيارة قاموا بذكر أسماء ثلاث وعشرين معتقلاً وكان الزوار أيضا بعدد الرفاق الذين تم ذكر أسمائهم خرجوا الى الباب وخرجوا واحدا تلو الآخر وقالوا اثنين اثنين اصطفوا واقربوا ونفذوا التعليمات وامشوا مشية عسكرية وتراجعوا ثم الى الوراء ولترتفع ركبكم الى صدوركم ومن ثم ازحفوا وبعد ذلك قاموا بضربنا على الظهر بالخيزران والبعض تم سوقه من قبل بعض العساكر بتلك الطريقة وهذه الشاكلة كانوا يتعرضون للضرب عند الذهاب لمكان الزيارة حيث كانت مدتها دقيقتين وحتى وصولنا الى مكان الزيارة كان جبيننا ووجوهنا شاحبة مزرقة وحمراء وكان الزوار يعرفون ما يلزم بنا وكانوا يتفهمون ما نتعرض له عند الذهاب الى الزيارة وعند المجيء وكانت هكذا ارادة ادارة السجن بضربنا كانوا يريدون ان يؤثروا نفسياً وينشروا الوهن في نفوس زوارنا في كل كابينة كان هناك عسكريين ينتصتون الى كلامنا وبعد ذلك صاروا اربعة عساكر ينتصتون لما يدور بيننا والزائر الذي كان يأتي لزيارتنا، كانوا دائما يقولون تحدثوا باختصار وبعد ذلك كانوا يضربوننا أيضا أمام أعينهم وعندما كنا نسألهم عن أحوال عوائلنا كانوا يضربوننا من الخلف كانوا أحيانا يقومون بإيلاام أرجلنا الى اننا لم نكن نتأوه أو نصرخ أمام زوارنا وعندما كانوا يرون أحدنا يتألم من جراء الضرب الذي يتعرضون له اثناء حديثهم مع الزوار كانوا يبالغون في أذاه وكان الكثير من زوارنا يمتنعون عن زيارتنا لأجل ألا نتعرض لهذا الضرب فكانوا يأتون كل ستة أشهر وكانوا يعلمون بما يصيبنا وما هو حالنا وكانوا يشتركون لنا بعض الحاجيات وبعض الثياب وكان الكثير يتوجع لأن

زوارهم او ذويهم ينظرون إليهم بأسى دون أن يفعلوا حيالهم شيئاً بعد أن تنتهي الزيارة عندما كان أحد السجناء يتحدث الى ذويهم عن الأحوال الاقتصادية التي يمر بها كانوا يضربونهم، بهذا كان الكثيرون يتحدثون عن وضع الطعام الحمص والعدس والزراعة وما هناك من أشياء .

مرة من المرات حميد سازبان قال بدعابة: هذا الحمص والعدس من أين خرج ،لقد ورطونا بهذا الكلام السخيف لا نتحدثوا من الآن فصاعداً عن الزراعة وعن البذار أحد آخر قال:

-من أجل العدس تعرضتم للضرب إلى جانب أنكم تتحدثون بالكوردية ولا خيار حيث أن الكثير من هؤلاء العائلات لم يكونوا يعرفون إلا الكوردية لأنهم لا يجيدون التركية وفحوى الحديث هو عن الوجع والتعذيب الذي نلاقه في السجن أو يتحدث البعض تمويهاً وخوفاً عن العدس والحمص وأحيانا كانوا يتحدثون عن السينما والعساكر الذين لا يقومون بضربهم يتعرضون للضرب وبذلك يجب على المعتقلين الزحف الى أماكنهم أما عن الحاجيات والثياب التي لم تكن تغسل كانت تهترأ مع مرور الوقت وكانت تلك الثياب تأتي من ذوي المعتقلين عبر الزيارات وأحيانا بحجة البحث والتقصي كانوا يأخذون تلك الثياب ويخبئونها ومن ثم يمزقونها وهكذا كان هدفهم ليجعلوننا نغضب ونحزن ويكسرون شوكتنا وإرادتنا المتبقية ولنستسلم بخضوع لأذاهم.

كانت الأموال التي ترسلها عائلاتنا إلينا تمرّ في طريق غامض لا نعرف عنها شيئاً. لم ندرك الحقيقة إلا بعد زمن طويل، حين

تبين لنا أن الإدارة كانت تتلقى مبالغ كبيرة من عائلاتنا، لكنها لا تسلمنا حتى نصف ما يرسل. وعندما كان أحد الرفاق يتسلم نصيبه ويسأل: “كم أرسلت لي عائلتي؟” كان الضابط التركي يجيبه بجملة ثابتة: “الجندي التركي ليس لصاً.” وبعد هذا الادعاء كانوا يسلمونه إلى السجان، الـ“غارديان”، الذي كان يتولى ضربه حتى يتغير وجهه من حالٍ إلى حال، من هيئة سليمة إلى ملامح مشوشة مضطربة شاحبة.

كانوا يأخذون نصف المبلغ، وأحياناً أكثر. فإذا وصل مثلاً مئتا ليرة، لا يعطوننا إلا المئة، ويتقاسمون الباقي بينهم. وهذا يدفع إلى التفكير في شكل الدولة منذ أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الجمهورية: كيف كانت؟ وكيف كان الناس يطالبون بحقوقهم؟ وكيف قاوموا سياسات النهب والتشليح التي مورست عليهم إلى جانب القتل، والذبح، والإبادة، والاعتقال، والتعذيب، والسجن، والترحيل؟

حتى الأموال التي كانت تُرسل لنا لم تكن قادرين على إنفاقها بحرية. الإدارة كانت تجبرنا على شراء ما تريد هي، لا ما نحتاجه نحن. وكنا نرغم على شراء تلك الحاجيات بأسعار باهظة. ومع مرور الوقت منعت الإدارة وصول الأموال إلينا، وكانوا يقولون: “حساباتكم مسجلة عندنا.” وما كان يرسل لنا من حاجيات، كالنعال ولوازم الاستحمام، كانوا يخصمونه من أموالنا نفسها. أما الاستحمام الشهري فكان مئة يمنعونها متى شاؤوا ويمنحونها متى شاؤوا.

كانت تلك الحقبة نظامًا مغلقًا يُدار بالذهب، وتُبتلع فيه حقوق السجناء كما يُبتلع صوتههم.

منعوا عنا الكتابة، رغم أنهم جلبوا لنا أقلامًا ودفاتر كثيرة. وبعد ذلك طمسوا جدران السجن بالأعلام التركية وصور أتاتورك وقادتهم، حتى امتلأت الممرات كلها بتلك الرموز، وكل ذلك كان على نفقة أموالنا. ومع الوقت لم تعد تلك الأموال تكفي حتى ثمن الطعام والماء، فصار ما يُقدَّم لنا قليلًا لا يسدّ رمقًا. لم نعد قادرين على شراء الحليب، الجبن، البسكويت، الزيتون، العسل، السمن، حتى البصل والخيار والبندورة. كانت أيامنا تمرّ عبر ثنائية الجوع والعطش، ووضعنا يتدهور يوميًا بعد يوم.

أحيانًا كانوا يجبروننا على شراء الحاجيات اليومية، وأحيانًا أخرى كانوا يتعمّدون سكب الطعام على وسائدنا كي تتسخ، ثم يضعونها قرب أقدامنا. ازدادت ممارساتهم القاسية، وصرنا لا نتناول أي شيء يُذكر إلا مرة واحدة في الأسبوع، وحتى في تلك المرة لم يكن يصلنا سوى القليل. كنا جائعين دائمًا، ولا نشعر بالشبع إلا بشكل نسبي في ذلك اليوم الوحيد من الأسبوع.

أما الدهان الذي يُستخدم لتزيين الجدران فلم يكن من اختيارنا، بل كان يُشترى بأموالنا تحت الضرب والإهانة. كنّا ندهن الجدران والممرات ونكتب الشعارات العنصرية التي تمجّد “الطورانية”، ونرسم ما يأمرّوننا برسمه. رائحة الدهان كانت خانقة، تمتاز بقذارة السجن وتدخل صدورنا. أنفاسنا كانت مثقلة، ومجاريها التنفسية تضررت من تلك الروائح الخانقة

كل ما كنّا نفعله من تدهين ورسم وكتابة كان يحدث بأمر السجّانين: “فلان وفلان... تعالوا، نوبتكم هذا الأسبوع لإكمال هذا الممر.” و“أنتم... اذهبوا لرسم صورة أتاتورك.” كانوا يجلبون لنا القوالب واللوحات ويأمرون: “الصورة يجب أن تكون مطابقة تماماً.” أما العبارات فكانت كلها تمجيّداً أعمى: “كل شيء تركي”، “جندي تركي”، “مدح، اعمل، ثق”، “تركيا وحدها تقابل العالم”، “لا طبقة للأتراك غير الأتراك”، “العاهرات اليونانيات يهربن والجيش التركي يتقدم...” عبارات كهذه كانت تتزيّن بها الجدران.

وإن قال أحدهم إن الرسم ليس جيّداً أو الشعر ليس جميلاً، كانوا يأمرّون بمسحه وإعادة كتابته. وإن لم يكن العمل متقناً اتهمونا بأننا نتعمّد تشويه الشعارات، ثم يسكبون الدهان على وجوه الذين تعرّشوا. روائح الطلاء كانت تُغرق ثيابنا وأجسادنا، حتى إن حناجرنا كانت تلتهب من شدّتها.

أذكر الرفاق الذين رسموا صورة لأتاتورك، وحين جاء السجّان أصابه الغضب وصرخ: “من ابن العاهرة الذي رسم هذه الصورة؟ لقد حولتم أتاتورك لمهريج في هذه الصورة.” ثم قال: “هل جنتم لتشويه صورة قائدنا؟ سترون.” ذهب وعاد بمجموعة من الجلادين، فانهالوا علينا بالعصي والخراطيم حتى كدنا نسقط من الإعياء.

ورغم الألم لم نستطع منع أنفسنا من ضحكة صغيرة حين قال السجّان غاضباً: “جعلتم أتاتورك مهرجاً!” كانت الكلمة جارحة لهم، مضحكة لنا، وسبباً جيّداً للضرب. كانوا يقولون:

انظروا... لأجل هذا العاهر ضربتم جميعاً.” كانوا يريدون إفساد صداقتنا، ودفعنا إلى التمزق من خلال معاقبة الجميع على خطأ واحد، ليحرّضونا على بعضنا بدل أن نقف معاً.

الرفاق، ولكي يواسوا بعضهم، كانوا يحاولون أن يسرقوا لحظات من الضحك مهما كان الوضع خائفاً. كانوا يقتلّون حركات الجلّادين، طريقة مشيهم، صراخهم، وتعابير وجوههم، فيحوّلون ما تعرّضوا له من ضرب وإهانة إلى مشاهد ساخرة تخفف عن صدورهم. أحياناً كانوا يصنعون آلة من لا شيء تقريباً؛ قطعة خشب، مكنسة قديمة، أي شيء يمكن أن يشبه الطنبور أو البزق، ثم يعزفون عليها كأنهم في سهرة، ويغنون وهم يضحكون من بؤس الآلة ومن بؤس وضعهم.

تدوير المواقف من العنف إلى الدعابة كان بمثابة هواء جديد يدخل الزنزانة. حميد كان أكثرهم قدرة على إطلاق النكات، وبعده نديم كايا، شكري أصلان، رفيق إمام أوغلو، وعزيز تهران. كانوا يشكّلون فرقة ارتجال صغيرة وسط الجدران المعتمة.

كان حميد يقنّد أحد السجانين بطريقة تجعلنا نكتم ضحكاتنا كي لا نسمعونا. كان يصرخ بصوته:

تعالوا... تعالوا أيها الأساتذة ! تعالوا أيها الوافدون الجدد! “
تعال يا مسؤول الإدارة... تعال أيها المصوّر وصوّر! تعال يا
من لا بيت له ... تعال!

كانت طريقته في المحاكاة نبرة الصوت، الحركة، الإيماءة تجعل السجن يلين للحظة. كنا نعرف أن الضحك ليس حلاً، لكنه كان أشبه بفتحة هواء صغيرة تساعدنا على البقاء، وتذكّرنا بأن إنسانيتنا لم تُمحَ رغم كل ما حاولوا فعله بنا.

في صباح اليوم التالي، طرق السجن باب الزنزانة ونادى: «للتفتيش، أخرجوا قائمة السجناء!». صعد الرجل المختص بالزنزانات إلى باب الزنزانة وقال له: «سيدي القائد، لدينا سجناء هنا، لماذا نخرج القائمة؟». أجاب السجن: «حتى لا يبقى أي سيجارة، اكتبوا أسماء كل واحد!». قال ذلك، فحرّر الرجل قائمة بالحضور وسلمها للسجان.

في صباح الاثنين وقفنا للتفقد استدعوا الرفاق خطيب مرجان، عبيد كالين، زكي بايراق، زينال أوزدوغان ورجب فيصلي إلى الخارج وقالوا لهم: «سوف يضع كل منكم في فمه عشر سجائر وينفثها معاً نفثة واحدة وبقوة . بالصفعات والركلات أجبروا هؤلاء الرفاق واحداً تلو الآخر على فعل ذلك ضمن غرفة ضيقة مكتظة بالجموع ومغلقة تماماً . بعد التعذيب وإحضار الجنود قال السجن مخاطباً زنزانتنا: واصلوا ذلك

راح الدخان الكثيف يغطي كافة الوجوه والأنفاس ضاقت متهالكة والكثير لم يعد يستطيع الرؤية والبعض أغمي عليه، حاولوا الخروج وفتح نوافذ الزنزانة رغم أن العسكر تواعد بمغبة فتح النوافذ أو الأبواب ، أراد الجنود أن يشاهدوا كيف نختنق بهذه السجائر، فأصبح الكل يلهث، والعيون تحترق

والصدر يضيق أكثر وأكثر والسعال يزداد بحرقّة. فقد بعض الرفاق وغيهم.

ليكن ما يكن فتحنا الباب. أول من قُدّم كان الرفيق حميد. فتح الرفاق الأبواب واحداً تلو الآخر. حملنا الرفاق الذين أغمي عليهم إلى دورات المياه والحمامات. من كثافة الدخان اصطبغت جدران الزنزانة بصبغات القطران والنيكوتين. بدلنا ملابسنا لكن الرائحة بقيت في ثيابنا لأمد طويل. بعد هذا الحدث ترك كثير من الرفاق التدخين.

الجوع والبرد أصبحا ملازمين لنا، قال لنا سجان الزنزانة بنبرة حادة: رائحة السجانر ملتصقة بكل باب هنا؛ بسبب هذه الرائحة الكريهة استعدّوا، غداً عند الساعة العاشرة سيأتون لحلاقة رؤوسكم.

كنا قد عرفنا قصدهم، لذلك صرنا ندرك أن ما سيحدث هو التعذيب. في صباح ذلك اليوم قالوا لنا: «استعدّوا لحلاقة رؤوسكم، ارتدوا ثيابكم النظيفة، ضعوا مناشفاً نظيفة على رقابكم». عندما خرجنا مسرعين لمكان الحلاقة كان الجنود يضربوننا بالعصي الخشبية، وكان الجو بارداً صرنا نتلوى من البرد. كنا نأمل أن نصل بسرعة إلى أماكن الحلاقة ونحصل على ماء دافئ. اقتربنا وهم يلقون الضربات وبدأوا بالصراخ: «اجلس! قف! انحن! ازحف حرّك رأسك!». انهالوا علينا بالعصي والهراوات، فلم نعد نبصر جيداً أحياناً حتى وصلنا إلى مكان الحلاقة. عندما دخلنا ووُضع كل واحد منا بين أيدي صار جسمنا مغطى بخطوط زرقاء من أثر الضرب.

وقف اثنان أو ثلاثة أمام حوض ماء، وغسلنا أنفسنا بالمغارف وغسلنا رؤوسنا بالصابون. ولم ينزل الصابون تماماً من رؤوسنا حتى صاح السجّانون: «انتهى اخرجوا!» فهاجمونا من الداخل. الرفاق الذين حاولوا مسح الصابون عن رؤوسهم وقعوا تحت ضربات عصي الجنود وسيططهم. ومن بقي وجهه مغطى بالصابون لم يفلت من التعذيب أيضاً. وبسبب تأخر بعض الرفاق تعرضنا لمزيد من الضرب. حينما يكون الغرض الإيذاء والتعذيب، يكون الإيذاء شديداً. كان الجنود يلوحون بالعصي على أجسادنا الطرية قائلين: «انظروا كم أبدعنا في رسم هذه الخطوط!». قال آخرون: «أيها العبيد، انظروا إلى علامة العبودية التي نقشناها على أجسادكم.

أولئك الذين يجدون متعة في ممارسة التعذيب قد غُسلت عقولهم؛ كأننا لسنا بشراً، لأن الإنسان حتى مع الحيوانات لا يمكنه أن يرتكب مثل هذه القسوة. ولكن كما قرأنا في كتب التاريخ وذكريات الماضي، فإن جهاز السلطة التركي عبر التاريخ مارس هذه الهمجية ضد آبائنا وأجدادنا وضد شعوب أخرى أيضاً كنا ندرك أكثر أن نضالنا من أجل تحرير الوطن والأمة له أسس ومبررات مشروعة أحدها هو ألا يعاني الجيل القادم ما عاناه الآباء والأجداد.

عندما كانوا يقولون لنا «استعدوا لحلاقة رؤوسكم»، كنا قد عرفنا ما سيحدث. عندما يعلنون «آخر رقم!» فمن يخرج سريعاً أو يترك الصابون على رأسه ينتهي به المطاف للضرب عند الخروج إلى الساحة. وإذا تأخرنا وهم يسألوننا «لماذا تأخرت؟» نجيب «لكي أزيل الصابون عن رأسي» فيرد السجان

«اغسلوا جيداً الصابون عن رأسكم ووجوهكم». ثم ينهالون علينا بالعصي على الوجه والفك. لقد تغيّبت لدينا القدرة على الرؤية وأحياناً كنا نتمايل هكذا حتى نصل إلى مكان الحلاقة.

نسينا الحمام عندما كانوا يأخذوننا إلى أماكن الاستحمام، كنا نكتفي بكوب ماء نسكبه على أجسادنا. كانت أجسادنا الملتهبة من أثر السياط تشتعل عند ملامسة الماء لها، ليس لأن هناك صابوناً أو ماءً ساخناً، بل لأن الجسد المتقرح كان يننّ مع كلّ قطرة تنسكب عليه.

الرفاق أيضاً كانوا يقولون إنهم عندما يساقون للاستحمام، كانوا في أغلب الأحيان بلا ثياب، وأحياناً عراة تماماً. كانوا يشدّوننا جرّاً إلى الحمامات، ثم يعيدوننا إلى أماكن المبيت كانوا دائماً يستغلّون مواضع الألم: يجذبوننا من الجلد، أو من فروة الرأس، أو من الأذنين، وأحياناً من البطن أو الذراع.

كان ذلك السحب قاسياً ويترك آثاراً وكدمات على أجسادنا. وبدل أن ننظف أنفسنا، كان الجسد يكتظّ بأوساخ الممرّ، وكأنك تضع عليه تراباً أسود.

أحد الرفاق كان يحصل أحياناً على قطعة صابون، لكنه كان يعود وجسده مبلل فقط، دون غسل. كنا بعد ذلك نحاول تنظيف بعضنا من آثار الدم. وفي تلك اللحظات كان السجّان يفتح الباب بقوة ويصيح على مسؤول المهجع: "أين هو؟ يجب أن يتهيأ." ثم يضيف مهدداً: "من الآن فصاعداً سيكون طعامكم لحماً، وبعدها ستغسلون أنفسكم بمرق اللحم، وستغسلون أجسادكم بمرق اللحم.

هم أحد السجناء بطلب عبوتين من الشاي ، لكننا لم نكن نفهم معنى قائمة 'الصابون'. عندها صاح السجناء في مسؤول المهجع شاتماً، ثم أصدر أوامره ونادى أربعة من المعتقلين.

المعتقلون من شدة الخوف كانوا يهرعون فوراً لتلبية تعليماته

وعند شرب الشاي، كنا نتحدث عن الصابون، ونسأل أنفسنا: ماذا سيفعلون بنا؟ وما هي الخطوة التالية لتعذيبنا؟

كان صديق لنا، ومن أجل أن يخفف عما يدور في ذهنه، يعرض هواجسه بطريقة تثير الدعابة. ألف بعض النكات عن الصابون، وقال: عندما كنا أطفالاً، وكنا نرى رغبة الصابون على أجدادنا، كنا نبتهج. كنا نؤلف الأغاني على وقع الاستحمام، ونسوخ بأصابعنا على طبقة الرغوة، نستمتع بطريقة تشكّلها. كانت بقع الصابون كالبالونات الهوائية حين كنا نصنع الفقاعات، وكانت الرغوة تلتصق بلامحنا. بالنسبة لنا، كان الصابون ورغوته لعبة جميلة. كنا نستحم ونبالغ في الاستحمام، ولم يكن يكفينا كيلو صابون واحد. بعض أنواع الصابون كانت رائحتها كريهة، وبدلاً من التخلص منها كانوا يبيعونها لنا. كل أنواع الصابون غير الصالحة للغسل كانوا يبيعونها لنا، وكنا نشتريناها بثمن باهظ في زمن العبودية.

وفق قانون حمورابي، كانت قيم الحياة تميل إلى تكريس العبودية، وكانت قيمة الأشياء تُقاس كقيمة العبد. كنا نعرف أننا أسرى ولا قيمة لنا عندهم. حتى في عصر العبودية القديمة، لم يكن النّحاس يسمح للعبد أن ينام ليلته بسلام وحتى الصباح. كانوا يتعرّضون للاعتداءات القاسية دائماً. عندما كنا نحاول

النوم، وكان النعاس يداعب أجفاننا بعد وطأة التعذيب الليلي، كان الخوف لا يغادر صدورنا. كان يأتي كزائر ثقيل، حتى في أحلامنا كنا نرى السجان يضربنا. ومن شدة الخوف كنا نعجز عن النوم، أو نستيقظ فجأة.

ومع ذلك، لم نسمح لهم بأن يكتمل انتشاؤهم برويتنا نعاني. لم نَظهر لهم ضعفنا، رغم أنهم ولسنوات مارسوا علينا أشد أنواع الضغط والضرب. لم نستسلم، ولم نرضخ لما يفعلونه بنا، ولم نعاتب أو نلوم بعضنا بعضاً. جلدونا كانوا أتراكًا، يمارسون التعذيب بجنون، ويتعاملون معنا كأعداء، فقط ليخنفوا إرادتنا ويقتلوا قضيتنا ويصغروها ويخمدوها في داخلنا.

بهذه الطريقة كانوا أيضاً يرهبون المحامين والصحفيين والمتقنين وكل الحقوقيين، الذين كانوا ينالون نصيبهم من الضرب والتهديد.

بعد تلك الحادثة بعدة أيام، جرى جلب عدد من الأشخاص الآخرين إلى السجن. ومن بينهم عدلي متيني يارج، الذي كان مسؤولاً في حزب العمال الكردستاني في مدينة نصيبين، وكذلك حسن جنكيز، وأخواه شيخ موس، ومحمد جولتين الذي كان كادرًا في حزب العمال الكردستاني، وقد تم اعتقالهم جميعاً

كل من كان يُجلب إلى مهجعنا، وبلا أي تمييز، وبحسب أسلوبهم في التعامل، كنا نتعاون فيما بيننا، فالقادمون الجدد كنا نحرص على مساعدتهم ومشاركتهم كل ما نملك

كنت أعرف الأخوين جولتين جيدًا، وهم أيضًا كانوا يعرفونني. وبحكم أنني أمضيت سنة كاملة في هذا السجن، وكنت على دراية بأجواء التعذيب هنا، وصلتُ إلى حالة يرثى لها. كانوا يخلقون شعرنًا بالكامل، وكانت هينتي هزيلة، وعظامي بارزة. ومع ذلك، كنت منشغلًا بالعناية بالوافدين الجدد

كنت أقول لهم في كل مرة: أنتم لا تعرفونني، لكنني أعرفكم جيدًا، من الرأس حتى أخمص القدمين. كانوا يعصبون عيني ويجعلونني أتجول. وحين عرفتُهم بنفسني، جحظت أعينهم وامتلأت بالدموع. شعرت بالحزن من جهة، وبحزن أكبر عليهم من جهة أخرى. احترق قلبي من الإشفاق

شعرت بقصور شديد في قدرتي، لأنني لم أستطع تقديم الخدمة الكافية لهم، فحزنت لذلك. ومن أجل أن أكون إلى جانبهم، بدأت أعلمهم وأطمئنهم، وقلت لهم: لا تقلقوا، أنتم ضيوفنا

أشير أيضًا إلى أن ما يُسمَّى بـ«حفلة الاستقبال» أو الاعتداء الأولي لم تُقم لحسن جنكيز بعد، رغم أننا كنا نتوقع ذلك. ومع هذا، قمنا بمساندته. لم نكن نتحدث كثيرًا عن تواصلنا كسجناء أو كرفاق في هذا المهجع، لكننا كنا على تواصل جيد مع الوافدين الجدد.

كان بعضنا يملك المال، والبعض الآخر لا يملك شيئًا. كل مال كان يدخل الصندوق، ويتم الإنفاق على الجميع بالتساوي. وعندما كان يُجلب إلينا معتقلون غير سياسيين، كنا نتقاسم معهم الطعام أيضًا. شعر الجميع حينها أننا نعيش حياة

متساوية، وكان البعض يُصاب بالدهشة: لماذا هذا التوافق والانسجام والتعاون بيننا؟

كان طعام المساء يُحضّر يوميًا ويُجلب إلى المهجع. وكان السجّان ينادي على بعض السجناء في المهجع، وكان عددهم ثلاثة أشخاص، عند تحضير الطعام أو عند وصوله. أما القادمون الجدد، فقد أرادوا الخروج لاستلام الطعام، لكنهم لم يكونوا يدركون ما الذي سيحدث لهم

الأصدقاء المتطوعون هم من كانوا يخرجون لاستلام الطعام، وقد رأى القادمون الجدد أن هؤلاء المتطوعين يتعرضون للضرب بدلًا عنهم. عندها أدرك الجدد سبب رفضنا خروجهم، وفهموا أن ذلك كان لحمايتهم من الضرب.

بعد تسليم الطعام، كان السجّان يغادر. حينها يبدأ الرفاق بإعداد الطعام، وخصوصًا من أجل الأشخاص الذين قدموا حديثًا ولم يكونوا معتقلين سياسيين. كانوا ينظرون إلينا باستغراب، لأن هذا الطعام القليل لا يكفي ستين شخصًا، وكانوا يعتقدون أن بعضنا سيأكل والبعض الآخر سيبقى جائعًا

الطعام الذي كان يصل إلينا كان عبارة عن القليل من حساء الفاصولياء اليابسة، وأحيانًا بعض الأرز أو البرغل. وبسبب قلة الطعام، كان الرفاق يخلطون مرق حساء الفاصولياء مع البرغل، ثم يوزعونه على ستين شخصًا بالتساوي.

كنا نقوم بذلك بروح المحبة والأخوة فيما بيننا. ومع مرور الوقت، بدأ القادمون الجدد يشاركوننا، ويتعرفون على الطريقة التي كنا ننظم بها حياتنا داخل المهجع

كنا نحن الرفاق نمنع الأصدقاء الذين وصلوا حديثاً، سواء كانوا معتقلين سياسيين أم غير سياسيين، من الخروج إلى الخارج، وذلك كي لا يتعرضوا للضرب، ولكي يدركوا أيضاً عواقب ذلك. أحياناً، عندما كنا نرى أنهم مستعدون ومتحمسون للخروج، مثلاً لإحضار الشاي، لم نكن نضغط عليهم كثيراً، بل نترك لهم حرية الاختيار.

وعندما تعمقت الثقة والتثقيف بيننا، كنا نوضح لهم الأمر بوضوح: أي خروج إلى الخارج يعني التعرض للتهديد، أي أنهم سيُخَيَّرُون بين التعاون الأمني مع السجّانين، بأن يكونوا مخبرين يعملون لصالحهم، أو التعرض للضرب. وبعد ذلك يُتركون وشأنهم.

متين يارجي لم يكن شخصاً سياسياً، لكنه كان ميسور الحال. كان السجّان يستدعيه ويُخرجه إلى الخارج، ثم يأمره بأن يكون مخبراً أو جاسوساً. ووفقاً لما رواه لنا، قال له أحد السجّانين: إذا أخبرتنا بما يحدث داخل المهجع، سنساعدك ولن نتعرض للتعذيب.

كانت إجابته لهم: الشيء الوحيد الذي أراه مما يحدث داخل المهجع هو تعذيبكم لهؤلاء الرفاق، عدا ذلك لم أر شيئاً. فقال له السجّان: لقد وضعناهم أمام خيار الاعتراف بئندهم، لكنهم لم يعترفوا، ولذلك نقوم بضربهم

فقال لهم: والله لم أكن شاهداً على شيء. عندها قاموا بضربه ضرباً شديداً. وكان يصرخ قائلاً: لا علاقة لي بهم، ولا أفهم بالسياسة. لماذا وضعتموني بين السياسيين؟ أنا لست سياسياً، وأي ذنب ارتكبته حتى أستحق هذا الضرب وهذه المعاملة؟ خذوني إلى مكان آخر غير هذا المكان.

فكانت إجابتهم ساخرين: انظروا إلى ابن العاهرة هذا، لم يمض على وجوده بينهم سوى بضعة أيام حتى أصبح سياسياً. ثم استمروا في ضربه، وبعدها أعادوه إلى المهجع.

بعد أن أُعيد متين إلى المهجع، نظرنا إليه فوجدنا أن يديه وقدميه قد تورمتا من شدة الضرب، كما كان وجهه محمراً ومتورماً أيضاً. قمنا بدهن يديه وقدميه بالمرهم، فحَقَّقْنَا عنه شيئاً من الألم. كان ممتناً ومسروراً بما قدمناه له، لكن في داخله غصة وبكاء مكبوت.

قال لنا: عندما كنت في الخارج، كنت أساعد الفقراء والمحتاجين ما استطعت، ولم أؤذِ أحداً في حياتي، ومع ذلك دخلتُ الجحيم. يا إلهي، لماذا أدخلتني إلى هذا الجحيم؟ ما السبب؟ ولماذا يسمح الله بحدوث مثل هذا الظلم وهذا التعذيب؟

باستثناء حسن جنكيز، كل من تعرَّض للأذى هنا كان له موقف مشرَّف. أما حسن جنكيز، فقد ظل ثابتاً على موقفه. ومن المعروف أن من يُطعم إنساناً ويسقيه لا يصح أن يُساء إليه. ومنذ دخول حسن جنكيز إلى المهجع، كنا نتقاسم معه كل ما نملك من متاع وحاجيات

ومن خلال كتابة التقارير ولقاءات التحقيق، كانت إدارة السجن تسعى لمعرفة كل ما يجري داخل المهاجع. كانت الإدارة تريد أن يكون كل مهجع تحت رقابتها المباشرة، إذ لم يكن مسموحاً، بحسب نهجهم، أن يخلو أي مهجع من مخبر. وكان عدد الأقسام هناك واحداً وعشرين قسماً

قام حسن جنكيز بسرعة بتقسيم مهجعنا. كنا نفهم ذلك في البداية على أنه خيانة، خيانة لا تضر بأحد. لكن، ووفق ما عشناه لاحقاً، امتد تأثيرها علينا بقسوة. فالنظام التركي في تعامله كان قائماً على صناعة الخائن أو صناعة الخيانة

وعندما كانت تُزرع عدم الثقة والخيانة بين الوطنيين، كان التحكم بهم يصبح أسهل. ففي كثير من الأحيان، عندما تنعدم الثقة بين الأحزاب أو التنظيمات الكردية، وإذا لم تتفشَّ التناقضات الحزبية فيما بينها، لما كان هناك أصلاً حاجة لوجود المخبرين

السجان الذي يُدعى يلديران قام بتوزيع المعتقلين بطريقة متعمدة، وبما يمكن وصفه بالاحترافية في القسوة. تعمد بعثرة السجناء داخل المهاجع على نحوٍ مقصود. أسعد قام بوضع المعتقلين السياسيين، من ذوي الخلفيات الحزبية المتصارعة فيما بينها، في مهجع واحد. بعض تلك الأحزاب كان صراعها قد وصل في السابق إلى درجة الاقتتال والقتل

عندما بعثهم ووضعهم وجهاً لوجه، كان المقصود من ذلك أن يتناحروا فيما بينهم، وأن يُستكمل هذا التباين الحزبي داخل السجن، ليُستخدم لاحقاً ذريعة لتعذيبهم. لكن ما حدث لم يكن كما

تمنى أسعد. فقد ارتكب خطأ كبيراً، إذ إن هذا الإجراء أدى إلى تعرّف المعتقلين على بعضهم البعض، من خلال الحديث والكتب والنقاش، فبدأت علاقات الؤام والانسجام تنشأ بينهم وتتعمق أكثر فأكثر.

عندها، نادى السجان مدير السجن وعدداً من السجانين، وطلب أن يكتب تعداد الموجودين في كل مهجع. قيل لهم إن الجميع يملك أحذية، ولا حاجة لجلب المزيد. لكن السجان ردّ بغضب: يا أبناء القحاب، وجود الأحذية لا يغير شيئاً. أقول لكم اكتبوا قياس قدم كل شخص، هذه تعليمات جاءت من الأعلى.

فتم إعداد قوائم بقياسات الأقدام. بعدها جُلبت إلينا أحذية قديمة ومهترئة لم يشترها أحد، وقاموا ببيعها لنا بسعر الأحذية الجديدة. أجبرنا على شرائها قسراً، ثم أجبرنا على ارتدائها بالقوة، رغم قدمها وسوء حالتها.

قبل ذلك كانوا يتحدثون عن السجناء الذين نُقلوا إلى المهجع، ويتعاملون معهم في البداية وكأنهم ضيوف، ويتبادلون الحديث معهم عن الأعمال التي كانت تُمارَس داخل “القاووش”، بينما كان الضرب المعتاد مستمراً في الوقت نفسه. الأشخاص الذين كانوا ينتمون إلى حزب العمال الكردستاني، قمنا باحتضانهم والتعامل معهم كضيوفنا، لأننا كنا نعلم حجم الضرب والتعذيب الذي يتعرضون له، فقمنا بمساعدتهم ومساندتهم باعتبار ذلك واجباً وطنياً

كان بيننا أيضاً من لا يفقه كثيراً في السياسة، ولم يكن يُظهر مواقف واضحة من الحماسة أو الوطنية. الحياة داخل السجن

كانت تسير في ظروف قاسية، لكننا كنا نؤمن أننا أصحاب قضية عادلة، وكنا نحاول قدر الإمكان التأقلم مع ظروف السجن والعيش ببعض الابتسامة. ورغم أننا كنا نتعرض يومياً للضرب والإهانات، لم نكن نسمح لأحد أن يستهزئ بنا أو يحط من كرامتنا.

عندما أتذكر تلك الأيام، أبتسم بيني وبين نفسي. كنا أحياناً نتبادل المزاح، خاصة في أيام الأحد. في تلك الأيام كان العساكر يذهبون للتسوق أو لتبديل المناوبات، أو تكون لديهم مشاغل أخرى. كنا نعد الأيام وننتظر يوم الأحد بفارغ الصبر، لأنه يتيح لنا التعامل مع بعضنا بهدوء أكبر. كنا نسعد، ونخفف عن أنفسنا بعض العذاب.

كان لدينا صديق يتمتع بصوت جميل، يغني لنا ويقلد حركات وأصوات العساكر الذين كانوا يأتون لضربنا. كان حميد يحمل المكينة ويتعامل معها وكأنها آلة موسيقية، ويؤدي أغاني ساخرة بكلمات تحاكي أسلوب العسكر معنا،

عندما كان حميد يؤدي هذه الحركات والكلمات المازحة، كنا نضحك، بينما كان هو نفسه يضحك بقلب حزين ومنكسر

وكان صديقنا حسن كولوچ عندما يتحدث عن ذكرياته في الضيعة أو القرية، نضحك من أعماق قلوبنا. وعندما كان يتحدث عن السمن العربي أو السمن الكرمانجي (الكردي)، كنا نضحك بشكل هستيري. كانت تلك اللحظات القصيرة كافية لتمنحنا شيئاً من الطمأنينة.

كان حسن يروي لنا قصة من طفولته: في أحد الأيام طلب من أمه قليلاً من السمن الأصيل ليضعه على الخبز، فقالت له إنهم بحاجة إلى المال لشراء بعض الأدوات، وإن والده سيأخذ السمن إلى المدينة ليبيعه، فرفضت طلبه. كان حسن جائعاً، ورائحة السمن تملأ المكان، فقرر أن يتسلل إلى المطبخ. وفي اللحظة التي أراد أن يدهن فيها الخبز بالسمن، صرخت أمه بقوة، فانكسر إناء السمن من أثر الصراخ. أخذ حسن قليلاً من السمن ووضعه على رأسه، وكانت أمه مستعجلة وغاضبة، فضربتة صفعة. حسن أدار وجهه فلم تصبه الصفعة مباشرة، لكن أمه ظنت أنه مهووس بالسمن وخافت أن يصاب بمكروه، فبدأت تصرخ وتطلب من الجيران أخذ حسن إلى المستشفى.

كان حسن لا يفهم ما يحدث، ووجهه اصفرّ من الخوف، وظن أن أمه جنّت وتريد ضربه أكثر. بعض نساء الحي فهمن الموقف وقلن لأمه: «اطمئني، لا شيء به». ثم سأل الأطفال حسن: «لماذا رأسك مدهون بالسمن؟ من دهنه لك؟» فأجابهم بالحقيقة، فضحك الجميع عليه.

كانت هذه القصص والنكات مصدر دعاية لنا، وخاصة في يوم الأحد. وفي أحد أيام الأحد، بعد الساعة الثانية عشرة، قامت إدارة السجن بفتح المهاجع. قال مسؤول المهجع، رفيق إمام أوغلو، للمدير: «الأمر أمرك»، ثم صدر القرار بأن يقوم كل سجين بكتابة رسالة إلى ذويه.

كنا نتساءل في أعماقنا، ونقول ذلك لبعضنا البعض: إنّ شيئاً ما قد يُفضي إلى مصلحتنا، وقد لا يتحقق أبداً، لا سيما حين يكون

مستورًا من قبل إدارة السجن. كنا نتمنى تلك الأمنية، لكننا كنا ندرك أيضًا أنّ ما يُقدّم إلينا قد يكون لعبةً مقصودة، هدفها تصغيرنا، والاستهزاء بعائلتنا، ووضعنا في ظرفٍ بالغ الصعوبة، لنصبح – كما جرت العادة – مادةً للسخرية والتضييق.

ضمن هذه الهواجس والتأويلات كنا نمضي وقتنا، ونكتب الرسائل. بعضنا كتب عن بعض، إذ كانت أوامر إدارة السجن واضحة: على كل واحدٍ منا أن يكتب رسالةً لذويه. فكتب أحدنا لأخيه، وآخر لأبيه. كنا نعيش حالةً من الارتياح والخوف من هذا الطلب، إذ ظننا أنهم يريدون معرفة طبيعة علاقتنا بتنظيماتنا، أو بأصدقائنا ورفاقنا

رفيقنا زينل أوزدوغان لم يكتب عنوانه في أسفل الرسالة. اكتفى بكتابة اسمه، وكنية والدته، واسم المنطقة التي كان يعيش فيها: ديريك. كانت ديريك آنذاك منطقة صغيرة، يعرف أهلها بعضهم بعضًا. سلّم كل واحدٍ منا رسالته إلى المسؤول ليقوم بدوره بتسليمها للإدارة

استدعي زينل إلى التحقيق، وسُئِل: لماذا لم تكتب عنوانك أسفل الرسالة؟ لماذا لم تدرجه؟

أجاب: ديريك منطقة صغيرة، والجميع يعرف بعضهم فيها، ولا أحد لا يعرف أمي. الاسم والكنية كافيان

فأجابه السجّان: «يا ابن العاهرة، هل أمك عاهرة حتى يعرفها الجميع؟»

كان سبب غضب الإدارة أنّ زينل تعمّد - في نظرهم - لإخفاء عنوانه الحقيقي. ضربوه ساعةً كاملة. ومنذ ذلك اليوم دخل اسم زينل أوزدوغان في أناشيد السخرية التي كانوا يرددونها، مقرونةً بالأغاني، مثل أغاني الفنان حميدو، تهكمًا به وبعائلته ذكرت الرسالة أن له شقيقين وأباً، فأصدرت إدارة السجن أمراً باستدعاء شقيقه عند مجيئهما للزيارة. فُرض عليهما حفظ نشيد الاستقلال التركي خلال يومين. وكان واضحاً أن يومين غير كافيين، وأن الهدف لم يكن النشيد، بل التضييق والتعذيب النفسي.

حسن جنكيز، القادم من مدينة نصيبين، وكان مسؤول الشباب في حزب العمال الكردستاني، تبين لاحقاً أنه مخبر لإدارة السجن. كتب تقريراً عن هذين الشقيقين، وكان ذلك سبباً مباشراً لتعذيبهما. استدعيا وقيل لهما:

إن لم تحفظا نشيد الاستقلال، سنغتصب أمكما. وإن لم تحفظاه، ستكونان سبباً لضرب جميع أفراد هذا المهجع

بهذه الطريقة فهمنا أن الضرب قادم لا محالة. لم يكن الهدف النشيد، بل إذلالنا ودفعنا إلى التوسل عند أقدامهم. كنا نعرفهم جيداً. لم يكن لتهديدهم معنى. كانوا يضربوننا كل يوم، ثم يتركوننا

كنا نقول لبعضنا: نعرف وجوه من يضربوننا، ولن يمرّ هذا بلا حساب. وكنا نحذر رفاقنا: لا تقولوا شيئاً أمام حسن جنكيز،

كونوا حذرين في حديثكم. كانت هناك خطة لمعاقبته، لكنه نجا منها

في المقاومة ضد التعذيب والانتهاكات، سواء بين الأفراد أو التنظيمات، لم تكن هناك أي مشكلة أو تناقض. فقد أمر المدعو أسعد أوكتاي بتعليمات واضحة تقضي بأن جميع طرق التعذيب والاعتداء مباحة، حتى يمارس السجنانون حريتهم في تعذيبنا. وقد استمتع الجلادون هناك بممارسة مختلف أنواع وأساليب التعذيب، وكانوا يتنافسون فيما بينهم على ابتكار طرق جديدة لم يسبق لأحد أن استخدمها من قبل. كل يوم كانت تظهر طريقة تعذيب مبتدعة جديدة يقومون بتجريبها علينا. كان التعذيب يمارس لأجل المتعة والتسلية. وكلما ابتكروا وسائل جديدة، استفاد منها الجلادون وارتفعت مراتبهم وفقاً لأساليبهم المبتكرة. وفي أيام عطلاتهم كانوا يقيمون ولائم الخمر والموسيقى، ويحتفلون فيما بينهم ويتبادلون تجاربهم في تعذيب المعتقلين مع بعضهم بعضاً، في سجن ديار بكر، مدينة آمد، كان المكان يعج بالمخبرين والجواسيس، وقد امتلأت الزوايا بهم.

كانوا يقهرون الناس الموالين للتنظيمات السياسية بلا تمييز. كل الوطنيين الكورد كانوا يُعاملون كأعداء؛ الكوادر وأعضاء جميع الأحزاب، على اختلاف علاقاتهم ومواقفهم، ورغم التناقضات بين التنظيمات، كانوا بالنسبة لهم كتلة واحدة: أعداء. وكانوا يذيقون أنصار تلك الأحزاب شتى أنواع القهر والإذلال.

ومن أجل أن نتحرر من هذا البطش، كنا ننقي أنفسنا من كل التناقضات والخصومات السياسية داخل السجن. أستطيع القول، وبقلب ثابت وصافٍ، إن الثقة كانت بلا حدود فيما بيننا نحن الوطنيين، وكنا ننسق معاً للخروج إلى العصيان والمقاومة بصوت واحد. فالجميع كان يعاني المعاناة نفسها ويشرب من الكأس ذاته، ولذلك كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً نظرة الأبطال الملحميين. الوطنيون المنبثقون عن تلك الأحزاب لم ينحنوا أمام بطشهم، أما المثال الذي أورده سليم جوروكايا في كتاب مذكرات السجن، وكان اسم الكتاب " فجر أمد"، فلم يكن قد كتب ودون كما كانت الأحداث تجري في الواقع.

الأعضاء وقيادات الأحزاب والتنظيمات الوطنية الذين أضربوا عن الطعام واستنكروا ما كان يحدث في السجن من تعذيب وانتهاكات بحق المعتقلين، خضنا معهم الإضراب وصمدنا معاً في حماية كرامتنا من تلك الاعتداءات. فعلنا ذلك كي لا نقدم أسرار حزبنا للعدو، ولم نقبل أن نستسلم أو نخدم سلطة العدو، ولم نتنازل أو نساوم على مبادئنا، ولم نركع أو نتوسل للعدو أو الجلاذ، كل معتقل كان مشروع شهادة، وكل من وُضع أمام ذلك الجلاذ كان يُعدّ عدواً للدولة، لم يكن هناك أي فرق بين المعتقلين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم السياسية.

في سجن الرقم خمسة في ديار بكر، لم يكن المعتقلون سياسيين فقط؛ كان هناك الكثير من الكورد الذين أُلقي بهم في هذا السجن لأسباب متعددة، وكانوا يتعرضون لنوع التعذيب نفسه الذي نتعرض له، وأنا على يقين بأن تلك الممارسات الوحشية كانت تُمارس على كل معتقل، بغض النظر عن تهمة أو شخصه.

وكما قلت سابقاً وأكرّر الآن: إن العلاقات بين المعتقلين، وبين الأقبية، وبين كل "قبو" وآخر، وكل مكان وآخر، كانت شبه مقطوعة. السجن كان عبارة عن علب مغلقة، ولم يكن السجن يعلم ما يحدث بجواره. حتى الحمام على السطح غادرت أعشاشها لما كانت تسمعه من صرخات المعتّبين.

وأقول هنا: ربما في تلك اللحظة كان محمد سليم جوروكايا يرى هذه الحقيقة ويدركها، لكنه رآها من منظوره الحزبي؛ فلم يكن الألم خاصاً بنا، بل بكل الرفاق في السجن. لا معنى لأن يرى نفسه أكثر وطنية من غيره من المعتقلين. لقد وقع محمد سليم في خطأ كبير في هذا الكتاب عندما أظهر التناقض الحزبي، وإخفاء أخطائه ولتسليط الضوء فقط على همجية العدو، بدأ يتهم بعض الشخصيات الكوردية الوطنية المعتقلة مثله. على الكاتب أن يصوّر الحقيقة كما هي، لا كما يشتهي، لأن هذه الحقائق ليست حكرًا على حزب ما، بل هي جزء من الذاكرة الكوردية.

عندما نقرأ آراء وقضايا وقصص الرفاق وأعضاء التنظيمات والشخصيات التي كانت في السجن، سوف نتيقّن بلا شك من حجم وصدق المعاناة التي عاشوها أو قضاوها في السجن وبذلك ستدرك الأجيال القادمة حجم التضحيات.

في مدينة آمد كان الصيف يُعرّف بلُفْح حرارته، وكان الشتاء بارداً جداً. كنّا نرتجف من شدة البرد عند حلول الشتاء، وكانت تُفتاد مجموعات منّا إلى أماكن شديدة البرودة في الساحات المكشوفة لنجبر على الارتجاف من البرد.

وكان يُقال لأحدنا: بما أنك لا تتبع التعليمات، فينبغي أن تُعاقب،
وذلك بأن تقف في الساحة في ذروة البرد.

كانَ ذلك المُعاقب يتعرّض للضرب على يديه ورجليه ومؤخرته،
وكان يرتجف من أثر الضرب وشدة البرد. كانوا يقولون: أنتم لا
تتبعون التعليمات، ولهذا تستحقون الضرب

وكانوا يقولون لنا مثلاً: ارجعوا إلى الخلف، دعوا الجدران
تنزاح من أماكنها من شدة ضغطكم عليها وأنتم تتراجعون.
وهكذا كانوا يوقفوننا في تلك الساحات، سواء في أوقات البرد
أو المطر أو الجليد.

وبعد ذلك يقولون لنا: ادخلوا في عداد الضرب أو العقوبة
الجسدية، ثم يبدوون بضربنا واحداً تلو الآخر وبانتظام. كانت
أيدينا وفرائصنا ترتجف من البرد لدرجة أننا لم نعد نشعر بها
وأحياناً كانوا يقولون: ازحفوا على بطونكم إلى أماكنكم.

في المهجع كنّا نُدْفئ أيدي بعضنا بعضاً، وبعد ذلك كانت
الحرارة تعود إلى اليد، ويتحرّك الدم في جلدنا، فيخفّ ألمنا
قليلاً. ومقابل شدة البرد كانوا يلبسوننا ثياباً شفافة، ولم يكونوا
يدفئون المهاجع. كانوا يخرجوننا إلى الساحة والطقس ثلج
ومطر، ويجبروننا على التلحف بالجليد أو على الأرض المغطاة
بطبقة من الجليد. كانت جلودنا وبطوننا تتحوّل إلى صفائح من
الجليد، وكانت عظام الحوض والظهر تكاد تتصدّع من البرد. كنّا
نسعل باستمرار، وأجسادنا تلتهب كما لو أنّها صفائح نار بعد
تجمّد طويل.

ولأجل التخفيف عنا و عما تبقى في قلوبنا من ضيق، كان أحد أصدقائي يقول مداعبًا: ها نحن اليوم أحياء وقد مرَّ يوم آخر دون أن نصاب بالعرج أو نموت. ضربونا كما يشاؤون، وحولنا إلى كرة تتدحرج بين أقدامهم. ورغم هذه الهمجية والضرب المبرح، لم نضع ركبنا على الأرض. لم ننحن، ولم نركع عند أقدام هؤلاء الأوغاد. انظروا ما زلنا واقفين. سجّلوا هدفًا في مرمانا، لكننا سجّلنا عليهم ثلاثة أهداف.

مقابل ذلك أرسلوا إلينا علبتين وإبريقين من الشاي. ومن دون شك، كانوا يقدمون لنا الشاي كوسيلة من التعذيب أيضًا. إبريق شاي بثمان مئة ليرة في ذلك الوقت، يضعون فيه قليلًا من الشاي مع ماء ساخن، ثم يقدمونه لنا وكأنه شيء ذو قيمة. وبسبب ندرة الماء ومنع الاستراحة، كان ذلك الشاي بالنسبة لنا أشبه بالدواء.

كانوا يزودون أربعين مهجعًا بالشاي، وعندما كنّا نرسل إليهم العلب الفارغة لنملأها من جديد، كانوا يضربوننا ويشتموننا

ورغم الألم كنا نداعب بعضنا، ونسخر من هذا الشاي البائس. بعض الرفاق كانوا يثيرون ذاكرتهم بما تبقى فيها من صور تتعلق بشرب الشاي خارج السجن، وآخرون كانوا يتحدثون عن طعمه، فينسجون الحكايات أو يستعيدون قصصهم القديمة معه. كانت تلك القصص تثير شجنًا في نفوس الجميع.

أما الأصدقاء الذين كانوا يدخلون، فكانوا ينفثون سجاثرهم بحرقه قلب ولوعة، ويعبرون عن فرحتهم الصغيرة تلك عبر استعادة أوقاتهم الماضية التي كانوا يعيشونها قبل أن يُسجنوا

منذ سنة 1981 تعرّضنا لتعذيب ممنهج. وفي سنتي 1982 و1983 وحتى الخامس من أيلول، كانت أساليب التعذيب تتطوّر أكثر فأكثر كلما مرّ الوقت. تم قتل الكثير من رفاقنا تحت التعذيب بأوامر مباشرة من قيادة السجن، وكانوا يكتبون في التقارير أسباب موتهم بتجاوز واستهتار. كثير من تلك التقارير كانت تُكتب بشكل ملفّق وكاذب، بحجة أن هؤلاء الأشخاص كانوا يعانون من أمراض معدية، وأنهم ماتوا بسبب مرضهم المزمن. والبعض كانوا يزعمون أنه سقط من على الدرج ومات، أو أنه انتحر.

وكانوا يُجبروننا على التوقيع بعد كل تقرير يُكتب من قبلهم، ومن يعترض أو يرفض التوقيع يتعرض للتعذيب فوراً. بعد ذلك اتخذنا قراراً وقلنا: ليقتلونا إذا أرادوا، لكننا لن نستمر في التوقيع على تقاريرهم. وأحياناً كانوا يقولون لنا: إذا لم توقّعوا فلن نستطيع الاستمرار في كتابة هذه التقارير وبالتالي سنمسح في كرامتكم الأرض.

فكانوا يجلبون الكثير من المخدرات ويعطون بعضها لبعض الرفاق عنوة. لكن الكثيرين لم ينجحوا أمام ضغوطهم المستمرة. وكانوا يقولون ساخرين: انظروا إلى هؤلاء اللقطاء... يا لعمالتهم وخيانتهم للدولة التركية، لم يعودوا يساعدوننا

وقد عرضوا أماننا مثلاً صادمًا: أبًا وابنه كانا يقيمان معاً في زنزانة واحدة، اسم الابن علي، واسم الأب كراكوز. كان الابن يُعذّب أمام عيني والده، ولم يكن أحدهما يجروّ على حماية الآخر بسبب شدة التعذيب غير المسبوق.

كنا نتساءل في أعماقنا، ونقول ذلك لبعضنا البعض: إن شيئاً ما قد يُفضي إلى مصلحتنا، وقد لا يتحقق أبداً، لا سيما حين يكون مستوراً من قبل إدارة السجن. كنا نتمنى تلك الأمنية، لكننا كنا ندرك أيضاً أن ما يُقدّم إلينا قد يكون لعبةً مقصودةً، هدفها تصغيرنا، والاستهزاء بعائلتنا، ووضعنا في ظرفٍ بالغ الصعوبة، لنصبح – كما جرت العادة – مادةً للسخرية والتضييق.

انبعث صوت من الممر يشبه صوت الجاموس، مع وقع أحذية العسكر على الأرض. لم يكن هذا مؤشر حظ جيد. الجو كان حاراً جداً، وعندما بدأوا بضربنا، استخدموا الماء علينا، ما جعلنا نشعر بالإرهاق الشديد والضغط النفسي المكثف. من الخشية كنا نتمنى أن ينتهي المصاب الذي سيحط علينا بسرعة. لنتمكن من التحرر.

فجأة، فتح جلال المهجع الباب وصرخ: «يا ابن العاهرات، اخرجوا للخارج!» عشرات العساكر حملوا الهراوات واصطفوا في الممر. وعندما هربنا نحو الساحة، بدأوا بضرب كل منا على الفور. كانت نظراتهم العدائية موجهة إلينا، وكأننا في حرب حقيقية، وكأنهم يريدون القضاء علينا وقتلنا

وفقاً لأوامر أسعد، كان التعذيب يبدأ أولاً بضرب ثلاثة إلى أربعة رفاق، ثم يتابع على الجميع. هذه المرة لم يكن هناك أي سبب، سوى الانتقام والتنكيل. بعض الضباط اقتحموا الساحة كالضباع، وبدأوا بضربنا بالهراوات على ظهورنا ووجوهنا بهدف إخراج الدم. تحولت الساحة إلى بقعة من الدماء،

واختنقنا من شدة العطش والحرارة. كثير من رفاقنا أغمي عليهم. عندما كانت أجسادنا تصطدم بالحديد، كانت تحترق وتلتصق به بسبب العرق، وكانت أذرعنا وأجسادنا وأفخاذنا تتقشر من شدة الحرق والجرح. الألم استمر لفترة طويلة، ولم نكن قادرين على الصمود أو مساعدة رفاقنا. قلوبنا كانت تتألم بالتوازي مع الألم الجسدي.

سألت العديد من الرفاق الوطنيين: «عندما كنت تُضرب أو يُضرب رفاقك أمامك، ولم تستطع حمايتهم، ما تأثير ذلك عليك نفسيًا؟»

كانت الإجابة مشتركة تقريبًا: شعور بالعار والاستحياء، وتساءلنا أحيانًا: «عندما يفقد المرء غيرته أو نخوته، ماذا «يبقى من الكرامة؟ هل تبقى إلا كرامة البقاء على قيد الحياة؟»

سألت سليم جوروكايا أيضًا، فأجاب: «كنت مرتاح البال، لقد قمت بأداء واجبي على أكمل وجه»

قلت له: «سيد جوروكايا، أنت تقول إن وجدانك كان مرتاحًا، بينما وضعونا في المهجع ذاته، وكنا نتعرض للضرب، أنت وأصدقاؤك. لماذا لم تبدي موقفًا؟ كيف كان بالإمكان أن يكون بالك مرتاحًا؟»

وذكرت مرة أخرى حادثة ضرب جاسوس، حيث تم أخذ أربعة من رفاقنا إلى المهجع رقم ثلاثة وثلاثين، المكوّن من أربعين غرفة. وعندما أخذت أنا إلى تلك الحجرة، بدأوا بضربنا هناك.

كانت الغرفة ممتلئة بكوادر حزب العمال الكردستاني، وكان السيد محمد سليم شوركايا حاضراً وكذلك رفاقه.

حينها لم يُحرّك هؤلاء ساكناً. كنا نعلم سبب ذلك: ولم يكونوا يجرون على إصدار صوت أو اتخاذ موقف. أترك الحكم على ذلك للقراء، وليس تقليلًا من شأن كوادر الحزب، بل لأبرز المثال فقط، ولأجل أن يتنبه محمد سليم جوروكايا إلى أهمية الموقف.

لو اتخذ موقفًا حينها، لوصف ذلك كنوع من البطولة. لكنني سألت هذا السؤال لكثير من كوادر حزب العمال الكردستاني، وأجابوا جميعاً أنهم لم يشعروا بالراحة أو الاطمئنان عندما كان يُعذّب رفاقهم أمام أعينهم.

كان جميع الأعضاء، سواء من كوادر حزب العمال الكردستاني أو من تنظيمات أخرى، وطنيين بالنسبة لنا، وكنا نشترك جميعاً في شعور الألم ذاته في أعماقنا. التقيت بالعديد من كوادر التنظيمات المختلفة، مثل محمد جان أرباي، رجب مرعشلي، آب دين آيا، كنعان ألباي، فرج الدين كيريجي، مصطفى كليج، طويزوس، وأمين كارداس. جميع هؤلاء أكدوا أنهم لم يكونوا مرتاحين على الإطلاق أثناء التعذيب، ولم يملك أحدهم شعور الراحة أو الاطمئنان في تلك اللحظات.

الزيارة كانت في كل مرة أسبوعياً. في ذلك اليوم تمت زيارة مهجعنا، ثم انتهت الزيارات بعد ذلك. هجير الصيف هناك كان حاداً وقاسياً بحرارته. صاح الجراد صارخاً علينا، منادياً: «يا أبناء العاهرات، اخرجوا خارجاً»، ولم نسمع إلا صرير المفتاح

عندما خرجنا من المهجع، صاح السجّان بصوت عالٍ: «الشياب التي كانت تأتي إليكم، التنظيم كان يرسلها إليكم. أنتم كلكم إرهابيون، أنتم قتلة العساكر والشرطة. تأتيكم الإمدادات من تنظيماتكم، والمهزّبون يرسلونها إليكم، ويعطونكم الأسلحة، ويسرقون الأموال. أنتم قتلة قيادتنا. قيادتنا تقول لنا: لحمهم لكم وعظامهم لنا."»

طبعًا، ليس كل يوم، ولكن كل عشرة أيام كان أسعد أوكتاي يلديران يتوعدّ، ويُخرج ما في داخله من حقد وكراهية. وكان صراخه ممتلئًا قهراً وعدائية وتجنيًا علينا

عندما خرجنا من المهجع، رأينا العساكر يصعدون عبر الدرج ويصطفّون في صفوف. قاموا بضربنا بالعصي والكابلات وبالركل أيضًا، حتى أدخلونا المهجع. لم يعد لدينا طاقة على المشي أو الوقوف على أقدامنا. بعض الرفاق أُغمي عليهم. الرفيق كابلان أُغمي عليه نتيجة ضربة قوية على رأسه أفقدته الوعي، فسقط أرضاً

عندما كانوا يرشّوننا بالماء الساخن، كانت المياه تغلي وتدخل إلى أجسادنا، وكنا نصطكّ ألمًا. في تلك الساحة اختلط الماء بدماننا، وباتت الباحة كأنها مذبّحًا. كانوا يرشّون علينا الماء، وكنا نرفع أيدينا إلى وجوهنا لصدّه. كانت قطرات الماء تتحرّك على أيدينا من شدة العطش، وكنا نحاول شربها أو تبليل ريقنا، فنمصّها بسرعة

في تلك اللحظات كان الصيف شديد الحرارة، ولأيام لم نكن نشرب الماء. جفّت أفواهنا من أثر العطش، وجفّت أحشائنا

واحتترقت. وعندما كانت قطرة ماء تدخل أفواهنا، كانت حناجرنا
المحترقة تتألم، وكنا نكاد نُغشى علينا

كان الحائط بالنسبة لنا كالسور، أو كمتاهة ندور في فلكها.
وعندما قالوا لنا: «انبطحوا وازحفوا»، اشتدت صيحاتهم على
ظهورنا. كنا نضع أفواهنا قبالة الماء المتساقط لنشرب قليلاً،
رغم أن ذلك الماء كان ملوثاً وممتزجاً بالدماء. كانت وجوهنا
حمراء من أثر الدم والضرب

ظلّ السجّان يتوعدّنا باستمرار. كان أحياناً يخفف من وتيرة
الماء المنسكب، وكأن الماء يخرج من نبع متقطع. كان يتم
ضرب البعض بضراوة، وكانوا يسخرون ويضحكون من هول
«المشهد، ويقولون لنا بسخرية: «هل أحد منكم عطشان؟

لم يجرؤ أحد على الإجابة. كلّ منا كان يعلم أن الإجابة لن تفيد،
لأن الإجابة تعني المزيد من الضرب. كانوا يعلمون أن كلّ واحد
منا كان ميتاً من العطش، ومع ذلك لم يقل أحد: «أنا عطشان»

كأن صمتنا كان يصعقهم، فتنكسر بهجتهم. كانوا يظنون أننا
سنتوسل من شدة العطش، لكن صمودنا كان شكلاً من أشكال
المقاومة، إذ زرع فينا النخوة، وكان يزيدهم خروجاً عن
أعصابهم

عندما أكتب هذه الحادثة، لا أستطيع أن أتمالك نفسي، وتنهمر
الدموع من عيني، وكأنني أعيش اللحظة من جديد، لأنها كانت
قاسية جداً. كانت الدموع تنهمر، وكأنني أخشى أن تجفّ
أحشائي بعدها

وأثناء كتابتي لهذه الذكريات، كانت ابنتي تنظر إليّ، وقالت بحزن: «أبي، لماذا تبكي؟». ولأجل ألا أنقل حزني إليها، قلت لها: «لا يا ابنتي، لست أبكي، هذه الدموع بسبب قلة النوم»

عندما كانوا يمعنون في ضربنا، كانوا يقولون: «انظروا إلى ملامح هؤلاء أولاد العاهرات». وقبل أن ندخل المهجع، قاموا بفصل أخوينا شيخموس ومحمد قلتشين عنا. ثم ضربوا شيخموس بالخيزران على يديه وقدميه. وعندما كان يتعرّض للضرب، كان وجه أخيه يزداد خيبة، ويدخل طوراً جديداً من التلاشي، ولم يكن يجروء على مساعدته، بل كان يتأوه فقط

وعندما جاء دور محمد، تعرّض للتعذيب ذاته، ولم يستطع أخوه شيخموس أن يفعل له شيئاً، سوى أن ينظر إليه عندما أخرجونا من المهجع، بدأ الرفاق الذين كانوا يتمتعون ببنية جسدية جيدة، بمساعدة الرفاق الذين كان وضعهم مزرياً. أخذوا يضمّدون جراحهم ويخففون آلامهم، لأنهم في هذه المرة كانوا مرتبطين بالرفيق شيخ موس. قمنا بدهن قدميه هو وأخيه بالمرهم، ثم قمنا بفرك جسديهما.

استدار شيخموس نحو أخيه وقال:

لقد أتينا إلى هذا الجحيم، كما هو ملاحظ وكما هو مرني أمام أعيننا. يبدو أننا دخلنا الجحيم فعلاً. انظر إلى الإنسان، ماذا يفعل بالإنسان الآخر؟ أهذا هو الجحيم؟ انظر إلى هؤلاء الناس المساكين، يتعرضون لأبشع السلوكيات من قبل هؤلاء البشر في موقع الهيمنة. عندما اعتقلنا، لم تكن بأيدينا أي أسلحة،

لكننا متنا ونحن ندافع عن أنفسنا كي لا نقع في أيدي هؤلاء
الهمج"

كان وضع هذين الأخوين مزرئياً، وكان الإحباط يسيطر عليهما.
تذكرت حين اعتقلوني، كيف تعرضت للتعذيب لمدة عشرة أيام
لمنعي من الإقرار أو الاعتراف برفاقي. في تلك الفترة كانت
عيناى متضررتين، وقاموا بإحضار أخي وتعذيبه بالقرب مني.
حينها كان ألمي القلبي والنفسي أشد من ألمي الجسدي. لم أكن
أريد أن يُعذَّب أخي أمامي، وكنت أفضل أن أكون أنا المعذَّب، بل
كنت مستعداً أن يُقتلني دون تردد.

لا شك أن كل وطني كوردي، عندما يرى كوردياً آخر يتعرض
للتعذيب، يشعر بألم روحي ونفسي قاسٍ. هذا الموقف تعرض له
كثيرون، خصوصاً في مهاجع النساء والأطفال الكورد. كان
الطفل يبكي عندما تُعذَّب والدته، ويصرخ: «لا تضربوا أمي»،
فتكون الإجابة من فم السجّان التركي: «أيها الطفل اللعين، أنت
أيضاً مثل أمك، ابن عاهرة."

لم نكن نستطيع استيعاب هول ما كنا نعيشه. وبالطبع، لم يكن
التعذيب حكراً علينا نحن الرجال فقط. ففي سجن آمد (ديار
بكر)، كانوا يعذبون النساء الوطنيات الكورديات بكل الأساليب.
وفي كثير من الأحيان كان الألم الذي يعشنه أشد فظاعة مما كنا
نتحمله نحن.

كانت الأمهات يُجلبن إلى السجن برفقة أطفالهن، وكان الأطفال
يتعرضون للضرب والسباب أمام أعين أمهاتهم، دون أن
يستطعن فعل أي شيء. وعند استعراض تجارب النساء

الوطنيات الكرديات في سجن رقم خمسة، وخصوصاً في مهاجع النساء، تظهر انتهاكات مأساوية وصادمة. جميع الأطفال الذين كانوا في تلك المهاجع عانوا من اضطرابات نفسية شديدة، وكان وضعهم أسوأ من وضعنا

كانت أيامنا القادمة أشد وطأة من الأيام التي مضت. دخل السجن أحد السجّانين البدينين، ضخم الجثة، وصرخ: «علي كراكوز، اخرج

علي لم يكن يعرف التركية ولو حرفاً واحداً. كان راعياً، يقضي وقته مع أغنامه، واعتُقل بتهمة التهريب. الله وحده يعلم كيف جاؤوا به إلى السجن، وربما كانت جريمته الوحيدة أنه لا يعرف التركية.

عندما أخرجوه، تجمع حوله عشرة عساكر. كان بعضهم يحمل الخيزرانات، وبعضهم الهراوات، وفي يد أحدهم زجاجة زيت. لم يفهم علي ما الذي سيحدث. قالوا له كلمات بالتركية، لكنه لم يدرك معناها. هاجموه فجأة، وبعد جهد مزقوا ثيابه وعَرّوه، ثم ركلوه حتى سقط أرضاً يتلوى يمناً ويسرة. أمسكوا بقدميه وكتفيه، وغمسوا هراواتهم في الزيت.

قال علي لنا:

«إذا خرجت يوماً من السجن، فسأنتقم من هؤلاء الأوغاد بطريقةٍ أو بأخرى. أنا لا أفهم في السياسة، لكنهم أنزلوا هذه المصائب على رأسي، ولم أكن أفهم لماذا يفعلون ذلك بي. أعلم أنني سأقف يوماً في مواجهة هذه الدولة. أما أنتم، فأنتم

سياسيون، وقد قمتم بما جلبكم إلى السجن، لكن ما ذنبي أنا؟
«لماذا دخلت السجن وعانيت كل هذا العذاب؟»

ثم قال:

«الله أكبر مني ومنهم جميعاً»

إن هذه الانتهاكات كان لها وقع عميق علينا جميعاً. وأمام هذه الأفعال الشائنة، وحيال هذا الظلم الفادح، كان لا بد من أخذ زمام المبادرة، والبحث عن فعلٍ مضادٍّ، وعن موقفٍ يواجه هذا الإجرام.

الدولة المحتلة، ومن أجل السيطرة على الكورد وضمان إخضاعهم، كانت تستخدم جميع الوسائل الممكنة. وكانت سياستها الأساسية تجاه الشعب الكوردي تقوم على إشعال التناقضات والصراعات فيما بينهم، وتصويرهم كأعداء لبعضهم البعض. كما كانت تعمل على زرع الأحقاد بينهم وقتل روح الثقة المتبادلة، بهدف القضاء عليهم بسهولة وفرض الاستسلام عليهم ليصبحوا خدماً وأسرئ.

وقد استخدمت، من بين الكورد أنفسهم، أتباعاً ومنفذين لسياساتها. وللأسف، ومن هذه الناحية، استطاع العدو مراراً عبر التاريخ أن يتغلب علينا، من خلال نشر الخيانة بين الكرد وإبعادهم عن الحقيقة.

وعند دراسة تاريخنا بعناية، ومن أجل استعادة دورنا في التصدي للعدو وللخونة المتربصين بنا، أولئك الذين استُخدموا

بين صفوفنا من قبل العدو، يمكننا استخلاص العديد من الدروس لإفشال مخططاته.

في سجن رقم خمسة، قامت إدارة السجن بإحكام قبضتها عبر تنفيذ خطة لبث الخيانة بالقوة والإكراه. وإشاعة الشقاق والانقسام بيننا كمعتقلين، لم تترك فرصة أو خطة إلا ونفذتها. ورغم تعدد أساليب الأذى والظلم وكثرة الحيل، وقف كثير من الكرد بثبات في وجه هذه المشاريع، ولم يقبلوا الاستسلام رغم تعرضهم للضرب الوحشي، ولم يتراجعوا قيد أنملة عن مواقفهم وثباتهم، فكانوا بحق أبناء آبائهم وأجدادهم

ومن أجل انتزاع اعترافات من السجناء، كانت إدارة السجن تتحكم بمفاصل سجن آمد عبر تقسيم أعمالها إلى لجان ومؤسسات بوليسية وأمنية هدفها التحري والقمع. وكانوا يعملون كخلية نحل؛ فكانوا يركزون على معتقلي حزب العمال الكردستاني، ويتحرّون عمّن تظهر عليه علامات ضعف أو قابلية للمساومة والاعتراف، ثم يمعنون في إيذائه

ومن بين الذين تعرضوا للأذى عدد من قادة حزب العمال الكردستاني، منهم شاهين دونمز وحيدر إقبال، وهما من مؤسسي الحزب وكان لهما تأثير كبير، إضافة إلى آخر كان مسؤول اللجنة المحلية في ديار بكر آمد.

هؤلاء الكوادر الذين كانوا متوزعين على مختلف المدن والمناطق تمتعوا بدرجة عالية من الوعي القومي والتاريخي والسياسي والثقافي، مقارنةً بغيرهم من الكوادر. ولم يقتصر هذا الوعي على الرفاق في الإدارة أو بين الأعضاء أو مؤيدي

الحزب والتنظيمات الكردية، بل إن الجميع تعرض للظلم والتعذيب والانتهاكات بهدف انتزاع الاعترافات منهم.

وفي سياق هذه العملية التي أقدمت عليها إدارة السجن وفق التعليمات، بدأت سياسة انتزاع الاعترافات بأمر من أسعد أوكتاي يالديران وزمرته. وبدأ التعذيب بقيادة ومؤسسي حزب العمال الكوردستاني، كما فُرض على المعتقلين أن يثنوا ويشيدوا بمصطفى كمال أتاتورك، مؤسس تركيا الحديثة وجمهوريةها. وقد ترك ذلك أثرًا سلبيًا عميقًا على قادة حزب العمال الكوردستاني، حتى إن بعضهم أقدم، نتيجة الضغط والإكراه الشديدين، على إنهاء حياته.

تعرض المعتقلون لمختلف أنواع التعذيب الوحشي؛ فالبعض بلغ به الألم حد فقدان الاتزان العقلي، والذين ضعفوا أمام التعذيب واعترفوا تعرضوا للاحتقار من بعض رفاقهم. وبعد ذلك وسّعت إدارة السجن نطاق استجواباتها لتشمل الأحزاب الأخرى، وأعلنت عن محاكمات بغرض التحقيق والتحري

وعندما بدأ استجوابنا، فوجئنا باقتحام أبواب السجن والمهاجع، حيث دخلوا حاملين العصي والهراوات، وبدؤوا بقراءة أسماء عدة، منها: إسماعيل آي، نوري، تركول، رجب، سيصلي، محمد جان أزيبي، إبراهيم دلماش وغيرهم، وأمروهم بالخروج. وقد تعرض هؤلاء الرفاق لأربع وعشرين ساعة متواصلة من التعذيب. وعندما أعيدوا إلى المهجع كانت أقدامهم وأيديهم ووجوههم ملطخة بالدماء.

وقد تم تعليق إبراهيم دلماش من عضوه الذكري حتى أغمي عليه، وكانوا يشدون الحبل عليه بقسوة، ولم يستطع التبول لأيام. شيئاً فشيئاً فهمنا مقاصد هذا التعذيب الجحيمي، إذ كان الهدف قتل الروح الوطنية فينا، ودفع المعتقلين إلى إنكار الوطن والشعب والتاريخ والكرد وكوردستان

وبعد عدة جلسات استجواب لأعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني

إسماعيل آي، وبوبي أثر، وبابك غول، ورفيقي إمام أوغلو، إلى جانب زيني بيتشاكجي، وحيدر ياغيت، وكادر أوزدوغان، وبأمر من قيادة السجن والسجان أسعد أوكتاي بالديران، تعرض كذلك خضر أكبالك، ومحمد گرگين، وحالف تشارفار، وحسن غاريب، وأرول داغرمانيجي لتعذيب شديد في محاولة لانتزاع الاعترافات منهم.

ورغم هذا التعذيب الهمجي، أذهلنا صمود رفاقنا وثباتهم أمام قسوة أسعد أوكتاي بالديران وحاشيته. فقد أفضلوا مساعيهم في انتزاع الاعترافات كما أرادوا. كان موقفهم ومقاومتهم صلبة يُشار إليها بالبنان، ورغم التهديدات المستمرة بالموت، وقفوا صفاً واحداً، وتمكنوا من الحفاظ على هويتهم. ويمكن القول إنهم، بهذا الصمود، أعادوا كتابة تاريخ كوردستان بأيديهم من ذهب.

الكثير من الناس ذوي الاحترام الذين انبثقوا من التنظيمات الكوردية الوطنية تعرضوا للعنف لقاء جرّهم للاعتراف، لكنهم برجولة وشجاعة فائقة صمدوا بتلك الإرادة الوطنية. أعضاء

الأحزاب والتنظيمات وقفوا أمام سياسة الدولة وباء عنفهم المركز بالفشل. الكورد الذين لم يكونوا سياسيين والذين دعت الأقدار أن يكونوا معنا، وقد أرادوا أن يصنعوا منهم مخبرين ضدنا، هذا الأمر طرح من قبل قيادة السجن، ولكن ذلك لم يثمر كون مواقفنا القومية وعلاقاتنا ببعضنا البعض كانت ذات تأثير، ولم يكن ذلك يساعدنا ليشنوا المزيد من الضغط علينا

على الرغم من ذلك، هؤلاء الناس الذين كانوا معنا، بعضهم لم يكن سياسياً، إلا أنهم أيضاً دافعوا وصمدوا ونالوا أعلى مراتب الشرف. بعض من كوادر حزب العمال الكردستاني تعرضوا أو استسلموا جراء هذا العنف المركز عليهم. بعضهم فشل في أن يصمد للأبد وبات مخبراً. لكن وللأمانة والحق يقال إن بعض الكوادر الأخرى التابعة لحزب العمال الكردستاني، برغم تعرضهم للأذى والتكيد والتعذيب، إلا أنهم دافعوا وثبتوا وصمدوا كما صمدنا.

في سجن آمد كان بعض أعضاء حزب العمال الكردستاني الأكثر تعرضاً للضعف أو الاستسلام مقارنة بأعضاء التنظيمات الأخرى. إلى أن البعض منهم، ولكي لا يصل إلى درجة الضعف والاستسلام، أحرق جسده، وأضرب بعضهم عن الطعام حتى استشهدوا، على الرغم من مأخذنا عليهم كتتنظيم

في سنوات 1980 و1981 و1982 كان يتم هناك الإضراب عن الطعام في كثير من الأحيان، إلا أن تلك الجهود لم تفلح، وعلى العكس من ذلك كانت الانتهاكات والجرائم والتكيد والتعذيب تزداد باطراد. في شهر آب 1991 عقد حزب العمال الكردستاني

مؤتمراً بصدد مقاومة السجون في سجن آمد وصيام الموت. بعض من أعضاء الحزب كانوا يقولون: عندما كنا نصمد أمام هجمات الدولة وقعدنا نضرب عن الطعام بما يسمى بصيام الموت، أخطأنا في بعض من تصرفاتنا

أليوزباشي، أو الضابط أسعد أوكتاي يلديران، عُرف بسياساته شديدة والأذى والعنف. كان ينكل بالمعتقلين في السجن. وعلى الرغم من أن الكثير من المعتقلين التابعين لحزب العمال الكردستاني أضرموا النار في أجسادهم بأساليب وأشكال مختلفة، فإنهم لم يستسلموا أو ينحنوا

فمثلاً في 10 تشرين الأول 1981 قام محمد خيرى دورموش بصيام الموت وأنهى حياته. وكان كمال بير يخاطب الشباب ويوصيهم بالمزيد من الصبر. البعض من هؤلاء الكوادر أُجبروا بشكل أو بآخر على أن يؤدوا قسماً كما مصطفى كمال أتاتورك، وكان ذلك مدعاة لفقدان الأمل لدى البعض، فأقدم بعضهم على الانتحار، وزادت حالات الانتحار.

الأخوان محمد وشيخ موسى كولتشين، اللذان كانا يناصران حزب العمال الكردستاني، وقد أُتي بهما من المهجع، ولأن بعض قادتهم أعلن الاستسلام قررا أن ينتحرا. قلنا لهم: أنتم لا تعلمون تحت أي ظرف أو حالة بدر منهم هذا السلوك، فقد تعرضوا لأقصى درجات القهر والإذلال، فالسلوك الذي يتمخض نتيجة العنف المركز لا يجب أن نعتبره سلوكاً واعياً، لأنه جاء نتيجة عنف وأذى مركز.

بهذه الكلمات حاولنا تهدئتهم كي يحجموا عن قرار الانتحار.
محمد كولتشرين قال: ليتهم ماتوا ولم يقتلوا الأمل فينا

من أي حزب أو تنظيم، على الرغم من كل الأذى والتهديد
والعنف، لم يذهبوا إلى المحكمة ولم ينكروا شعبهم ووطنهم ولم
يخبروا عن زملائهم، بالرغم من محاولات العدو والدولة النيل
من هيبته. إلا أن البعض، وهذا البعض استثناء، لم يستطع كما
الآخرين أن يصمد حتى النهاية.

في كل تنظيم، وفي مختلف التنظيمات، قَدَم الكثير منهم شهداء،
وتطَوَّعوا لتنفيذ العديد من العمليات الاستشهادية. البعض أقدم
على صيام الموت، والبعض الآخر أحرق نفسه، وآخرون شنقوا
أنفسهم، وبعضهم توفي تحت التعذيب، وآخرون قطعوا
شرابيينهم وأوردتهم بأيديهم

كل هذه الأعمال كانت من أجل حماية الذات وحماية النخوة
والشرف، ومن أجل الصمود في تلك القيم التي كانوا يدافعون
عنها باستماتة. وكان كل ذلك في مواجهة العدو، ووقفوا وقفة
حزن وشرف. وكان ذلك مدعاة لتقليل التناقضات بين تلك
الأحزاب، فعاشوا حالة من الوحدة والوفاق داخل السجن وأمام
العدو ومحاكمه، حيث كانوا يقفون وقفة عز في وجه همجيته

صنعوا وحدتهم وهم يتعرضون في آنٍ واحد لمزيد من الأذى،
وكانوا يحاولون ألا تتسلل مشاعر عدم الثقة إلى دواخلهم.
وكانت هذه الثقة واليقين بالنصر مدعاة فخر، كما كانت مصدر
إلهام لبروز الانتفاضة واستمرار العمل

إلى أن قامت قيادة السجن بنقل وتفريق الذين كانوا يقيمون في المهاجع من أعضاء ومناصري التنظيمات، إلا أنهم كانوا جميعاً يعانون من المرارة نفسها، ولم تخمد في داخلهم شرارة الأمل. وقد عرفوا وتيقنوا في النهاية أن الدولة لم تكن تستهدف حزباً بعينه، بل كانت تستهدف جميع التنظيمات القومية الكردستانية

هذا الأمر كان يجعلنا نشعر بأهمية ما نفعل، وكان ما نقوم به مدعاة فخر وتعزيزاً للمقاومة. وهذا ما جعلنا لا نعود إلى تلك التناقضات التي كانت قائمة بيننا قبل دخول السجن، بل توحدنا من أجل هدف واحد: ألا نضعف أمام العدو.

كنا نتضامن ونساعد بعضنا بعضاً بروح الوحدة والانتماء. وبعد الانتفاضة، كان جميع السجناء يعيشون قدرهم عن قناعة. ورأينا أن الحمايم التي غادرت أعشاشها قسراً، وعندما فتحت المهاجع، عادت من جديد. وكان ذلك بالنسبة لنا يقيناً بعدالة قضيتنا، وإيماناً بأن ما بعد الظلام لا بد أن يأتي النور

ثم تطرّق الحديث إلى حوادث الانتحار لدى السجناء السياسيين كان للانتحار معنيان أساسيان في ذلك السياق

الأول: عندما كان العدو، بتدبير سياسي، يسعى إلى إضعاف الشخصيات الوطنية عبر التعذيب والانتهاكات، بهدف قتل الروح الوطنية بطرق همجية، كانوا ينتزعون الاعترافات بالقوة، ويحولون الوطني إلى “خائن” حتى يفقد جدوى مقاومته

الثاني: عندما يُجبر المعتقل على التعاون الأمني

عندها كان الانتحار يُنظر إليه كأسلوب مقاومة، أو كوسيلة لإثبات عدالة القضية في مواجهة همجية العدو

كان يُطرح الانتحار بوصفه ردّ اعتبار أمام الإذلال والممارسات الوحشية والمظالم الكبرى بحق السجناء.

كان السلاح هو الجسد، سلاحنا هو جسدنا لم يكن كثير من المعتقلين يرون خيارًا آخر إذا شعروا بأن كرامتهم ومبادئهم على وشك الانهيار.

كان الموت، في نظر بعضهم، أقرب من خيانة القضية أو موت العمل.

أحياناً كان الانتحار يُرتكب للتنديد بالخيانة أو لرفض الانكسار

فلم يكن هناك ما هو أعلى من الروح، لكن بعضهم رأى أن التخلي عنها أهون من فقدان الكرامة والمبادئ.

استُحضرت الانتفاضة بوصفها امتداداً لتضحيات الآباء والأجداد، كميراث لا يجوز التفريط به.

واستشهد بقول مصطفى البارزاني: إما كردستان أو الفناء.

كما أُشير إلى سياسات أسعد أوكتاي يلدران داخل السجون، حيث جرى تفريق المعتقلين وفق الانتماءات الحزبية.

كان الهدف منع تماسك الروابط بينهم ومنع نمو الشعور القومي، عبر زرع الفرقة والريبة.

لكن كثيرًا من السجناء أدركوا أن التعذيب يُمارَس على الجميع بلا استثناء، وأن العدو لا يفرق بينهم.

هذا الإدراك عزز التعاطف والتضامن، وأفشل سياسة التفريق، وأسهم في ترسيخ وعي قومي أوضح وموقف موحد إزاء الانتهاكات.

بعد مرحلة بعثرة المهاجع، وصلت الأمور إلى حد لا يطاق من الأذى حيث ازدادت وتيرة الانتهاكات وازدادت وتيرة التعذيب، ومع مرور موجة الانتهاكات، أصبح السجن عبارة عن مركز للاستجواب. تم استجواب الحقوقيين وانتزاع الاعترافات منهم، وكانت تتم التجاوزات خارج الأصول والأعراف القانونية. في ذلك الوقت لم يكن هناك أي أساس قانوني للاستجواب وانتزاع الاعترافات.

فمراكز السيادة التابعة لتركيا أو مراكز القرار التركي، عندما كان يتعلق الأمر بقضية الكورد ووطنهم كوردستان، لم يكن يعرفون أي شيء يتعلق بالقانون، وكانوا ينسون ما يتعلق بالأصول والأعراف الإنسانية.

هذه الدولة منذ أن وطأت أرض الأناضول وكوردستان كانت عبارة عن دولة بلا وطن وبلا شعب، ولأجل أن تقوم بتوطيد وجودها في تلك الجغرافيا، رأوا أن إخماد صوت الكورد وثورتهم وحقوقهم هو أساس وجودهم ككيان على تلك الأرض.

كانوا يجدون وجودهم من خلال قمع الكورد، السجن رقم خمسة كان وصمة عار في جبين التاريخ وعلى جبين تلك الدولة، فكل

أب أو ابن هنا يطالب بكيانه القومي أو الثقافي كان يتعرض لأقصى أنواع الانتهاكات والتعذيب، من التهجير والإبادة. وكانت تمارس كل تلك السياسات في كافة مناطق كردستان، في منطقة زيلان، في آمد، ديرسم، وفي آغري. حتى الرضع لم يسلموا من الموت أو القتل، وكان كثير من الأطفال يمشون حفاة، جوعى وعطشى، بين الثلوج، حيث شهد ذلك البياض هجرة الآلاف في ظل هذه المصاعب

بعد ثلاثة أشهر تحت المراقبة، وتحت أعيننا، مع الاستجابات والتعذيب من الأمن أو الشرطة، كنا نقول: كل شيء انتهى، سنبقى في ذلك المعتقل وسنظل تحت وطأة تلك العقوبات، إلى أن شعرنا بالفعل أننا في جحيم. وهذا الجحيم لم يفارقنا، حيث توالى علينا المصائب العظيمة التي كان يذيقها لنا رجال الشرطة بلا وجه حق.

وهنا انبرى أسعد أوكتاي يلدران قائلاً: "هذا السجن مدرسة عسكرية، وأنتم مجرد عساكر سذج، ونحن هنا لنقوم بتدريبكم وتربيتكم. أنتم هنا كمجرد عساكر تتلقون النهج العسكري. وكانوا يقولون لنا: "أنتم تقومون بتلقي التعليمات وتنفيذها. وعندما كنا نحاول مسايرتهم، كانوا يقولون: "أنتم لا تقومون بعملكم على أكمل وجه"

كانوا يضربوننا بكل الأشكال، ونتلقى منهم الشتائم القذرة. الهدف لم يكن التقويم، بل الإذلال والقهر الذي لا نهاية له. هدف المحتل هو أن يجعلنا نستسلم، وعندما كانوا يعلمون أن

الاستسلام لم يكن خيارنا أو لم يكن عملنا، حاولوا أن يتخذوا منا عبيداً وبدأوا بمرحلة الاستجواب.

ولأجل أن يُوضع المرء ضمن الاستجواب، كان يجب على الحاكم أو القاضي أن يصدر القرار، ووفق ذلك كان السجن وقيادة السجن، باعتبارها الجهة المنفذة للاستجواب، يقومون بانتهاك الحقوق الإنسانية هناك

وفي تلك العملية كانت المحكمة العسكرية تعطي الحكم بطريقة بعيدة عن أي عدالة، وكان المرء يشعر وكأن الإدارة والمعتقل باتا مؤسسة واحدة في سجن آمد. ولأجل أن تُكسر إرادة الإنسان، كان يتم استجوابه بغية إذلاله، ويتم إسماعه صوت الحكم من خلال أذنيه

قيادة السجن، وهؤلاء المحتلون أو القيادة التي تتصرف بوجهها الحقيقي وهو الاحتلال، كانوا يقومون بالاستجواب. وكانت الادعاءات تُقدّم من المخبر أو الجاسوس بحق ذلك المعتقل، ووفقها يُضرب المعتقل أو السجين ويُجبر على التوقيع. كان يوضع القلم بين أصابعهم بالقوة، ويُقال لهم: سوف تقومون بالتوقيع على اعترافاتكم أمام المحكمة.

ومن يقف أمام هذا القرار أو هذه الإرادة، كان لا بد أن يتعرض لكافة أنواع الضرب، وتُسحل إرادته. كل امرئ حينما يُؤخذ إلى الاستجواب، لم يكن الهدف فقط انتزاع الاعتراف، بل كانوا يضربون زميله أمام عينيه أو يُجبرونه على أن يكون مخبراً أو جاسوساً

ومن ناحية أخرى، استمر مسلسل الانتهاكات الثقيلة، ومن ناحية أخرى كانوا يقتطعون الأموال التي كان أهلنا يعطونها لهم بغية تسليمنا لها، كان يتم إعطاءنا المبلغ الزهيد من المرسل ككل، وكانوا يستخدمون هذه الأموال في شراء الفرشات والدهان لتزيين المهاجع و الممرات بأعلام تركيا وصور آباء وأجداد الأتراك والخان والسلاطين والسلجوقيين والعثمانيين، الذين كانوا أساس تلك الجمهورية الظالمة.

كانوا يبعثون ويبددون أموالنا بها، ويجبروننا عنوة على طلاء صور زعمانهم وقادتهم.

والشعارات التي كنا نردها بصوت عالٍ جعلتنا نشعر وكأن أدمغتنا بدأت تتآكل. في كل مهجع كانت تؤدى الطقوس ذاتها، وتُمارس الشعائر نفسها؛ ففي كل مهجع كنا نكرر الأناشيد والمارش العسكري بالصوت المرتفع ذاته. وبالصوت نفسه الذي كنا نردد به المارش العسكري كنا نُجبر على قراءة الكتاب. كان ذلك الصوت يضرب أعصابنا ويجعلنا نشعر باحتقان شديد، وكان هذه الشعائر حين تُطلق بذلك العلو تحدث تماساً كهربائياً في أدمغتنا

كنا نقرأ الكتاب والمارش العسكري بصوت مرتفع، بلا إرادة ولا رغبة، حتى أصابتنا حالة من الاضطراب الذهني. ومع مرور الوقت بدأنا ننسى الكثير من الأشياء، ولم نعد نتذكرها جيداً. إلى جانب ذلك كانت الانتهاكات والإرغام على قراءة الكتاب التي تتضمن شعارات تمجد أتاتورك ورموز الدولة التركية سبباً في مضاعفة شعورنا بالاحتقان. وقد أدى ذلك ببعضنا إلى اضطراب

عقلي لأنه كان يتصرف على خلاف إرادته ورغبته، بينما أصيب آخرون بما يشبه الجنون.

لم يرغب عن بالنا أبداً ما حدث لرمزي كايا، الذي فقد وعيه بسبب التعذيب والضربة التي تلقاها على رأسه. ورغم أن جميع الرفاق حاولوا مساعدته، فقد بقي لعدة أيام في حالة من الذهول، لا يعرف ماذا يفعل، ولم يكن يدرك تماماً ما جرى له ولا حجم الإصابة التي تعرض لها، إلى أن تم إخلاء مهجعنا وجلب سجناء جدد.

كما بدأوا يتجسسون علينا لمعرفة ما كنا نتحدث عنه، وكانوا يتابعون تفاصيل حياتنا اليومية عبر مخبريهم. ثلاث مرات جاءوا بمتين يارجي وأخرجوه إلى الخارج. قاموا بضربه لأنه رفض أن يكون مخبراً أو أن يتعاون معهم أمنياً. تلقى ضربة قوية على وجهه، فسقط أرضاً من شدتها، وانتفخ وجهه واعوج، ولم يعد يدرك ما جرى له بعد تلك الضربة

بعد ذلك كتبوا اعترافاً كاذباً يفيد بأنه سقط على الأرض من تلقاء نفسه، أي أنه لم يتعرض لتلك اللكمة. ثم أصدروا أمراً يقضي بأن يكون جميع من في القاوش أو في المهجع شهوداً على أنه وقع وحده ولم يعتد عليه أحد. لم يوقع أحد منا على ذلك، وهو أيضاً رفض التوقيع. وبسبب ذلك عوقبنا ثلاثة أيام، وتلقى هو العقوبة نفسها، ولم يُنقل إلى المستشفى رغم أنه كان بحاجة ماسة إلى عملية جراحية

وعندما سأله الأطباء لاحقاً: ماذا حدث لك؟ ولماذا تأخرت في المجيء؟ أجاب متين: إن العساكر هم من ضربوني، وهم سبب

تأخري. كان الأطباء يعلمون الحقيقة، لكن حالهم كان مثل حالنا؛ مجبرين على تنفيذ ما يُطلب منهم

جلبوا الأب وابنه إلى القاوش. لم يكونا يعرفان التركية، ولم يكونا يجيدان القراءة والكتابة. كانا يعيشان في القرية ويعملان في رعي الأغنام، لكنهما ذاقا نصيبهما من التعذيب في السجن

قال لهم العساكر: لديكما مهلة يوميين لحفظ اثني عشر بيتاً من نشيد الاستقلال. حاولنا أن نترجم النشيد لهما إلى الكوردية، لكنهما لم يستطيعا حفظه. في الحقيقة، لم يكن حفظ النشيد سهلاً حتى بالنسبة لنا، رغم أننا كنا نسمعه يومياً. ومع ذلك، كان العساكر يجدون دائماً ذريعة لتعذيبنا؛ فكانوا يختبرون بعضنا ويأمرونا بترديد النشيد أو القسم. ومن لم يعرفه، أو أخطأ في نطقه أثناء ترديده، كان يتعرض للضرب، وغالباً ما يُعاقب بسببه جميع من في المهجع.

-أثر حوادث الخارج على الداخل:

كان أي حادث يقع خارج السجن تحت إدارة النظام التركي ينعكس علينا داخل السجن. فكل من يتعرض للظلم من قبل هذه الدولة، وكل من يقف في وجهها، كان يُعدّ عدواً في نظرها. ولهذا كانوا يفرغون غضبهم وأذاهم على كل من يقع بين أيديهم

في أحد الأيام، في مطلع شهر آب من عام 1982، وكان الحر قد بلغ أشده، كانت موجة التعذيب في تصاعد. فجأة دُفعت المفاتيح في الأقفال، وانفتحت أبواب الزنازين على نحو دراماتيكي. دخل

العساكر وهم يحملون الهراوات والعصي، وبدأوا بضرب
المعتقلين بعنف ووحشية

صرخوا بغضب: إذا كان بينكم أرمن فليقدموا الآن.

لم يجب أحد. لم يكن لدينا راديو ولا تلفاز ولا صحيفة تنقل لنا ما
يحدث في الخارج، ولذلك لم نكن نعلم شيئاً عما يجري. غير أن
أحد العساكر أفصح عما يحدث؛ فقد قال إن هناك تنظيماً أرمنياً
يُدعى «الأصالة» يعادي الدولة التركية وينفذ عمليات اغتيال.

عندما لم يجب أحد، صرخ أحد الجلادين: سواء كنتم أرمناً أم
كورداً، لا فرق لدينا، فأنتم جميعاً أعداء. ليخرج كل من في
المهجع إلى الخارج.

أخرجنا إلى الساحة، وبدأوا يضربوننا ضرباً مبرحاً؛ يلكموننا
ويركلوننا، فرادى وجماعات، ويمعنون في إيذائنا

ثم صاح أحد العساكر: الآن سنخرج الأرمن من بينكم إلى
الساحة. اصطفوا جميعاً بمحاذاة الجدار.

بعد ذلك أمرونا بأن نتعري، أي أن ننزع ثيابنا. ومن كان يتردد
في خلع ملابسه كان يهجم عليه ثلاثة أو أربعة عساكر فيمزقون
ثيابه وينزعونها عنه بالقوة. جرد الجميع من ملابسه

كانوا ينظرون إلى الأعضاء التناسلية للمعتقلين؛ فمن لم يكن
مختوناً اعتبروه أرمنياً، ومن كان مختوناً عدّوه كردياً. وبهذه
الطريقة كانوا يحاولون التمييز بين الأرمن والكورد داخل

السجن، إذ كانوا يعلمون أن غالبية الكورد مسلمون ويُختنون منذ الصغر.

ولهذا أخذوا يتفحصون الأعضاء التناسلية لكل معتقل على حدة. وبعد تلك الحادثة أصبح تعرية المعتقلين أمراً متكرراً، كما كانوا يهينون التوابيت تحسباً لما قد يحدث.

لكن الحقيقة أن بعض العائلات الكوردية، بسبب الفقر وسوء الأحوال المعيشية، لم تكن قد ختنت أبناءها. ولهذا وقع بعض المساكين ضحية ذلك الفحص؛ فعندما لاحظ الجنود أنهم غير مختونين فصلوهم عنا، ظناً منهم أنهم أرمن.

قاموا بفصل هؤلاء عنا، ولساعات طويلة أوغلوا في تعذيبهم. وبالطبع يعلمون مسبقاً أنهم ليسوا أرمناً، بل كورداً. لكن في عقليتهم، وفي روحهم المشبعة بالعنصرية والكراهية لكل من هو غير تركي، لم يكن هناك فرق بين أن يكون ذلك الشخص كوردياً أم أرمنياً.

تمّ الاعتداء عليهم بشكل أشد، وهي عادة درج عليها السجّانون مع كل من يصل حديثاً إلى السجن. زاد الأمر سوءاً أنهم لم يكونوا يتقنون اللغة التركية. كان الأب وابنه يتعرضان للضرب معاً داخل المعتقل.

في كل مرة كانوا يُخرجوننا إلى الساحة، كانوا يختارون أشخاصاً بعينهم ويعتدون عليهم بالضرب أمام الجميع، وبأساليب مختلفة من التعذيب. وعندما أدخل الأب والابن إلى المهجع، أخرجنا نحن إلى الساحة، وهناك بدأوا بضربهما

وضعوا الأب في جهة اليمين، وانهالوا عليه بالعصي من عشر إلى عشرين ضربة على يديه. ثم أمروه بالانحناء، وراحوا يضربونه نحو عشرين مرة على مؤخرته. بعد ذلك قالوا له: “أزحف على بطنك”، وطلبوا منه أن يتخذ وضعية الاستعداد للضرب على قدميه، فانهالوا عليه مجدداً من عشرين إلى ثلاثين ضربة على أسفل قدميه.

كانت ملامح الألم واضحة على وجه الأب والابن. كان قلب الأب يحترق وهو يرى ابنه يتعذب أمام عينيه. الابن، علي كركوز، كان يتعرض للأذى والظلم أمام نظر والده، بينما كان الأب عاجزاً، يراقب المشهد بقهر وألم عميقين. لم يستطع أي منهما حماية الآخر. لم يكن الأمر مجرد معاناة جسدية، بل كان قهراً وإذلاً لمتعدين.

كنا نتعرض للضرب بالعصي والكرباج على أجسادنا، حتى تحمر جلودنا وتظهر آثار الضرب بوضوح. وبعد أن يُفرغوا ما في نفوسهم من قسوة وانتقام عبر التعذيب، كانوا يعيدوننا إلى المهجع.

مرّقوا ثيابنا حتى أصبحت كأنها كومة قش في المهجع. كان الأب والابن يحتضنان بعضهما ويبكيان، ونحن كنا نستيقظ وننظر إليهما بصمت. كان ذلك الصمت مؤلماً، لأنه كان يعني أننا عاجزون عن حماية بعضنا البعض. لم يكن بوسعنا أن نقدّم سوى نظرات التعاطف، وكانت تلك أقصى ما نستطيع فعله.

ومع مرور السنوات، لا تزال تلك اللحظات حاضرة في ذاكرتي، كأنها حدثت بالأمس. ما زلت أشعر بالحزن ذاته، وكأن الزمن لم

يمض. رغم كل ذلك التعذيب الوحشي والممنهج، لم ينحن الأب والابن، ولم يتوسلا لجلاديهما.

كان موقفهما، كما مواقف كثير من المعتقلين من مختلف التنظيمات، واضحاً في مواجهة الأذى. بعضهم رأى في نفسه بطلاً للمقاومة، لكن شجاعة الأب والابن كانت محط تقدير الجميع. لقد نالا احترامنا وتبجيلنا، لأنهما واجها الإذلال والقهر بثبات.

استمرت سياسة التعذيب والتنكيل بنا دون توقف. ومع ذلك، كانت مقاومة المعتقلين، على اختلاف انتماءاتهم، محط أنظار الجميع. كانوا أشبه بأبطال على مسرح قاسٍ، يمتلكون إرادة وصلابة رغم اختلاف عقائدهم وآرائهم. وقفوا جميعاً موقف عز وصمود، وجسدوا مقاومة الكورد في وجه الإهانة بأصدق صورة.

في تلك الظروف، لم يكن هناك مجال لنقد التنظيمات أو إثارة الخلافات الداخلية. رغم كل ما مررنا به من سيناريوهات التعذيب، لم نستسلم، ولم ننجرّ إلى صراعاتنا البينية. ومع ذلك، ندرك اليوم أن تعاملنا بعدائية كتتنظيمات كان خطأً كلّفنا أثماً باهظة.

إن أي سياسة تُبنى على الأكاذيب مصيرها الفشل. ولهذا قررت أن أدون هذه الحوادث بأمانة، لأكشف تلك التناقضات. لم يكن لكتابتي أي دافع سياسي أو أيديولوجي، رغم أن أصدقائي كانوا يدركون حساسية ما أدونه. كان هدفي الأساسي توثيق الجرائم

والانتهاكات التي ارتكبت بحق معتقلي الرأي في سجن ديار بكر.

كان ذلك بالنسبة لي مسؤولية تاريخية: فضح همجية الدولة، والمطالبة بمحاسبة المسؤولين عن هذه الأفعال. وأكد مجدداً أن ما جرى بعد انقلاب عام 1980 في تركيا كان تعذيباً ممنهجاً ومخططاً تستهدف التنظيمات الكردية.

بعض المعتقلين كانوا أصحاب خبرة، وآخرون لم يكونوا كذلك، ولم تكن الثقة متبادلة بينهم. ومع ذلك، كنا جميعاً عقبة في وجه السجان، رغم أخطائنا.

عند الساعة السابعة صباحاً، كان أفراد المهجع يستيقظون لحلاقة ذقونهم قبل الذهاب إلى المحكمة. بعضهم كان يؤخذ إلى المحكمة، بينما يستعد الآخرون. وكان البعض يُجبر على ترديد الشعارات والأناشيد التركية.

ولكي يتجنب الأب والابن التعذيب مجدداً، حاولا حفظ بعض الكلمات والأناشيد التركية. قمنا نحن بتعليمهما، علّ ذلك يخفف عنهما الضرب في ذلك الصباح القاسي.

في يوم المحاكمة، تمت قراءة أسماء الأب وابنه. كان التحدث بالكوردية ممنوعاً منعاً قاطعاً، ومن يضبط وهو يتحدث بها كان يتعرض لتعذيب شديد. قبل صعودهما إلى قاعة المحكمة، قمنا بتحذيرهما وتعليمهما بعض الكلمات التركية، حتى لا يتعرضا للضرب.

في كل مرة كنا نُقتاد فيها إلى المحكمة، كانوا يُخرجوننا من المهجع وفق تعداد معين، اثنين اثنين، ويفرضون علينا أن نسير كما يسير الجنود. كان كل شيء خاضعاً لمزاج العساكر؛ إن قالوا “انبطحوا” انبطحنا، وإن قالوا “قفوا” وقفنا، وأحياناً كانوا يأمرُوننا بالاستلقاء على ظهورنا. وحتى لحظة خروجنا من السجن، كانوا ينهالون علينا بالعصي والخراطيم، ويغمرُوننا بالشتائم والتهديدات

كانوا يكررون علينا الأوامر: “تحدثوا فقط بالتركية، ولا تذكرُوا الطعام أو أي شيء آخر.” وعندما ندخل غرف الزيارة، كان هناك عسكري يراقبنا ويتنصت علينا. إذا سمع أي كلمة مخالفة للتعليمات، كان يعاقبنا فوراً؛ إما بالركل أو الضرب أو بإجبارنا على الجلوس بشكل مؤلم

في إحدى الزيارات، جاءت والدّة علي كركوز لرؤيته. لم تكن هي ولا ابنها يجيدان التركية. قالت له بالكوردية: “علي، يا “ابني، كيف حالك؟

علي لم يجرؤ على الرد، ثم قال بصوت خافت وبطيء: “أنا بخير

كانت الزيارة لا تتجاوز دقائق قليلة، وأحياناً أقل، وكان الحديث يتم همساً، كأننا نخشى أن يسمعا الهواء.

بعد انتهاء الزيارة، كنا نُعاد إلى المهجع وسط ترديد الشعارات والأوامر العسكرية. وقبل إدخالنا، كانوا يجبرُوننا على خلع

أحذيتنا وملابسنا، ويمزقون ما علينا من ثياب، ثم ينهالون علينا بالضرب: بالعصي، والخراطيم، والكرباح، بلا رحمة

بعد عودتنا، روى لنا علي كركوز ما حدث معه. قال: عندما رأته أمي، سألتني: “كيف حالك يا ابني؟” لم أستطع أن أقول شيئاً، فقط قمت بهز رأسي

لاحقاً، جاء أحد السجّانين ونادى: “الأب والابن اللذان لا يجيدان التركية، ليخرجا!

لكن لأنهما لم يفهما، لم يتحركا. ازداد غضب السجّان وبدأ يصرخ: “لماذا لا تخرجون؟

أجابه أحد المسؤولين: “إنهما لا يفهما التركية

اقترب السجّان منهما غاضباً، وأمرهما بالخروج. وما إن خرجا، حتى بدأ يصرخ بالشتائم: “يا ابنا العاهرة

علي، الذي لم يفهم المعنى، كرر ما سمعه كما هو: “يا ابن العاهرة”!

السجّان صرخ: “هل تشتمني؟

فرد علي، مقلداً: “هل تشتمني؟

فقال السجّان: “أيها العاهر

فكرر علي: “أيها العاهر

كان المشهد غريبًا ومؤلمًا في آنٍ واحد. كنا نكاد نضحك من غرابة الموقف، لكننا لم نجرؤ على رفع أصواتنا، فكل شيء هناك كان يمكن أن يتحول في لحظة إلى سبب لتعذيب جديد سأطرق في الحديث عن حوادث الانتحار لدى السجناء السياسيين.

كان للانتحار معنيان أساسيان في ذلك السياق:

الأول: عندما كان العدو، بتدبير سياسي، يسعى إلى إضعاف الشخصيات الوطنية عبر التعذيب والانتهاكات، بهدف قتل الروح الوطنية بطرق همجية.

كانوا ينتزعون الاعترافات بالقوة، ويحولون الوطني إلى “خائن” حتى يفقد جدوى مقاومته.

الثاني: عندما يُجبر المعتقل على التعاون الأمني

عندها كان الانتحار يُنظر إليه كأسلوب مقاومة، أو كوسيلة لإثبات عدالة القضية في مواجهة همجية العدو.

كان يُطرح الانتحار بوصفه ردّ اعتبار أمام الإذلال والممارسات الوحشية والمظالم الكبرى بحق السجناء.

”كان السلاح هو الجسد، سلاحنا هو جسدنا“

لم يكن كثير من المعتقلين يرون خيارًا آخر إذا شعروا بأن كرامتهم ومبادئهم على وشك الانهيار.

كان الموت، في نظر بعضهم، أقرب من خيانة القضية أو موت الأمل."

أحياناً كان الانتحار يُرتكب للتنديد بالخيانة أو لرفض الانكسار

فلم يكن هناك ما هو أعلى من الروح، لكن بعضهم رأى أن التخلي عنها أهون من فقدان الكرامة والمبادئ

استُحضرت الانتفاضة بوصفها امتداداً لتضحيات الآباء والأجداد، كميراث لا يجوز التفريط به

كان سجّانو سجن ديار بكر على درجة عالية من الظلم والوحشية. كانوا يقولون لعلّي عبارات تركية، وكان يرددها دون أن يفهم معناها، لأنّه لا يجيد التركية. كنا نكاد نموت من الضحك مما يحدث، لكننا لم نكن نجرؤ على رفع أصواتنا، رغم أنّ السجّانين كانوا يعلمون أنّ علي لا يقصد السخرية، بل يكرر ما يُقال له لعدم فهمه.

ومع ذلك، كان يتعرض لضربٍ مبرح، ليس هو فقط، بل والده أيضاً. وكلما حاول التحدث بالكردية، كان يُضرب، وكنا نحن أيضاً ننال نصيبنا من العقاب. أحياناً كانت العقوبة تُفرض على المهجع كاملاً، رغم أن الخطأ فردي.

في أحد الأيام، التفت علي إلى مسؤول المهجع وسأله:

أنا لم أفهم لماذا يضربونني؟ كنت فقط أكرر ما يقوله العسكر

كنا على وشك الانفجار من الضحك، حتى آلمتنا بطوننا

فقلنا له: "هل كنت تعلم ماذا كنت تردد؟ كانوا يشتمونك، وأنت كنت تكرر شتائمهم، لذلك كانوا يضربونك أكثر"

فأجاب علي: "أقسم بالله لم أكن أعلم أن ما يقولونه شتيمة. مع ذلك حسناً فعلت بحقهم"

لم نكن نعلم: أنضحك أم نبكي على تلك الحادثة

في مثل هذه اللحظات، كان يجب أن نبكي لا أن نضحك

لاحقاً، أخرجنا إلى الساحة. صرخ أحد السجّانين

"يبدو أنكم لا تحبون لحن نشيد الاستقلال"

ثم نادى أحد المعتقلين: "تعال إلى هنا، هل نسيت النشيد؟

كان المعتقل سياسياً. وقف باستعداد عسكري وقال

-نعم سيدي، لقد نسيت

ثم أضاف: "في الحقيقة، لا يعجبني لحن هذا النشيد

هل تستطيع تغييره؟

فأجاب: "لا أفهم في هذه الأمور، سيدي

فقال له العسكري: غنّه على لحن أغنية

فقال المعتقل: "خدمتُ في طرابزون، ولا أعرف إلا أغنية مشهورة هناك.

قال السجّان: غَنِّها، أنا أيضاً كنت في طرابزون

فغَنّى الرجل، وأُعجب السجّان باللحن وبدأ يتمايل معه. ثم أدى نشيد الاستقلال على نفس اللحن.

فسأله السجّان غاضباً: "ما هذا اللحن؟

فأجابه المعتقل بسخرية: "هذا لحن أغنية: أبي تقدّم لخطبتك

أصبح ذلك الرجل مثلاً للسخرية من إدارة السجن وعساكرها، الذين كانوا بارعين في الضرب والقمع

كانوا يعتبرون المناضلين الكورد إرهابيين، بينما كنا نرى أنفسنا جزءاً من حركة حرية كوردستان. الحقيقة أن الدولة هي من مارست الإرهاب، بحق شعب له لغته وثقافته وتاريخه

سُلبت كرامتنا، ومُنعت لغتنا، ونُهبت أرضنا منذ زمن الآباء والأجداد الذين ناضلوا من أجل الحرية والاستقلال

وحتى اليوم، ما زالت تلك الممارسات مستمرة.

إن من يمنع شعباً من التحدث بلغته هو إرهابي :

ومن يزور الأسماء ويطمس الهوية ويمحو العلامات التي تميّز شعباً عن آخر بالقوة والإكراه هو إرهابي

ومن يمارس التعذيب، ويُمعن في إذلال السجناء، ويقتلهم جوعاً وعطشاً، هو إرهابي

الإرهابي هو من ينصب المشانق للكبار، وينتزع الأطفال من
أرحام أمهاتهم

هو من يضرب الأطفال أمام آبائهم وأمهاتهم، ويضرب الآباء
أمام أعين أطفالهم

الإرهابي هو من يُجبر المعتقلين على ارتكاب ممارسات جنسية
قسرية بحق بعضهم بعضاً

وهو من يحوّل حياة السجناء إلى قبور حيّة، مستخدماً أدوات
التعذيب والقمع بلا رحمة

لقد جسّدت هذه الممارسات أبشع صور الانتهاك الإنساني، حيث
صدرت أوامر وقوانين كرّست هذا القمع، ومن بينها ما عُرف
بالمرسوم رقم (7) الصادر عن الجمهورية التركية وإدارة
السجن، والذي شكّل غطاءً رسمياً لهذه الانتهاكات

ارتكبت الدولة التركية بحقنا انتهاكات جسيمة وجرائم مروّعة،
حتى يمكن القول إنها مارست أشكالاً متعددة من الإرهاب. فقد
أجبرت مدنيين على التحول إلى أدوات قمع، يُستخدمون
كعساكر وسجّانين ضد أبناء شعبهم.

ومن بين هذه الانتهاكات، وقعت مجازر أودت بحياة 34
شخصاً، وأصيب المئات بإعاقات دائمة أو شلل، فيما عانى
آخرون من اضطرابات نفسية عميقة نتيجة التعذيب والإكراه
على الاعترافات أو التوقيع عليها قسراً. كما دفع اليأس
بالكثيرين إلى الانتحار تحت وطأة القمع.

إن هذه الأفعال تمثل انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، والدولة تتحمل المسؤولية الكاملة عنها، سواء في القتل أو التعذيب أو التسبب بإعاقات جسدية ونفسية للمعتقلين الأكراد.

وإذا وُجدت عدالة حقيقية، فلا بد من محاسبة كل من شارك في هذه الجرائم أو أمر بها أو سهل وقوعها. ومن بين المسؤولين عن تلك المرحلة قادة عسكريون، مثل الجنرال كنعان إيفرين الذي قاد انقلاباً عسكرياً وأشرف على سياسات قمعية، بما في ذلك قرارات الإعدام.

كما أن هذه الدولة أدمت سيد رضا، رغم تجاوزه السن القانونية، حيث تم التلاعب بعمره لتبرير تنفيذ الحكم

ولم تكتفِ بذلك، بل منحت الحصانة للمتورطين في هذه الجرائم، مما سمح باستمرار الإفلات من العقاب، وأبقى الباب مفتوحاً لتكرار الانتهاكات.

إن استمرار هذه السياسات يعكس إصراراً على نهج القمع، ويستدعي وقفة جادة من أجل إحقاق الحق ومحاسبة المسؤولين.

قام العساكر في السجن بعزل حميد جازغجي، الذي كان معروفاً بوطنيته وشجاعته. قالوا له بوقاحة:

-يا ابن العاهرة، عليك أن تنكح رفيقك الآن"

قبل أن يتمكن حميد من الرد، صرخ محمد أمين كارداش بالكردية:

-اضربوا رؤوسكم بالجدران.

كان ذلك الموقف مهيناً إلى درجة لا تُحتمل، فوقف الجميع في حالة رفض واستنكار. رفض حميد هذا الأمر بشكل قاطع، ونحن بدورنا بدأنا نضرب رؤوسنا بالجدران تعبيراً عن الاحتجاج والغضب

عندها خرج العساكر من القاوش، وبدؤوا بجزّ وضرب عدد من المعتقلين بعنف. كان حميد قريباً مني، فالتفت نحونا ونظر في وجوه الرفاق، ثم قال بصوت حزين:

يا رفاق، هل درستم في المدرسة؟ أنا لم أدرس. أنتم قرأتم وتعرفون أكثر مني... قولوا لي، ماذا أفعل؟ ماذا أقول؟

ساد الصمت، وغمرنا حزن عميق. امتلأت أعيننا بالدموع، ونظر بعضنا إلى بعض بعجز.

ثم قال أحد الرفاق، محاولاً كسر الألم بنبرة ساخرة:

-لقد سجلنا هدفاً مقابل صفر "

كانت شجاعتنا هي الهدف، وكانت كرامتنا هي النصر الذي تمسكنا به دائماً، النصر الذي منحنا شرفاً لا يُهزم رغم كل القسوة.

الدولة التركية قامت بكتابة همجيتها في سجن آمد، واستمرت في تلك الأعمال على نحوٍ وحشيٍ وممنهج، وقامت باعتقال حتى الأشخاص الذين لا ذنب لهم أو لم يرتكبوا أي جناية تُذكر. وكان في مقدمة من يعتقلون هم الكورد. ولكي تحمي نفسها،

أرادت أن تظهر للرأي العام العالمي على أنها تتعامل بإنصاف مع السجناء، فقامت بتوصية السجناء وجميع أعضاء إدارة السجن بالبدء بإجراءات شكلية، خاصة في سجن آمد، المعروف أيضاً بالرقم خمسة. فقاموا بتمرير وجوهنا عبر الكاميرات التلفزيونية، وكذلك حاولوا أخذ شهادات من العائلات لمساندتهم، تفيد بأنه لا توجد اعتقالات أو انتهاكات أو تعذيب في ذلك السجن، وأن إدارة السجن تتعامل مع السجناء وفق المعايير والمقاييس الحقوقية والدولية.

في تلك الصبيحة، وعلى غير عاداتهم، لم يقوموا بضربنا، بل وضعوا جميع الرفاق في أماكن مخصصة للجلوس، وشعر الجميع أن ثمة كارثة أو أمراً ما سيحدث، فجلسنا هناك على أعصابنا. عند الساعة العاشرة في المجمع، قاموا بمناداتنا. وعندما فتحوا الباب وأخرجونا، صاح السجنان: "سوف تخرجون إلى التلفزيون، وسوف تكونون كالمدّيعين في هذه اللحظة، كالإعلاميين." في تلك الهنيهة، لم يضربونا، لا في الممرات ولا قرب الباب كما جرت العادة.

عندما أخذونا إلى الممر الكبير، كان هناك ثمانية معتقلين، وكانت وجوههم مستديرة نحونا. لم أعرف أحداً منهم؛ كانت وجوههم حليلة الذقون والشوارب، لكن ملامحهم كانت تدل على أنهم جائعون ومنهكون، وبعضهم اختفت ملامح البشر من وجوههم لشدة الهزال والشحوب الذي اعتراهم

قام أحد العساكر بالدوران حولنا وقال: "هؤلاء الأشخاص الذين ترونهم هم قادة التنظيمات المهاجمة، وليسوا مجرد كوادر."

قلت في نفسي: لماذا أنا؟ اقترب أسعد أوكتاي نحوي وقال: "استديروا أمامي، ولا تتحدثوا، ولا تنظروا في وجوه بعضكم البعض، وكل ما أقوله لكم احتفظوا به في أذهانكم." ثم ذهب.

نعم، وهكذا قلت لنفسي: لماذا؟ ثم صاح السجان برفاق حزبنا بصوت عالٍ وقال: "هؤلاء جميعهم أشخاص على درجة من الأهمية." فهل كان هناك غيرهم من الأحزاب الأخرى؟

جاءنا أسعد مرةً أخرى وقال: استديروا صوبي، أودّ أن أقول لكم لماذا نصحتكم. هناك بعض أبناء العاهرات قالوا إن في هذا المعتقل يحوي التعذيب الممنهج، وقالوا أيضًا إن ثمة معتقلين ماتوا هنا وتم قتلهم وفقًا لتعليمات وأوامر القيادة وتحت إشراف مباشر. فنصحتكم، ونصحنا لعائلاتكم أيضًا: إذا أردتم أن تزوركم عائلاتكم بسعادة واطمئنان وبما أن كاميرات التلفزيون ستقوم بتصوير فيلم عنكم، وستجرى مقابلات معكم وعندما يُسألكم عن أحوالكم، تقولون: في هذا المعتقل لا توجد انتهاكات ولا يوجد تعذيب، وإدارة المعتقل تقدم لنا كافة الإمكانيات: التلفاز، والراديو، والصحف، وكذلك الرياضة؛ ونحن نمارس الرياضة، والطعام والشراب متوفران لنا. وعندما تلبّون لنا هذه الأمانى وهذه المطالب، سأفتح لكم مهجعًا جديدًا، وستعيشون فيه كالأمراء

في كلامه كان ثمة تهديد، وكان ثمة أيضًا نوع من الرشوة. كنا نعرف حقيقته وحقيقة أمثاله، وكنا نعلم أي إنسان صلف وقاسٍ ووغد ولا يُؤتمن هو، شخص لا وجدان له، وشكله يشبه الجن. وكان يعلم أننا لسنا أشخاصًا بسطاء إلى هذا الحد، ولا نخدع

بتلك الأقاويل، لأنه كان يستطيع أن يفعل بنا أي شيء، وكان يعتقد أننا من شدة الخوف سنقبل مطالبه وما يريده. ومع ذلك، لم يكن واثقاً تماماً أننا سنتبعه، وكنا نعتقد أن هذه التعليمات جاءت من جهة أعلى منه، لذلك لم يكن مطمئناً، وكان في حالة ضيق.

قبل أن تبدأ الكاميرا بالتصوير، قال أسعد أوكتاي لعساكر السجن: عندما تقوم الكاميرا بالتصوير، لا تصوبوا وجوهكم نحو الكاميرا، ولا تظهروا في حالة ذعر أو دهشة. وإذا ظهرت وجوهكم عبر الكاميرا، فإن هؤلاء الذين ترونهم أمامكم سيقومون بقتلكم، أو ستكونون ضحاياهم.

عندما سمعت أقوال أسعد، وهو يقول لجنوده إن حياتهم تحت رحمة هؤلاء المعتقلين. شعرتُ بسعادة شديدة، ولشدة تلك السعادة شعرتُ أنني سأطير، فتيقنت أنهم يخافون منا أكثر مما نخاف منهم. قلت لنفسى: هل ستبقى أعيننا دائماً نحو هذا الحائط؟ فلتكن ملامحنا ثابتة داخل هذه الجدران ولتخترقه نظراتنا الشجاعة، رغم أننا كنا أعضاء وطنيين وقوميين وتحت الاحتلال.

كان أسعد في حالة نفسية مضطربة، ولم يكن كلامه الذي وجهه لعساكره منطقياً، لكنه أعطانا دفعة معنوية هائلة، لدرجة أنني لو مت لما شعرت بالعتب أو اللوم. عندما كانوا يعذبونني ويوجهون إليّ الشتائم البذيئة، كنت أقول في قلبي: هل أستحق أن أعيش هذه الحياة؟ هل يجب أن أموت أو أقتل نفسي؟ لكنني كنت أعود وأقول: لا فائدة من الموت، لأنني قبل ذلك كنت أقف

في وجه هؤلاء الظلام. صحيح أن الحياة في هذا الجحيم ذات وطأة، لكن قتل النفس سيُحسب هروباً جباناً. لا، يجب أن أقف في وجه هؤلاء الظلام وأصمد.

في كثير من الأحيان كانت تنتابني مشاعر متضاربة بين الرغبة في الانتحار والترقب لشيء سيحدث لاحقاً. وكانت تلك جزءاً من سلسلة مقاومتنا ضد هؤلاء الوحوش. كانت هذه الأفكار تأخذني وتعيدني؛ فإذا متّ يوماً، فسيكون من الجيد أن أترك إرثاً خلفي، وبذلك أكون قد أوفيت ديني تجاه شعبي.

الذين يموتون من أجل قضيتهم القومية الكردية ومن أجل كرامة كردستان، كثيراً ما كانت تراودهم مشاعر الرغبة في إنهاء حياتهم، إلا أن إرادة المقاومة كانت دائماً أقوى. أعتقد أن الذين كانوا في السجن، والذين وقفوا في وجه تلك الانتهاكات والجرائم ورفضوها، وناضلوا من أجل حرية شعبهم، كانوا حريصين دائماً على مساعدة رفاقهم الذين يعانون مثلهم، وكانوا يتمتعون بقدر كبير من البطولة والإقدام.

أعتقد أنه في ذلك السجن لم تقع حالات انتحار أو إعدامات بدافع الانتحار؛ فلم يكن أحد يمتلك “شجاعة الانتحار”، لأن هناك قضية وصموداً كان يجب أن يُقدّما ويظهرا

في تلك الأثناء، أراد أسعد أوكتاي يلدران أن يحطم مغنوياتنا ويقتل نفسياتنا، وكان لزاماً علينا أن نفعل عكس ما يريد، وأن نرفض أوامره. لذلك اخترنا أن نتحمل المزيد من التعذيب، بل وحتى الموت، على أن نخضع لتعليماته. كنا نضع الموت نصب أعيننا.

بعد أن أدلى أسعد أوكتاي يلدران بما لديه، بدأت الكاميرا بتصويرنا. وعندما شرعت في التصوير، تراجعوا قليلاً، وبدؤوا يتأملون الجدران، وأسندوا ظهورهم إلى ما خلف الكاميرات، دون أن يديروا ظهورهم لنا، لأنهم لم يكونوا يثقون بوجودنا خلفهم، خشية أن نهاجمهم.

عندما رأيت ضعفهم، أدركت أنهم، رغم كل وحشيتهم وإيذائهم لنا، كانوا يخشوننا. عندها شعرت بأننا مصدر خوف بالنسبة لهم، ولم يعد الموت بالنسبة لي أمراً مخيفاً أو صعباً. إن متُّ، فهناك من سيكمل الطريق من بعدي، وكنت أستطيع أن أنام مطمئناً.

توصلت إلى قناعة أن حتى السجّانين كانوا يعانون من خوف ورهاب تجاهنا. وتذكّرت الأفلام التي كان الجنود الأمريكيون في فيتنام يصوّرونها، والتي وثّقوا فيها مشاهد التعذيب والانتهاكات والظلم والاعتصاب الذي مارسوه بحق ضحاياهم. وتذكّرت مقدار الغضب الذي كان يعمل في داخلنا تجاه هؤلاء القتلة.

كنت أتأمل حال الجنود الأتراك الذين كانوا، في ثمانينيات القرن الماضي، يمارسون التعذيب في سجن آمد (دياربكر)، وكان ما ارتكبه من تعذيب وإيذاء يفوق ما فعله الجنود الأمريكيون في فيتنام.

وبعد انتهاء خدمتهم، قامت الدولة بعزل كثير من هؤلاء الجنود، وتم إرسال عدد كبير منهم إلى مستشفيات نفسية وعقلية.

ومع ذلك، لم أشعر باليأس أو القنوط؛ لأنني مؤمن بأن كل من أذانا سيُحاسب يوماً ما أمام المحاكم. ولن يختلف مصير هؤلاء السجّانين عن مصير أي سجّان آخر بالغ في تعذيب المعتقلين في أي مكان في العالم. وسيشعر أبناؤهم وأحفادهم بالخجل منهم.

أما نحن، والأهم من كل ذلك، فلم نستسلم أبداً، وبقينا صامدين مرفوعي الرأس.

عادةً ما كانت هناك فئة من الناس، وشخصيات تتسم بالتقلب والضعف. ومع ذلك، فإن آلاف الأسرى الكورد، سواء كانوا سياسيين أم غير سياسيين، لم يحنوا أمام هؤلاء الظالمين، بل أبدوا صموداً استثنائياً. ففي سجن آمد القاسي، ورغم ما تعرّض له جميع المعتقلين من انتهاكات وتعذيب مستمر، لم يصل الأمر بأيّ منهم إلى الاستسلام أو التوسّل. لا شكّ أنهم كانوا بمثابة تيجان فوق رؤوسنا، وسنبقى نتذكرهم دائماً ونفخر بهم.

لماذا اختارني اليوزباشي أسعد من أجل التصوير التلفزيوني؟ عندما بدأت المرافعة، فهمت الأمر. كانت المرافعة بيد القاضي، الذي قرأ التقرير وأعاد ترتيبه بما يتوافق مع مصلحة الدولة، ثم رفعه إلى الجهات العليا. بطبيعة الحال، كان التقرير بعيداً عن الحقيقة. فقد تمّ إعداد تقارير كثيرة عن رفاقي في مختلف التنظيمات، وكذلك ضمن اللجان، وفق أهواء اللجنة العسكرية. ولم تكن هناك اعترافات حقيقية، بل كانت في معظمها ملفقة. ثم جمعت هذه المرافعات وأخرجت بطريقة تخدم مصالح الدولة العليا.

عندما بدأت الكاميرا بتصوير فيلم وثائقي عن السجناء وحياتهم، وعندما وصلت إلى أمي وأختي آسيا، قلت لهما على عجل: هل تعلمان أن التعذيب هنا بلغ حدًا شديدًا؟ لقد مررنا جميعًا بوحشيتهم. كثير من رفاقنا ماتوا تحت التعذيب. كُسرت أيديهم وأقدامهم وأضلاعهم، وتضررت أفواههم وأسنانهم وأنوفهم. تعرّض الكثيرون لكسور بالغة، وأصيب آخرون بالجنون من شدة التعذيب. لقد قضينا أيامًا وأشهرًا وسنوات هنا في الجوع والعطش.

لدي طلب واحد فقط: لا تقولوا إن أبناءنا سيكونون في مأمن من التعذيب والأذى، ولا تنطقوا بكلمة واحدة بما يُرغمونكم عليه. فإذا فعلتم ذلك، ستكونون شركاء في هذا الأذى الذي نعانیه. ربما تكون هذه الزيارة هي الأخيرة لنا، إذا استسلمتم للخوف.

قالت أختي: أنا أعلم، نحن نعلم ما يحدث معكم. أمي لا تفهم التركية، وأنا أيضًا لن أتحدث.

وقالت أمي: يا بني، يا ابني، أعلم أنهم يعدّونكم. لكن كلما جاؤوا لتهديدنا، كانت قلوبنا ترتجف منهم وتخضع. أنا أيضًا لا أنام مطمئنة، وأستيقظ فجأة في منتصف الليل على صدى صراخك، أو على كابوس أراك فيه في أسوأ حال. يا بني، لا تدع هذه الأفكار والهواجس تسيطر عليك.

بهذه الكلمات التي سمعتها من أمي وأختي، شعرت بطمأنينة كبيرة.

أداروا الكاميرا نحو أمي وأختي وسألها المذيع، لكن أختي أجابته بأنها لا تجيد التركية. لم أكن أعرف ماذا يجري داخل المعتقل أثناء الزيارات؛ لم يكونوا يسمحون لنا بالاقتراب من أهلنا أو التحدث معهم، كنا فقط نرى وجوههم من بعيد. أنهت أمي كلماتها بصمت ثقيل أربك المصوّر والمذيع، ثم كرّرت عائلات الأسرى الآخرين الإجابة نفسها تقريباً. عندها شعرت إدارة السجن أنها وقعت في الكمين الذي نصبته لنفسها

عاد الصحفيون إلى مواقعهم، وغمرتني سعادة جارفة حتى انهمرت دموعي. حاولت أن أتماسك، وقلت لأمي وأختي: لا تقلقا عليّ، لن يستطيعوا قتلنا جميعاً، سأخرج يوماً ما من هذا السجن. كان احتمال أن تكون هذه الزيارة الأخيرة لعائلاتنا قائماً، أنا والعديد من رفاقي الأسرى. لم نكن نتصور يوماً أننا سنخرج، لكننا كنا نؤمن أننا سننحرر من هذا القهر

كنا نعتقد أن من يغرق في الظلم لا بد أن ينتفض ويصمد، وأن من مات بقي حياً بروحه الحرة. كان لدينا يقين بأننا سنثور يوماً وننهي هذا العذاب. كنت أتأمل، وأخشى أن تكون هذه الزيارة الأخيرة، وكنت أبحث عن لحظة أتمرد فيها وأعلن العصيان، فريق الصحافة، بعد إنهائهم الزيارات، جاءوا متجهين نحونا وقد بدت عليهم خيبة الأمل لعدم تحقيق ما أرادوه؛ كأن صفعاتٍ قد ارتسمت على وجوههم، ولم تتحقق أمنياتهم، فتبدلت ملامحهم وبدوا مذهولين. عندما اقتربوا مني، مَدّوا الميكروفون نحوي وسألوني: هل تعرضتم للتعذيب في هذا السجن؟ فأجبت: ألا يظهر ذلك من ملامحنا؟

لم أكمل حديثي حتى تلقيت لكمة من أحدهم على ساقي، ثم داس على قدمي، فتملكني ألم شديد، وبصعوبة استطعت التماسك دون أن أسقط، وكأن صعقة كهربائية أصابتني. كتمت ألمي كي لا تصاب والدتي وأختي بالذعر.

في تلك الزيارة، لم يكن يُسمح لزوارنا بالاقتراب منا أو تفقدنا. كان العساكر داخل الكبيئات يمنعون أي تواصل حقيقي، حتى لا يرى شيء مما يحدث في الخارج. وانهالوا علينا ضرباً بالعصي على أقدامنا، فاشتد الألم بشكل لا يُحتمل. كنت أعلم أنه إن أظهرت ألمي أو فقدت السيطرة عليه، فقد تُغمر والدتي أو تنهار من شدة الخوف.

كانت تلك أول زيارة بهذا الشكل، وقد أنستني هولها كل ما سبق من ألم. وأدركت جيداً أن من ضربني لم يكونوا إعلاميين حقيقيين؛ بل كانوا جلادين يرتدون زي مصورين ومذيعين، تابعين لأجهزة الدولة وذوي مهام خاصة. وكان ذلك واحداً من سجلات الفضيحة لتلك الدولة العنصرية.

بعد انتهاء الزيارة، أخرجونا من الكبانن، واقتادنا السجناء إلى إيوان، أي إلى قاعة أوسع، وأداروا وجوهنا نحو الحائط. بعد قليل سمعنا صوت أسعد يقول: استديروا نحوي. وعندما التفتنا، رأينا أسعد أوكتاي وقد بدا واضحاً أنه أبلغ بما جرى من قبل الصحفيين. كانت سحنته مسعورة، ككلبٍ شارد، ووجهه شاحباً خائفاً، وشفاهه ترتجف من شدة الغضب.

وقف قبالتني كجندي يدخل المعركة، والتفت أعيننا عن قرب. تقدمت خطوة نحوه، فبادرني بلكمة قوية على فمي، فتكسرت

أسناني العلوية إلا سنّين. لم أشعر بالألم، لكن فمي امتلأ بالدم. قال ساخراً: هل انكسرت أسنانك؟ فأجبته: نعم، انكسرت عندما ضربتني. كنت أفكر بزيارة أمي وأختي، لذلك لم أشعر بالألم أو بتأثير تلك اللكمة.

ثم أمر السجّانين قائلاً بفظاظة: خذوا أبناء العاهرات هؤلاء إلى المهجع، لحومهم لكم وعظامهم لي. وعندما اقتادونا، انهال العساكر علينا ضرباً وركلاً وسحلاً بالعصي والهراوات، حتى مزقوا أجسادنا تمزيقاً. دخلوا في حالة من الوحشية، كأن الموت أمام أعينهم. وبعد ذلك نُقلنا إلى المغسلة.

بعض السجّانين رقت قلوبهم لما آل إليه حالنا، فأعطاني أحدهم مناديل لأنظف الدم عن فمي، ثم قال لي: لا تخبر أحداً أنني أعطيتك هذه، فهناك مخبرون بينكم. أجبته: لن أخبر أحداً، فبيننا أيضاً من هم بلا شرف. لم يفهم قصدي في البداية، ثم أدرك لاحقاً أنني أعني الجواسيس الذين كانوا يصفهم هو نفسه بأبناء الحرام.

بعدها أخذني إلى المهجع، وقال لي همساً: أريد أن أسألك شيئاً. عندما صوّركم المصوّر، وإذا قام تنظيمكم بنشر ذلك وقتل من ظهروا في الكاميرا، هل هذا صحيح؟ وعندما رأيت الخوف في عينيه، شعرت بسعادة غامرة. لم أرد أن أترك سؤاله بلا جواب، فقلت له: ربما.

ثم أضفت: أريد أن أخبرك بشيء. إذا اعتدى أحد عليك أو ضربك أمام أبيك وأمك، فهل سيبقى أهلك صامتين؟ أم سيتخذون موقفاً؟ كل ألم له ثمن.

عندما أدخلوني إلى الداخل، لم أتعرض لمزيد من الضرب؛ فقد كانوا قد أفرغوا كل عنفهم فيّ من قبل. كانت شفتي وملامحي متورمة من شدة الضرب. في المهجع ساد صمت ثقيل، وكان الجميع ينظر إلى بعضه بقلوبٍ وجلةٍ ومعنوياتٍ منهارة. ولأكسر هذا الصمت وأزرع شيئاً من البهجة، قلت لهم: أصدقائي، رفاقي، تعلمون أنني اليوم أصبحت رساماً! بدأت ملامحهم تتغير، وراحوا ينصتون إليّ. رويت لهم ما مررت به، تفصيلاً بعد تفصيل، حتى انتهيت. عندها انفرجت وجوههم وشعروا بشيء من السرور.

بعد هذه الحادثة، فُتح باب المهجع مجدداً، وأمرنا بالخروج. ارتجف قلبي مرة أخرى، وقلت لنفسي إنهم سيستهدفونني هذه المرة. وعندما خرجنا إلى الباحة، رأينا عدداً كبيراً من العساكر ينتظروننا كقطعانٍ مفترسة. هجموا علينا بالعصي والهراوات، يضربوننا بعنف، ثم عادوا يضربوننا بشكلٍ ممنهج. كانوا يستدعونني مراراً.

هذه المرة اتخذت موقفاً مختلفاً. تقدمت نحو العسكري الذي ناداني، ومددت يدي نحوه، مستعداً للضرب، وكأني أقول: اضربوني، أنا لا أخاف. ذهل العساكر من هذا المشهد، وكأني صفتهم. صرخوا: يا ابن العاهرة، أنزل يدك! من قال لك إننا سنضربك؟ قلت: لقد ضربتم الجميع حتى الآن، لذلك مددت يدي لتضربوني أيضاً.

في تلك الباحة كانت هناك قناة مياه آسنة تصب إلى الخارج. أخذوني إليها، وغمسوا رأسي فيها. كانت المياه ملوثة بالبول

والبراز، وروائحها كريهة خانقة. شيئاً فشيئاً غمرت الرائحة جسدي كله. وبينما كانوا يضربونني، شعرت بجردان تتحرك حولي، ولم أسلم حتى من عضّاتها. اختنقت، وتمنيت الموت، وقلت لنفسي إن الموت أهون من هذا العذاب. بقيت نحو خمسٍ وأربعين دقيقة في تلك الحفرة، غارقاً في الظلام والخيالات، حتى خُيل إليّ أن الجردان نفسها كفاشية تلك الدولة وسجانيها تشارك في تعذيبِي.

بعد أن أخرجوني، أحضروا شعلة نارية وهددوني بالحرق. وبسبب تلك المياه الآسنة، لم يعد حذائي في قدمي، ولا أعلم أين ذهب. كانت حرارة الصيف شديدة، وشعرت أن قدمي تحترقان من الأرض الملتهبة. جفّت ثيابي على جسدي، وكانت الرائحة الكريهة تفوح منها وتخلق أنفاسي، حتى شعرت بأن الدم يتدفق حول عيني.

ولكي أتحمّل هذه الرائحة، حاولت أن أقاومها بالخيال؛ فتخيلت روائح الورد، وتذكرت أنواعها، علّني أنسى هذا العفن الذي يحيط بي.

من أجل أن أستحم، قام رفاقي بعملٍ فدائي، إذ أمّنوا علبة ماء. حاولت قدر المستطاع أن أدلكّ جسدي برغوة الصابون، لكن الرائحة الكريهة لم تفارق أنفي

راودتني لحظة رغبة في الذهاب إلى الحمام، لكن أحداً لم يكن يجرؤ. فالذهاب إلى الحمام كان يعني التعرّض للتعذيب وأنت عارٍ. ومع ذلك، أردت أن أذهب، أن أدلكّ جسدي كلّهُ برغوة

الصابون، وليحدث ما يحدث، مهما كان عدد العصي التي سألتقّاها هناك.

كان لا بدّ من التخلّص من تلك الرائحة. ولهذا تعرّضت لضرب كثير مقابل أن أستحم. عندما أخذونا إلى الحمام، ارتكبوا أفعالاً تتجاوز الوصف. كانوا يسوقوننا إلى المغاسل في كل الفصول، صيفاً وشتاءً، بلا فرق. كان علينا أن نتعرّى في كل الأحوال، وألا نبقى إلا ببيجامتنا علينا

في الصيف كنّا نتصبّب عرقاً، وفي الشتاء كنّا نرتجف، وتتيبس وجوهنا وتزرقّ من شدّة البرد. كانوا يقولون: خذوا معكم الصابون. فكنا نقسم كل قالب إلى أربعة أجزاء، نضعها في كيس نايلون ونحملها معنا عند الخروج من المهجع

وكقطيع من الضباع، كانوا ينهالون علينا بالخيزرانات والعصي والهراوات، يضربون أجسادنا العارية حتى نصل إلى مكان الاستحمام. وحتى هناك، لم يتوقف الضرب. وعندما كنّا بالكاد نزحف خارج المغسلة، كانوا يشدّوننا بعنف، وأحياناً يدوسون علينا

كنّا نذهب ونعود، وقد تعرّضت جلودنا أذرعنا، أيدينا، ركبّتنا للانسلاخ

تلك الأماكن المنسلخة، حين كنّا نزحف على الباطون، كانت كجسد يزحف فوق جمر النار؛ وكانت أجسادنا، في تلك الحالة، تحترق وتزداد احتراقاً. كانت البيجامات المبلّلة، حين نزحف بها فوق الباطون القذر، تتلطّخ بالسواد، بسواد يشبه الدخان

إن وُجدت لدينا بيجامات إضافية، كنّا نخلع تلك المبللة القذرة ونرتدي غيرها. أمّا إذا لم تتوفر، فكنا نجففها ونعود لارتدائها في اليوم التالي. قالوا لنا: من أجل الذهاب إلى الاستحمام، حضّروا أنفسكم. كنّ الاستحمام نفسه كان مكاناً للتعذيب

في النهاية، ذهبنا إلى المغاسل. بسرعة، بدأنا ندلك أجسادنا بالصابون، وسكبُ ثلاث طاسات من الماء على رأسي. عندها أطلقت الصقّارات: واحدة، اثنتان، ثلاث. لم أسمع جيداً. وفي تلك اللحظة، انهال عليّ ضربٌ أشدّ بالعصي والخيزرانات

حين أزلتُ رغوة الصابون عن جسدي، أفقت كمن يفرّ، وعدت أركض باتجاه رفاقي. بدأ العساكر يضربونني بالعصي والخيزرانات، وصاح أحدهم: «ألم أقل لكم اخرجوا؟ لماذا لم تخرج يا ابن العاهرة؟»

قلت له: «كان رأسي مغطى برغوة الصابون، ولم أسمع جيداً، سيدي لقد نظّفت نفسي»

خرجت. لم تعد تلك الرائحة القذرة تفوح مني. نعم، ورغم أن رائحة البيجامة كانت متسخة، إلا أنها تبقى أهون بكثير من رائحة الخراء.

كان ذلك ضرورة فرضتها شروط السجن القاسية التي وُضعت فيها، والتي كان لا بدّ من التأقلم معها. ورغم ذلك، كان كثير من الوطنيين يمتلكون قدرة على الابتكار ومعرفة كيفية التكيف. كنّا نبذل المناديل، ونضمّد جراح بعضنا، ونمسح تلك الجراح، ونستخدم المناشف الجافة لتجفيف أجسادنا.

على الرغم من كثرة المخاطر، وقلة المياه والطعام، وشدة التعذيب الذي كان يمارسه العدو، كنّا نفدّر بعضنا ونتعاون في كل شيء. كان بيننا احترام كبير، وكنّا نرفع معنويات بعضنا، ونشجّع بعضنا على التمسك بالحياة.

حتى الذين لم يكونوا سياسيين أو منظمين كانوا معنا؛ كانوا ينظرون إلينا، وقلوبهم ممتلئة باليقين والإيمان بعدالة هذه الثورة. كنّا نرى في ملامحهم التعاطف والمساندة.

حين كان متين نارنجي ينظر إلينا، وإلى أفعالنا وسلوكياتنا، أبدى موقفاً حسناً، رغم أنه كان أكبر منا سناً. كان يقول: «يا بني، أريد أن أسألكم سؤالاً: العسكر الأتراك يوجّهون إليكم شتائم كثيرة، ولم نر منكم أي ردّ عليها. بفضلكم، وبفضل تضحياتكم، وحفاظكم على كرامتكم، نسينا الشتائم والكراهية. فإذا نُقلنا إلى مهجع آخر، هل سنجد هذه العلاقة نفسها، وهذا التوازن بيننا؟»

أجبت: «إذا أردتم أن تتروا مثل هذا الموقف في هذا المهجع أو في غيره، فعليكم أن تسلكوا السلوك نفسه، وأن تكونوا قدوة في الأخلاق والثورية العالية. لا ينبغي أن يتسلّل إليكم الشك في هذا الطريق. يجب أن نساند بعضنا في كل مكان وكل ظرف. وعلى صعيد التربية الاجتماعية، لا أرى سبباً للشك في الآخرين؛ فهم مثلنا، لأنهم أيضاً أبناء هذا المجتمع وجزء من ثقافته الأخلاقية»

لم يكن ذلك الشك ولا ذلك الخوف بلا سبب. كان بين المعتقلين جواسيس ومخبرون، وكان مهجعنا أفضل وأكثر أماناً من

غيره. أما في المهاجع الأخرى، فكان هناك حسن جانكيز إخراجي، الذي كان يكتب تقارير بحق المعتقلين حيث يوجد، وكان من أسباب انتشار ثقافة التقارير بينهم. لم يكن ليقلت مني، لكنه أفلت قبل أن تتفرق مهاجعنا.

في تلك الفترة، شعرت بالألم شديد في فكي؛ كانت أسناني المكسورة تؤلمني بقسوة. كتبت اسمي للذهاب إلى طبيب الأسنان. كان الطبيب عسكرياً، فظاً وعنصرياً، وكان يعلم من كسر أسناني. سخر مني قائلاً: «هل سقطت من الدرج؟» ثم أجاب بنفسه باستهزاء، وطلب أن يفحص أسناني.

عندما نظر إليها قال إن أجزاءً من الجذور ما زالت مغروسة في اللحم، وأن عليه نزعها. بدأ يعبث داخل فمي كأنه يبحث عن شيء. ثم قال إنه يحتاج إلى تخدير الأعصاب، لكنه لا يملك بنجاً كافياً، وكأنه يتعمد ذلك. كنت أعاني ألماً شديداً، ومع ذلك اضطررت إلى القبول بخلع الجذور من دون تخدير.

عندما بدأ بمحاولة نزعها، اشتد الألم إلى حدّ شعرت معه وكأن عيني ستقتلع. دموعي سالت، وكل جزء في جسدي تألم. تصبّب العرق من جبيني، وابتلّت ثيابي، وكأني أغرق في الماء. بتلك السادية، أخرج جزءاً من الأسنان، ثم أدرك أنني لن أتحمّل أكثر.

بعدها عاد ليقول إنه وجد المخدر. عندما حقنني به بدأ الألم يتراجع تدريجياً، وحين اختفى تقريباً أخرج بقية الجذور دون أن أشعر بشيء.

عندما عدت إلى المهجع، لم أستطع الكلام. غلبني النعاس رغم
الخوف من العقوبة الجماعية إذا رأي السجّان نائماً. كانت
أمنيّتي أن أنام حتى الصباح. كان يومي طويلاً ولم ينتهِ. قبل أن
أنام تفضّضت، ثم غفوت كالـميت.

لا أعرف كيف مرّ الليل. أيقظني حميد جزقيني. استيقظت وأنا
مبلّل بالعرق، كأن أحداً سكب دلوّاً من الماء عليّ.

بعد تقسيم المهجع، نادى السجّان مسؤول المهجع، بوبي أسر.
وكقطيّع من ابن آوى، هجموا عليه، وانهالوا عليه بالضرب
بعنف. نزعوا ثيابه، وطرحوه أرضاً، وربطوا يديه، ورفعوا
كتفيه عن الأرض حتى أغمى عليه. ثم تركوه أو قذفوه جانباً،
وبهذه الطريقة أعادوه إلى الداخل.

بعد برهة، جمع السجّان مسؤولي المهجع مجدداً. وقبل أن يُعاد
تقسيمنا مرة أخرى، أخرجونا إلى الساحة. في تلك المرة،
أمسكوا أربعة من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي، كانوا قد
جلبوا إلينا حديثاً، ووزّعوهم علينا. ما تعرّضنا له تعرّضوا له
هم أيضاً.

وأثناء ضربهم في الساحة، شتم أحدهم السجّان بالعربية من
دون قصد. لكن السجّان أحس بشتيمته، فصاح: «أمسكوا ذلك
العربي ابن العاهرة! ماذا قال؟ هل من أحد يفهم العربية؟» قلت:
«أنا أفهم العربية، سيدي». سألني: «ماذا قال؟» فأجبت: «قال
إنه يتألم بشدة ويكاد يُغمى عليه». بهذه الترجمة أنقذته من
تعذيبٍ أشد.

قبل أن يُعاد تقسيمنا، ودّعنا بعضنا. كان وداعاً ترك فينا حزناً عميقاً لسنوات طويلة. كنّا معاً نتقاسم المعاناة والعذاب، وفجأة انتابنا شعور كأن كل واحد منا يُساق إلى موته. كنّا كعبيد لا حقّ لنا في الاختيار: لا في البقاء ولا في الرحيل.

فرّقوا الأب عن ابنه، ووَزَعوا كل مجموعة في مهجع. صرنا كأننا معروضون في سوق الرقّ؛ يُباع العبيد فيه ولا يملكون اختيار مصيرهم. لم نستطع اختيار مهاجعتنا ولا سجانينا.

ورغم قسوة العبودية، كان ثمة فرق واحد: نحن كنّا نتعرّض للتعذيب ليل نهار. كانوا يوقظوننا في منتصف الليل ليضربونا. وحين كانوا يأخذون أحد رفاقنا إلى مهجع آخر، كنا نسمع صراخه أثناء التعذيب، سواء كان فوقنا أو تحتنا.

ذلك الصراخ لم يكن يمرّ عابراً؛ كان يترك في داخلنا ألماً نفسياً عميقاً، ممتداً، لا يزول.

من أجل إرسالهم إلى المستشفيات لتلقي العلاج، لكونهم مرضى، كان بعضهم يُنقل إلى المصحات النفسية، وآخرون إلى المستشفيات العامة. إلا أن المعاملة التي كانوا يتلقونها في المشافي لم تختلف عن تلك التي يتلقونها في المعتقل؛ إذ تحولت المشافي أيضاً إلى أماكن للتعذيب، وكان الكادر الطبي جزءاً لا يتجزأ من إدارة السجن، يمارس الأساليب ذاتها من التعذيب والانتهاكات بحق المعتقلين المرضى، حتى لم يعد هناك أي فارق بينهم وبين السجانين.

وكان من المفترض بالطبيب، بحكم مهنته وأدائه القسم الطبي وفق قسم أبقراط، أن يتحلى بأقصى درجات الرفق والإنسانية، وأن يكون مهنيًا في سلوكه وتعاملاته، وأن يضع حدًا لتلك التعليمات اللاإنسانية ويرفض تنفيذها. إلا أن الواقع كان على النقيض تمامًا، إذ لم يكن ثمة فرق بين المعتقل والمشفى

لقد جُرد الأطباء في سجن ديار بكر من كل القيم والمهنية، وتم اختيارهم وفق معايير عنصرية قاسية. فكان دور الطبيب، في كثير من الأحيان، إعادة المعتقل الذي أُغمي عليه نتيجة التعذيب إلى وعيه وصحته، ليُستأنف تعذيبه من جديد على يد الجلاد

وكان جميع المعتقلين الذين يُنقلون إلى المشفى يُفترض أن يتلقوا العلاج ويستريحوا، لكنهم كانوا يُوضعون في غرف انفرادية على نمط السجون، خاضعة لمراقبة صارمة. وهكذا تحولت غرف المشفى إلى زنازين انفرادية مشددة الحراسة، يُمنع فيها الحديث عن السجن

وقبيل إخراجنا من المعتقل، أصدر الضباط تعليمات صارمة تقضي بعدم التحدث عن أي شيء يتعلق بما يجري داخل السجن، تحت طائلة إعادة من يخالف ذلك إلى التعذيب. لذلك، فإن الذين أصيبوا نتيجة الضرب بالعصي والهراوات لم يكونوا قادرين على الإفصاح عن الأسباب الحقيقية لإصاباتهم، إذ إن قول الحقيقة كان يُعد جريمة.

فعندما كان الطبيب يسأل عن ألم المريض ودائه، كان السجان في كثير من الأحيان يجيب بدلاً عنه، مدّعيًا أنه ترحلق على

درج إسمنتى أو سقط أثناء نومه. وبكل الأحوال، كان السجّان يكتب التقارير كما يشاء ويهوى، ولم يكن أحد يجروّ على مخالفة تعليماته وأوامره ضمن هذا الكادر القمعي

وكان بعض السجّانين يعتدون على المرضى أمام أعين الأطباء. أما المعتقلون الذين كان ينبغي تسجيلهم كمرضى، فكانوا يُحتجزون لفترات طويلة في مهاجع المحكومين، حيث تُقيّد أيديهم بالكلبشات وتُربط بالسلاسل الحديدية إلى مساند مثبتة في الجدران. وعلى الرغم من وجود تدابير أمنية مشددة، كان تقييدهم يتم بدافع العداوة والانتقام، رغم كونهم مرضى. ولم يكن مسموحاً لهم بالأكل أو الشرب إلا بإذن من السجّان

وكان يُفرض عليهم نظام قاسٍ؛ إذ يتوجب عليهم الاستيقاظ في الساعة السادسة صباحاً، والخلود إلى النوم في الساعة السابعة مساءً. وعند السماح لهم بقضاء الحاجة، كانوا يُقيّدون بالكلبشات والسلاسل في أيديهم وأقدامهم. ولم يكن مسموحاً للأطباء بدخول غرف المرضى إلا بعد الحصول على إذن مسبق من الحراس، الذين كانوا بدورهم يستأذنون السجّان. وبعد صدور الموافقة، كان السجّان يجرّ المعتقل إلى غرفة المعاينة

وفي النهار كان النوم ممنوعاً، وكان على المعتقل أن يبقى مستلقياً يقطّ. وكان الهدف من هذه الممارسات واضحاً: سواء كنتم مرضى أم لا، فلا تظنوا أنكم في المشفى ستعمون بالراحة أو الحرية؛ فنحن هنا أيضاً سنتعامل معكم بالقسوة نفسها التي نعاملكم بها في السجن، ولا أحد قادر على حمايتكم

ولهذا الغرض، كانوا يعطلون كل وسائل الراحة والعلاج داخل المشافي، فتحولت إلى أماكن اعتقال. حتى إن المريض نفسه لم يكن يرغب في الذهاب إلى المشفى بسبب هذه الظروف القاسية، إذ كان يُوضع تحت شروط صعبة، فلا يذهب إليها إلا مضطراً. وكان كثير من المعتقلين يدعون أمام الطبيب أنهم بخير وقادرون على العودة إلى المعتقل، رغم علمهم أنهم ليسوا كذلك، لأنهم كانوا يدركون أن المشفى أصبح معتقلاً أشد قسوة من السجن نفسه.

وكانوا يعلمون أنهم بالكاد يستطيعون النوم ليلاً أو نهاراً، ولم يكن بإمكانهم التحدث بصراحة مع الطبيب. وكان الوقت يمر ببطء شديد، حتى إن اليوم الواحد كان يبدو كأنه سنة. ولم يكونوا قادرين على التواصل مع بعضهم، بل إنهم أحياناً كانوا ينسون مفردات الكلام.

لقد كانت ظروف المشافي قاسية تثقل كاهل المريض، فبدلاً من أن يتلقوا العلاج، كانوا يعودون منها بحالة أسوأ وأكثر تدهوراً

عندما كان يصل معتقل جديد إلى القاوش، أو يُنقل معتقل من قاوش إلى آخر، كان يُستقبل بما يُسمى «حفلة الاستقبال» أو «حفلة أهلاً وسهلاً»، وهي في الحقيقة افتتاحية يُعذب فيها المعتقل الوافد أو المنقول. وكان يُقصد بها أيضاً التأكد من أن المعتقل ليس مخبراً؛ فكل شخص جديد كان يُتحرى عنه لمعرفة موقفه بوضوح، وإذا تعذر ذلك نُظر إليه بعين الريبة.

كان كثير من أفراد القاوش قد أمضوا معاً مدة طويلة، وكان فصلهم أمراً صعباً. وعندما جرى تقسيم أفراد مهجعنا

وتفريقهم، صار كل رفيق بقي معنا زمناً طويلاً بمثابة فرد من العائلة. كانت بيننا ذكريات مشتركة، أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا.

أُخذتُ إلى المهجع رقم 25 مع بعض رفاقنا: أحدهم من أعضاء حزب العمال الكردستاني، وبعضهم من الحزب الديمقراطي الكردستاني وحركة رزكاري "الحرية"، ومنهم روشن أصلان، وكذلك أسعد كنعان (الباي) من حزب رياً آزادي "طريق الحرية"، وكريم من تنظيم كاوا. أما محمد جان أزباي فبقي في مهجعه. وعندما وصلنا إلى المهجع 25، قدّم لنا الرفاق الذين سبق أن تعرفنا إليهم معلومات عن الأشخاص المشتبه بهم بكونهم مخبرين، وكنا نطلق عليهم أوصافاً تدل على ذلك

لم يكن عساكر السجن يحبّون هؤلاء المخبرين، وكانت العلاقة بينهم سيئة للغاية. وكانوا ينعَتونهم بأوصاف مهينة، فيصفونهم بالشذوذ أو العهر أو بالتخنث، في محاولة للحطّ من شأنهم.

عندما قام أسعد أوكتاي بكسر أسناني وترك فمي مضرجاً بالدم، أعطوني منديلاً لمسح الدم. وأحد الذين ناولني المنديل قال لي: «انتبه، داخل مهجعكم يوجد مخبر». في تلك اللحظة أدركت أن كلمة «ابنه» التي كانوا يرددونها كانت تشير إلى المخبرين. كنا قد سمعنا أيضاً باسمي روشن أطلان وأبدین

وعندما كنت أجلس مع أبدین، قال لي: «نَبّه رفاقك، في مهجعنا يوجد مخبرون». وكان هؤلاء في الأصل من أعضاء حزب العمال الكردستاني، وكانوا شقيقين يُدعيان جمال وسليمان. كانا ينقلان كل ما يحدث في المهجع إلى إدارة السجن، وبسببهما

تعرّضنا لكثير من الضرب. حتى أصدقاءنا الذين كانت لديهم خبرة سابقة بهذا المهجع وقعوا أيضاً ضحية وشاياتهما.

في المهجع رقم 25، عندما كنا نتحدث مع أسعد أوكتاي يلديران وألباي وروشان أصلان وأبدين آي، وكذلك الأخوين جمال وسليمان، كنا نتناول مواضيع غريبة. هؤلاء الأشخاص ارتكبوا الكثير من الأفعال الشائنة في السجن، وبسبب عقدة الذنب التي تسيطر عليهم، كانوا دائماً في حالة خوف. الأشخاص الذين يفتقرون إلى الشهامة غالباً ما يتحدثون بدافع الشعور بالذنب.

كونهم كانوا دائماً يشعرون أن أفعالهم لن تنتهي إلا بالمحاسبة، ففي اليوم التالي لقدم جمال وسليمان إلى المهجع، تمّت الوشاية بنا. عندها تم اقتيادي أنا وأسعد كنعان إلى التحري والتحقيق.

قام السجّان بتعذيبني أنا وأسعد كنعان. وعندما كان العساكر يعذبونني، كانوا يقولون: "يا ابن العاهرة، هل صدّقت أنك ستتحرك؟ لم تنفّذ تعليمات قائدنا أمام الكاميرا وتعترف. قبل أن تذهب إلى المحكمة، يجب أن تعترف أنك المسؤول عن كل شيء، وأنك قمت بما عملته ضد الدولة."

وعندما ضربوا كنعان، سألوه أيضاً عما كنا نتحدث أنا وهو

من خلال أسئلة المحققين، فهمت أنه تمّت الوشاية بي من قبل هذين الأخوين. وعندما عدنا إلى المهجع منهكين، قام أبدين آي بتدليك يدي، كما ساندنا وساعدنا كثيرون. وكان عبدن آي،

بسبب ما تعرّضنا له من تعذيب، يقوم دائماً بطرق رأسه على الحائط. لقد نسيت ألمي وقمت بمواساة أبايدين.

عندما كنت على صلة بأبايدين، قام معتقل بتهديد هذين المخبرين لعلهما يتوقفان، ولهذا لم يبلغوا القيادة عن الحادثة التي وقعت معنا. العملاء أو العاملون خافوا من انتقام المعتقلين الذين كانوا في المهجع. هؤلاء المخبرون كانوا يمثلون لهم هلاكاً محققاً، لكنهم صبروا على ما كانوا يفعلونه بهم.

بعد المجيء إلى هذا المهجع، ولأجل أن يرضخوا لأسعد أو ليضغطوا عليّ، استخدموا اعترافي كذريعة لتعذبي بشكل متكرر وثقيل، خاصة مع اقتراب المحاكمة. شدة التعذيب كانت تزداد تدريجياً، إذ تلقّت قيادة السجن أوامر ضدي، بسبب ما قمت به ولم يرضوا عنه على التلفاز.

كنت ضمن التنظيم، لكن لم تكن لدي مسؤولية قيادية في سنة 1982، وفي صيف تلك السنة، داخل سجن محاط بالحديد والخرسانة المسلحة، شعرت أنني مجرد بيضة ثقلى ببطء وسط حرارة الصيف الشديدة. كان القاوش رقم 26 و27 وأدناه 24، تُعزل عن بعضها البعض. كل قاوش كان يضم حوالي مئة معتقل، وكانت المهاجع الأربع تُنقل بانتظام إلى الساحة حيث كان هناك نحو 300 شخص.

في الساحة، كان يُجبر الناس على الاستماع إلى المرشد العسكري وهو يقرأ كتاب أتاتورك من الصباح حتى المساء. كان صدّى خطواتنا يتردد في الأرجاء، حتى كنا نغمي علينا من شدة الإنهاك. مرةً أغمي عليّ من التعب، ولم أكن أعرف ماذا أقول،

وكان قلمي لا تطاوعني وتتحرك بعكس إرادتي. شدة التعب والجوع والعطش والإرهاق، إضافةً إلى حرارة الصيف، كانت تجعلنا نخرج عن وعينا أحياناً.

في الساحة، وعلى تلك الأرضية الإسمنتية الملتهبة بحرارة شمس الصيف، كان السجناء العسكريون يأمرؤنا بالانبطاح والزحف. كانت جلودنا جافة، والعرق لا يتسبب بسبب شدة الجفاف الذي تعانيه أجسادنا تحت حرارة الصيف. كانت يدانا وذراعانا وكفاننا تتعرض للانسلاخ بفعل حرارة الأسفلت، وكأنا نحترق.

إضافة إلى ذلك، كانت ضربات العصي والخيزران والكرابيج تزيد من الألم، وكان قطع الجمر تنتشر على كامل أجسادنا وتضاعف شعور الاحتراق.

من التنظيمات المختلفة، كان كثير من المعتقلين يتعرضون للإغماء، وكان السجناء يواصلون تعذيبهم رغم ذلك. ومع ذلك، لم يتعرض هذان المخبران الذين كانوا معنا لأي أذى، وهذا كان له تأثير سلبي علينا نفسياً، فكننت أشعر برغبة في القيام بشيء تجاه هذين المخبرين.

في يوم المحاكمة، اختلطت الأمور، وأجبر بعض المعتقلين التابعين لحزب العمال الكوردستاني على الاعتراف، وأخذوا يعترفون بأمور تخص تنظيمهم. من بين الذين تعرضوا للعقوبات، كان زيني بيشاكجي، الذي استجوب مراراً وانتزعت منه الاعترافات قسراً. كنت أحاول منحه دعماً معنوياً، فأعطيه معنويات عالية عندما كانوا يأخذونه إلى الصالة، وقبل أن يُربط

بالسلاسل معنا، كنت أقول له: أصعب أوقاتي، يا جيران، يحاولون انتزاع الاعترافات مني، لكنني رفضت الاعتراف. لو صمتت قليلاً كما فعلت، لما استطاعوا أن يفعلوا بك شيئاً.

عندما توجه صوتي نحو السجان، قال السجان: "من يتحدث؟ فليقل." فإذا لم أكن قد سمعت صوتي، كان سيقوم بضرب كل الرفاق. قمت بشد السلاسل وقلت: "أنا الذي تحدث، سيدي." العسكري، أحد عناصر السجان، وكأنما أحرز نصراً، أصدر أمراً لعنصر آخر، ذلك الشخص الذي كان يظهر للمحكمة ويتحدث مع آخر.

ولكي لا يُعاقب رفيقي، الذي كان بجانبني، قمت بشد سلاسل القيد مرة أخرى. كادت شراييني تتقطع من شدة الشد على يدي. جاء العامل وقال: "ما الذي فعلت؟" فأجبت: "هذه السلاسل مشدودة جداً على يدي وزندي." ثم خاطبت العسكري: "كادت يدي تتقطع، وإذا لم تصدقني، تعال وانظر إلى زندي." عندما نظر إلى زندي، أدرك صحة كلامي، فأرخى قيودي، وبهذه الطريقة أنقذت نفسي من هلاك محتمل.

سمعت بعد ذلك أن زيني ببشاكجي، كباقي الرفاق، لم ينحن أثناء التعذيب ولم يعترف بأي شيء أمام هيئة المحكمة، رغم أن الرفاق إمام أوغلو وخطيب دمر وخضر ياغييتي وعبدالقادر أوزدوغان، والمجموعات المرتبطة بحزب العمال الكردستاني، إلى جانب أحمد أوغار تمان وأحمد ييلمازر ومصطفى يلدريم، قد صمدوا بالفعل أمام ضغوط وتعذيب إدارة السجن.

تعرضوا لتعذيب بأنواع مختلفة من العذاب. أحد السجنانيين قال لزيني بيشاكجي: "ستقوم بالدوس على هؤلاء واحدًا واحدًا." فأجابه زيني بيشاكجي: "هؤلاء رفاقي، أنا لا أدوسهم." ونتيجة رفضه، تم ضربه حتى أغمي عليه.

في يوم الزيارات، كانت زيارة المهاجع يومًا مختلفًا. المهجع الذي قدمت إليه كان أفضل من المهجع السابق، ولم يكن في علم أهلنا أن مهاجعنا قد تغيرت. زوارنا قدموا إلى المهجع رقم واحد وعشرين، فالذين أتوا إلى المهجع الجديد لم يكونوا من ذوينا أو أقاربنا، وبما أن هؤلاء الزوار لم يأتونا، فلم ينالوا نصيبهم من الضرب، وكنا سعداء بذلك.

كانوا يعتقدون حتى على الزوار، لم نكن نريد بالفعل أن يأتوا لزيارتنا. لكن زوارنا، وكالعادة، كانوا دائمًا حريصين على زيارتنا رغم الضغوطات التي تُمارس عليهم. لقد تحدثت عن الزيارة عندما أخرجت من السجن، وعندما أطلق سراحي قمت بزيارة عوائل الشهداء

عند خروجي من السجن، لم تسمح لي أختي بيرسل أن أخرج وحدي، فقد سمعت أن كثيرًا ممن يُطلق سراحهم يُعادون إلى السجن مرة أخرى، وبعضهم يُراقب، والبعض الآخر يُقتل وتُرمى جثته. وليس هذا فحسب، بل إن عوائلهم وأطفالهم أيضًا يتعرضون للإخفاء والموت، وكان يُنسب قتلهم إلى فاعلين مجهولين. وبعد ذلك، كانت هذه العوائل تتظاهر من أجل أبنائها القتلى.

كانت عائلتي تعرف هذه الحوادث جيداً، وأختي قالت لي: "إذا ذهبت إلى أي مكان، يجب أن أكون معك." لهذا، جاءت أختي ورافقتني إلى منطقة شمرخ عند عائلة خطيب كابتاك، الذي تم تصفيته من قبل قتلة مجهولين. أنا وأختي قمنا بزيارة أمه وزوجته وابنه وأخوته.

عندما تحدثت عن ذكرياتي مع خطيب، بكى جميع أخوته. ابن خطيب كان عمره أربع سنوات، وعلى الرغم من أنه لم يتذكر شيئاً، عندما رأى أننا نبكي معه، بكى هو أيضاً. لقد جعلت أهله في حزن حاولت تغيير الموضوع، إلا أنهم أصروا على معرفة ما كان يجري.

قالت أم خطيب: "رغم أن الكثير من رفاقكم قالوا لنا لا تأتوا لزيارتنا، كنا نأتي لزيارتكم. والكثير من هؤلاء الرفاق قالوا للزوار ألا يأتوا مجدداً إلينا، واستمرت الأمور على هذا النحو

ابني، الشيء الذي لم تكونوا تدركونه جيداً هو شعور الأم؛ رغم أننا كنا نعرف أنهم يعذبونكم في أيام زيارتنا، كنا نأتيكم بإصرار، وحتى في أحلامنا لم نكن هائنين. في كثير من الأحيان، كنت أرى في الحلم أن ابني تم قتله وتم إلقاء جثته، وأستيقظ على وقع هذا الكابوس مذعورة لأتأكد هل هو حقيقة أم منام.

كنت أراكم شبه أحياء عندما كنت آتي لزيارتكم، وعندما كنتم تُعذبون أمامنا، كنا نموت كل وقت وكل ساعة

ابني، من الجيد أن أنك وشقيقتك أتيتما إليّ، ولو أنك أتيتنا لوحدك، لكان قلبنا في قلق دائم عند عودتك. كنا سنخشى عليك جدًّا كل مرة يخرج فيها خطيب وحده كنا نعاني من القلق عليه

ومن الجيد أنكم خرجتم من السجن ووجوهكم بيضاء. أنا سعيدة وفخورة، فالناس الذين مثلكم، الذين أتوا لزيارتنا، يجعلوننا نشعر بالفخر ويجعلوننا نصمد في موقفنا. عندما أرى رفاق ابني، أشعر أن ابني لا يزال على قيد الحياة.

اللقاءات مع المحامين كانت تتم بطرق غير دستورية وبعيدة عن العدالة، وكانت جزءًا من الحرب القدرة واللا أخلاقية ضد الكورد. بعد أن تم إطلاق سراحني، كانت هناك فرصة للقاء المحامي شرف الدين كايا. قمت بالالتقاء به في مدينة كيل الألمانية، وكان سبب ذلك أن ذاك المحامي كان يسأل عني، وقد عبرت له عن شكري وامتناني.

سألت السيد شرف الدين كايا: "عندما كنت تأتي إلى لقائنا، لأجل ماذا كنت تأتي؟"

السيد كايا كان يقول: "كنا نعلم أنهم يمارسون بحقكم تعذيبًا لا إنسانيًا وبلا معايير، ولو لم يكن ثم تضرع من قبل ذويكم بضرورة زيارتكم، لما حاولنا المجيء إليكم. الكثير من عوائلكم ورفاقكم كانت قلوبهم عليكم، وكانوا قلقين على حياتكم، وكانوا يصرون على أن نأتي إليكم. عندما كنا نأتي لزيارتكم، فإذا قلنا لهم إن زيارتنا تجعلهم يبالغون في تعذيبكم، كانوا يقلقون أكثر. وعندما كنت آتي لزيارتكم، كنت أخبر عائلتكم مسبقًا بذلك، وكانوا حينها ينامون هانئين.

كنت أتعرض نفسيًا للجحيم، لذا لم يكن مثل جحيمكم، فأنا أيضًا نلت نصيبي من الأذى. وكانت قضيتنا تدخل ضمن مجمل قضايا الوطنيين، ودائمًا كانوا يهددوننا، وكنا نعلم أن كثيرًا من القوميين وفدائيي المجتمع كانوا يحمون قضيتهم ومبادئهم، إلا أن نضالنا كان محصورًا ضمن كوننا محامين.

على الرغم من أنني بقيت مدة قصيرة في السجن، إلا أنني كنت مذهولًا من اللا رحمة واللا إنسانية بحقكم، إلى أن استطعت أن أصمد بوجه هؤلاء الهمج. كنت أعلم أن جميع هؤلاء الوطنيين كانوا ضحايا وقد تعرضوا للكثير من المهانات والظلم، ولم أكن أعلم ذات يوم أننا وإياك سنلتقي حوالي ست ساعات. أنا والمحامي بقينا معًا، وشربنا الشاي في ساعات الظهر، ولم نتحرك. ، ولم أشعر بالوقت كأن تلك الساعات كانت ساعة واحدة.

عندما كنت في السجن أثناء التعذيب، أذكر مرة أن الزوار أحضروا لنا أكوابًا زجاجية، فتم استبدالها عن قصد من قبل إدارة السجن بالأكواب البلاستيكية. وكنا نضع الشاي الساخن في تلك الأكواب البلاستيكية، وكان طعم الشاي يتغير، وطعم البلاستيك يخرج منها. وكنا نقول لبعضنا: "إذا خرجت ذات يوم من السجن، سأشرب الشاي في كأس زجاجي.

نعم، ضمن فترة العقوبات البعيدة عن العدالة، والعقوبة التي أعلنوا عنها بحقنا، كانت ضد كل القوانين. الدولة التركية، أمام ملأ العالم، ارتكبت الفظائع بحق الوطنيين الكورد. هذه الملاءمة التي ابتدأت واستمرت ضمن حقبة تورغوت أوزال، ففي 12

نيسان 1991 تم إعلان قانون العفو المشروط على الكورد واليساريين، وكذلك بعض اليمين التركي، وتم إصدار عقوبة السجن المؤبد مدى الحياة على الكثيرين، والبعض أيضاً تم شنقه حسب القانون، والبعض منهم تم إصدار عقوبة أو الحكم عليه بعشر سنوات، والكورد بصورة خاصة عشرين سنة، بينما على الأتراك كان السجن السياسي ثمان سنوات وحسب هذا القانون، فالكورد هم الأكثر استهدافاً من وراء هذا القانون.

معنى الكلام: الدولة التركية كانت تقوم بالانتهاك باستمرار للحقوق القانونية والدستورية، ولم تكن تطبق المعايير الأوروبية التي خضعت لها وقامت بالتوقيع عليها. ولم يكن للكورد أي سند لحمايتهم ضمن هذه الدولة في هذا القرن. لم تكن هناك دولة تشبه تركيا في هذا السياق، حيث يوجد السجن المؤبد أو مدى الحياة.

عندما تمت محاكمتي وإعطائي محكومية بالسجن، فقد تم إضافة ستة أشهر وسبعة عشر يوماً على مدة المحكومية الفعلية، والتي كانت مدتها 15 سنة. وأمام هذه اللاعادلة، كان اليسار التركي دائماً يتحدث عن أخوة الشعوب وعن المساواة بين الشعوب، إلا أنهم لم يكونوا يعلقون على أفعال الدولة التركية غير القانونية وغير الإنسانية بحق الكورد

كنا وإياهم في كثير من المواضع في ذات المعتقلات، ولم يكونوا في يوم من الأيام يتحدثون عن الشأن الكوردي. ولم يكونوا هم أيضاً، مثل الحكومة التركية، يقرّون ويعترفون بوجود شعب بجوارهم.

فيما يتعلق بقضية الحزب الديمقراطي الكردستاني في باكور (شمال كردستان)، توصلتُ إلى قناعة بأن موظفي الدولة التركية لم يكونوا من أنصار هذا الحزب. كما أن أعضاء الحزب لم يقدموا أي معلومات للشرطة، التزاماً بدستور الحزب وبرنامجه.

لقد تجمع الشباب حول الحزب انطلاقاً من فكرة التحرر القومي الكوردستاني، ومن خلالها تعرّفوا على مبادئه. وقد تم استدعاء العديد من المناضلين، ومن بينهم سراج بلغين، الذي أشار في مؤتمر الحزب عام 1977 إلى أن بعض اليساريين حاولوا تعديل بنود من دستور الحزب. وبناءً على ذلك، قررنا الانفصال عنهم حفاظاً على برنامجنا الأصلي.

حتى الذين تم اعتقالهم من قبل السلطات التركية وتعرضوا للتعذيب، لم يعترفوا بأسرار الحزب ولم يقدموا معلومات عنه، سواء كانوا في اللجنة الإقليمية أو المحلية أو لجان القرى أو اللجنة العسكرية.

كما أن الادعاء العسكري، ممثلاً بخالد كربولوت، تناول العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والتاريخية، وجرى توضيحها في منشورات الحزب، التي شكلت لنا دعماً معنوياً مهماً وكان من الضروري قراءة مرافعات الحزب ومبادئه لفهم قضيته بشكل أعمق.

وبعد اعتقالنا، تمت مصادرة هذه المرافعات، وكان المحامون الذين وكلناهم شهوداً على ذلك. وأنا، إلى جانب عدد من الرفاق، كنت عضواً في اللجنة العسكرية، ومع ذلك لم أر نفسي

إلا مواطناً وطنياً وجزءاً من هذا الشعب، بغض النظر عن أي منصب أو صفة تنظيمية.

كنا نعيش حالة مستمرة من الذهاب والإياب بين السجن والمحاكم، وهي مرحلة مليئة بالإذلال والمعاناة لنا جميعاً

كان بعضنا يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً، وبمجرد صدور التعليمات من إدارة السجن، يُفرض علينا حلق الذقن كإجراء أولي قبل التوجه إلى المحكمة. كان ذلك إلزامياً كل صباح.

بعد الساعة السابعة، كانوا يأخذوننا إلى الساحة الكبيرة، حيث يبدأ ما يشبه الاستجواب غير الرسمي. كانوا يحاولون معرفة هوياتنا ونوايانا قبل الذهاب إلى المحكمة، وغالباً ما كانوا يتذرعون بأسئلة بسيطة ليبرروا الاعتداء علينا. كانوا يسألون مثلاً: “ما اسم مدينتك؟” ثم، وبحجة عدد حروف اسم المدينة، يبدأ الضرب.

تعرضنا للضرب على الأقدام والأيدي والظهور، وكانوا يجبروننا على تكرار أوامر مهينة مثل: “اجلسوا، انهضوا، اجلسوا، انهضوا”، ثم يأمرّوننا بالزحف على طول الساحة.

وعند نقلنا إلى المحكمة، كانوا يلبسوننا لباساً أسود قديماً ومتهاكاً، مليئاً بالقمل وتنبعث منه رائحة كريهة.

في الساحة القريبة من الأبواب، كانوا يجمعوننا ويقومون بقراءة أسمائنا. كان أحدهم ينادي الاسم والكنية، فردد بذكر اسم

الأب. وخلال ما يشبه حالة استنفار عسكري، كانوا يأمرونا بترديد النشيد، ويجبروننا على الاستعداد لتلاوته.

وفي أثناء ذلك، كانوا يواصلون إصدار الأوامر المهينة مثل: “انبطحوا، ازحفوا”. وكانت أيدينا مقيدة بالأصفاد أو السلاسل، حيث تُربط سلسلة كل سجين بسلسلة سجين آخر، فنساق معاً بهذه الطريقة.

بعد أن قاموا بتقييد أيدينا بالسلاسل، أدخلونا إلى غرفة مخصصة لنقل الجثث، وكانت هذه الغرفة عسكرية وتستخدم عادة لنقل الموتى. أحياناً كانوا يضعون داخلها ثلاثاً أو أربع جثث معنا، ضمن عدد الأشخاص الذين يُساقون إلى المحاكمة

كانت الغرفة مغلقة، مفتوحة فقط من الجهة الأمامية، وفوق السائق نافذة مربعة صغيرة بارتفاع يتراوح بين 15 و20 سنتيمتراً. أحياناً كانوا يدخلون 20 إلى 40 شخصاً داخل هذه الغرفة الضيقة الشبيهة بالتابوت، ويضعون بيننا أحياناً جثتين أو أربع جثث

كان هناك أربعة جنود يرافقوننا داخل الغرفة، يجلسون معنا، وينقلوننا كما يُنقل قطع الأغنام. كانوا يضعون رؤوسنا داخل فخذي بعضنا البعض، وأحياناً يجلسون على ظهورنا أو يمدون أجسادهم فوق أجسادنا، وأحياناً يضعون آذانهم بالقرب من النافذة الصغيرة للاستماع إلى حديثنا.

إذا تحرك أحدنا بشكل زائد، كان يتلقى ضرباً بالعصي أو الخيزران. كنا جميعاً مستنزفين، وكثير من الرفاق كان يغمى عليهم من شدة التعب.

العربة، التي أسموها "الرينغ"، كانت بارتفاع متر وعشرين سنتيمتراً تقريباً عن الأرض، وكنا نصعد إليها عبر سلم حديدي أو مسند. عند دخولنا، كنا نتعرض للضرب على رؤوسنا وأذاننا، وكانت السلاسل تُشد أحياناً على أذرعنا مسببة آلاماً شديدة. آثار هذه القيود ما زالت موجودة عند بعض الرفاق حتى الآن.

وعندما تصل العربة إلى قرب المحكمة وعند باب الساحة، كانوا ينزلوننا أولاً بعد تخفيف قيود الأيدي والسلاسل التي تربط أذرعنا وركبتينا. قبل الخروج من ساحة السجن، كان ضابط يقف أمامنا ويهددنا بصوت عالٍ:

يا أبناء العاهرات! عند دخولكم ساحة المحكمة، التزاموا بتعليمات سجانكم، اجلسوا بشكل صحيح، لا تتحدثوا مع بعضكم البعض، لا تنظروا إلى المحامين أو الجمهور، ولا تشيروا إلى أقاربكم أو أصدقائكم. عند تلقي تعليمات القاضي بالوقوف، قولوا 'التقرير' و'سيدي'. وعندما تريدون التحدث، ارفعوا أيديكم وانتظروا الإذن من المحكمة.

كان علينا الالتزام بكل هذه التعليمات بدقة، وإلا سيُعرض علينا أشد العقاب. ورغم أن بعض التعليمات كانت تبدو مضحكة أو سخيفة، إلا أنها كانت جزءاً من نظام القمع والسيطرة، ويجب علينا الطاعة لتجنب التعذيب.

فوق الحائط الخلفي لهيئة المحكمة كانت هناك لافتة مكتوب عليها: "العدالة أساس الوطن". ولكن في الحقيقة لم يكن هناك أي عدالة، ولم يبقَ من هذه العدالة سوى تلك العبارة على الحائط.

كانت المحكمة العسكرية الاستثنائية تُستخدم لقمع الشعب الكوردي وسحق الحقوق والعدالة. داخل أيوان المحكمة، كان كل سجين تحت مراقبة السجّانين المسلّحين بالعصي. إذا نطق المعتقل أو التفت يميناً أو يساراً أو نظر إلى آخر، كان يتلقى الضرب مباشرة أمام أعين القضاة، دون أي حرج أو اعتراض.

كانت المحكمة بالنسبة لنا مجرد مسرحية سخيفة، مأساوية، ولعبة تراجيدية. ورغم الكثير من التهديدات والضرب، كنا ننظر لبعضنا البعض محاولين تقديم الدعم النفسي، كأننا نحاول حُضن بعضنا البعض لإيقاف الحشرات.

وأثناء عودتنا إلى السجن بعد جلسات المحكمة، كنا نتعرض للضرب مجدداً. كانوا يربطوننا بالسلاسل والقيود، ويجروننا كما يُجرّ الأغنام إلى عربة الجثث، حيث كانت هراواتهم مسلطة علينا. كانوا يضربوننا بشكل متواصل حتى وصولنا إلى السجن.

عند فك السلاسل وأخذنا إلى مهاجعنا، كان الضرب والزحف والركل مستمرين. كان بعضنا يُداس على بطونه، وبعضه يُعزل عن رفاقه ليُعذّب انفرادياً، وبعضه يُعزّى ويُضرب بأنواع مختلفة من العصي، الأصفاد، والكرابيج.

كان يُزرع الحقد في قلوب الجلادين، فكنا نشعر بمدى الكراهية التي يحملونها تجاهنا. أمر السجن، ، كان يجمعنا كل ثلاثة أيام لإطلاق خطابات الكراهية ضدنا، واصفًا إيانا بالإرهابيين والخونة وأخطر الناس على الدولة.

وبهذه الطريقة، كنا نعيش هذه اللحظات القاسية على مدار سنوات الاعتقال، سنوات من الضرب والقمع المستمر والمهانة اليومية.

في سنوات 1982-1983، وبسبب التعذيب المنهجي واللاإنساني الذي مورس بحقنا، وصلنا إلى حالة من الانهيار والاستسلام القسري. في تلك المرحلة، بدأوا بتنفيذ ما يشبه “مسرحيات” لانتزاع الاعترافات منا، واستمروا في ذلك بشكل ممنهج.

كان الضابط المسؤول عن السجن رقم خمسة في آمد، أسعد أوكتاي يلديران، ونائبه علي عثمان، إلى جانب بعض الكوادر المتعاونة معهم، يشرفون على هذه العمليات. وقد قاموا باستدعاء عدد من قادة حزب العمال الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني، وأخذوهم إلى التحقيق.

في غرف التعذيب، كان يتم إجبار المعتقلين على الاعتراف. لم يكن لهذا التحقيق أي أساس قانوني أو معايير واضحة، بل كان الهدف منه اختبار ما يسمونه “الوطنية”. وكانوا يعتمدون في ذلك على إفادات أشخاص تم إضعافهم تحت الضغط الشديد، بحيث يُستخدمون ضد غيرهم.

أما الذين كانوا يرفضون الإملاءات، فكانوا يتعرضون لتعذيب أشد. وقد تحوّل السجن إلى مركز استجواب دائم، دون أي ضوابط. لم يكن هناك حاجة لأي تعليمات من جهة أعلى لاستدعاء أي معتقل، إذ كانوا يتصرفون وفق حالة طوارئ دائمة.

كانت “سياسة الاعتراف” تهدف إلى أمرين أساسيين:

أولاً: إجبار القيادات التنظيمية على الاعتراف وكتابة إفادات مفصلة تتضمن كل ما يتعلق بأنشطتهم، وهياكلهم التنظيمية، وأسرار أحزابهم.

ثانياً: فرض اعترافات سياسية وأيديولوجية، بحيث يُجبر المعتقل على إظهار الندم، وطلب الصفح من الدولة، والاعتراف بعدم وجود شعب كوردي، والقول إن هذه الأفكار صُنعت من “قبل” أعداء الدولة.

وكان يُطلب منهم أيضاً الإقرار بأنهم شاركوا في “تخريب البلاد” والسعي إلى تقسيمها، وأن ما يُسمى بالكورد هم أتراك الجبال.

كان الهدف من هذه السياسة خلق نموذج “وطني” وفق تصور السلطة، يقوم على إنكار الهوية الكردية، وتقزيم نضالها، وزرع فقدان الثقة وانعدام الأمل داخل المجتمع، ودفعه نحو الاستسلام. كما هدفت هذه السياسة إلى خلق إنسان خاضع، يقبل كل ما تفرضه الدولة دون اعتراض.

لكن أمام كل ما حدث، لم يكن الصمت ممكنًا. لذلك بدأت تتشكل ردود فعل داخل السجن، وظهرت أشكال من المقاومة القصوى، حيث رأى بعض المعتقلين أن التضحية بالنفس أو خوض “عمليات الموت” كانت الخيار الأخير في مواجهة هذا الواقع القاسي.

كنا نعلم جيدًا، نحن ورفاقنا الذين كانوا يعيشون لحظات الجحيم، أن أولئك الذين راودهم هاجس الانتحار كانوا في الحقيقة يحبون الحياة حبًا عميقًا. لم يكن التفكير بالانتحار نتيجة يأسٍ مطلق أو كرهٍ للحياة، بل كان تعبيرًا عن موقف صلب في مواجهة مسرحيات انتزاع الاعترافات بالقوة

كان خيار الانتحار بمثابة استنكارٍ لتلك المهزلة، ومحاولة لإغلاق الباب أمام الضغوط التي كانت تُمارس علينا وعلى رفاقنا لدفعهم إلى الخيانة أو التنازل عن مبادئهم. فالمعتقلون هنا كانوا يتمتعون بدرجة عالية من العزة والشرف، وكان من الضروري القيام بأفعال قصوى لمواجهة ممارسات الدولة وانتهاكاتها.

لقد كان ذلك الفعل ردًا مشرفًا على محاولات الإذلال، وتعبيرًا عن رفض الخضوع. ومن هذا المنطلق، بدأ الوطنيون الكردي، ضمن أحزابهم وتنظيماتهم، بأنشطة مقاومة شديدة، من بينها الإضراب عن الطعام حتى الموت، أو ما عُرف بـ"صيام الموت"، وكذلك عمليات الانتحار.

وجاءت هذه الأفعال في ظل تصاعد انتهاكات الدولة واستمرار العنف، وازدياد حالات الموت. وكان لهذه المقاومة أثر في إجبار الدولة على التراجع جزئياً أمام صمود المعتقلين.

ومن بين هؤلاء المناضلين: فرهاد كورتاي، أشرف أنيك، نجمي أنار، ومحمود زنگين، الذين أحرقوا أنفسهم معاً، وكذلك محمد خيرى درموش، كمال بير، عاكف يلماظ، وعلي تشيتشك، الذين خاضوا إضرابات عن الطعام حتى الموت. كما يُذكر نجمدين بوياكايا، يلماز دمير، رمزي آيتورك، جمال أرات، أورهان كاشكين، إلى جانب نحو خمسة وعشرين آخرين ممن قضاوا تحت التعذيب أو في سياق هذه المقاومة.

لقد اختار هؤلاء الموت بكرامة بدلاً من حياة بلا كرامة. كانوا جميعاً أصحاب مبادئ ونبل، وضَحّوا بحياتهم من أجل الكورد وكوردستان، وقدموا نموذجاً للمقاومة في وجه القمع والوحشية.

لقد بلغت الأوضاع حداً جعل هذه الخيارات القاسية تُطرح، وكانت أيضاً بمثابة توبيخ لأولئك الذين استسلموا وأذعنوا لتعليمات الدولة.

كان هؤلاء الشباب الكورد يؤمنون بقضيتهم إيماناً عميقاً، وكان شعارهم: إما أن نعيش بكرامة، أو نموت.

وقد ألقى هذا الواقع بثقله علينا كوطنيين ورفاق، وكان لا بد من القيام بشيء. ووفق قناعاتي، إن لم نستطع العمل جماعياً، فلا بد من إعلان العصيان.

في المهاجع الأخرى، حاولت بعض الأحزاب تنفيذ أنشطة مقاومة، لكن لم تكن هناك علاقة تنظيمية صحية بيننا كأعضاء، ولم تتوفر أرضية مشتركة لتنسيق عمل جماعي داخل السجن، لذلك كان كل منا يتحرك بشكل فردي

في هذا السياق، أقمت صلة مع عابدين آي، أحد كوادر حزب العمال الكردستاني، وكان إنساناً شجاعاً وصادقاً. طلبت منه أن ننسق فيما بيننا وبين الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأن ننشر موقفاً واضحاً مفاده أن هذا الفعل، رغم قسوته، هو فعل صادر عن إنسان يحب الحياة، لكنه يرفض سياسات الدولة ومحاولاتها لانتزاع الاعترافات بالقوة

طلبت من رفاقي كتابة هذا الموقف وقراءته داخل المهجع، لكن للأسف لم تكن هناك إمكانية حقيقية لتنفيذ ذلك في تلك الظروف القاسية، إذ لم يكن لدى أيٍّ منا القدرة الكافية على فرض هذا المسار.

بحثت عن فرصة لتنفيذ عمل فدائي. وفي أحد الأيام، فتح السجان الباب ونادى: "ليتقدم أحدكم لأخذ الخبز". عندها حاولت استغلال الفرصة، فتقدمت نحو الباب، لكنني تعرضت للضرب عدة مرات بالعصي قبل أن يُسمح لي بالحركة. وكان السجان يصرخ بالأرقام: واحد، اثنان، ثلاثة، وكان يتوجب عليّ أن أتحرك بسرعة لأخذ الخبز من الأعلى.

قلت في نفسي سوف تعدو كثيرًا، أدوية المرضى في الخارج كانت خلف الباب، وفي الصباح بعد العَد كانوا يضعون دواء كل شخص مرة واحدة فقط. بعد أن تم أخذ الخبز، طلبت منهم

الأدوية نحو عشرين وخمسة وعشرين، وقمت بلف تلك الأدوية بقطعة جريدة وخبأتها في بيجامتي، داخل بيجامتي

عندما صعدت إلى الأعلى، السجّان أجابني بغضب: لقد قلت إن العدّ الأخير هو ثلاثة، إنك لم تخرج إلى الأعلى. قلت له: سيدي، لقد أسرعت لكنني ترحلقت وسقطت على الأرض، وبهذا تأخرت.

بعد أن أكلت خمسة إلى ستة، توجهت إلى داخل المهجع. لقد كنت توّافاً لتنفيذ عمل فدائي، لقد استطعت أخذ أداة حادة للانتحار، لهذا شعرت أنني سأطير من شدة الفرح. لقد استعددت جيداً لأن أقوم بهذا العمل.

هناك جلست في غرفة في المغسلة، مكان أن يغسل المرء وجهه. عابدين أي جاء إليّ وقال لي: إبراهيم، إذا رآك أحدهم تجلس هنا، كانوا يضربونك. قلت له: عابدين، سأقوم بتنفيذ العمل الفدائي هنا. أنا الآن لن أقول ماذا سأفعل، إلى أن بعد أن أقوم بتنفيذ هذا العمل، بعد أن أقوم بهذا العمل، يجب أن تبحث عن الورق الذي كتبت فيه أسباب إقدامي على هذا العمل، أعط الرسالة لمحمد جان أزباي. الآن وداعاً، ربما لن نتصادف أو لن نلتقي مرات أخرى. أرجو لك أن تذهب وتخبر جمال أوغر بأن إبراهيم في مكان قريب من المغسلة، يجلس هناك

عابدين أي قام باحتضاني، وكان في حالة لا يُحسد عليها من التعاطف والإشفاق. قلت له: لا تخبر أحداً بأنني هنا

باب دورة المياه كان مغلقاً ببعض أجزاء الأخشاب، وأعلى دورة المياه قمت بكسر لوحة خشبية، وبشكل لا يُرى قمت بتخبئتها خلفي.

جمال أوزجر دخل إلى داخل المغسلة، جاء بالقرب مني، وغاضباً قال لي: لماذا جئت إلى هذه المغسلة؟ عندها قمت بضربه باللوحة الخشبية، قمت بضربه بشكل مبرح حتى سقط أرضاً. عندها شعرت وكأنه مات. قلت في نفسي: بكل الأحوال أنا أيضاً سأموت، إذا مات جمال أوجر سيموت بسبب جرم خيائته وتجسسه على الرفاق.

وقمت حينها بابتلاع حبوب الأدوية كلها وشربت فوقها الماء، قمت بإلقاء الورقة التي كتبت عليها خطاب الانتحار، وعندما تناولت هذا الدواء بالفعل أغمي عليّ

حينها أخذوني إلى المشفى، ولم أعد أشعر ماذا حدث لي بالضبط. عندما فتحت عيني، كان السيروم عالقاً في يدي. أردت أن أفتح السيروم من يدي، لكن العساكر أحسّوا بي فقاموا بمنعي من ذلك.

كل عسكري كان أمام عيني وكأنه ثلاثة أو أربعة عساكر. كنت على درجة من الإغماء، أو شبه فاقد للوعي. شعرت أن الناس الذين حولي كأنهم سرب طائرات تحوم حولي

أسعد أوكتاي يلديران وقف بالقرب مني، شعرت أن خمسة من أسعد أوكتاي يلديران أمامي. قلت في نفسي: كان هناك أسعد واحد، لماذا أصبحوا خمسة؟

العساكر، ومن أجل ألا أفتح السيروم عن نفسي، قاموا بمسكي بعنف. شعرت بالإغماء، ورأيت العرق يتصبب مني، وقام الطبيب بحقتي بإبرة حينذاك.

بعد أخذ تلك الحقنة، لا أعرف كم من الساعات نمت، إلى أن أصبحت أميز بين العساكر. عندما حاولت للمرة التالية انتزاع السيروم من يدي، أحسّ بي عسكري مجدداً، وقام بلطمي. أحدهم قام بمسك قدمي، وأحد العساكر قام بامساكي من صدري في تلك اللحظات جاء الطبيب، وقال لي: لقد نجوت من الموت

عندما ذهب الأطباء، اقترب أسعد أوكتاي يلديران نحوي وقال لي بسخرية: تريد أن تفك السيروم عن يديك؟ تموت وتعتقد أنك تخلصت من العذاب؟ هل تعتقد أنني سأتركك هكذا تموت لتصبح بطلاً؟ سأفعل ما بوسعي من أجل أن تبقى على قيد الحياة، وستعيش وتموت مثل أي ميت، ولن تصبح بطلاً

صعد أوكتاي وصرخ بعساكر السجن:

إذا نزع هذا اللعين السيروم مجدداً، سأمزقكم إرباً إرباً

عندما يصحو ويستعيد وعيه، خذوه إلى المهجع رقم 35 أو 36

إذا لم يكن هناك مكان له، خذوه إلى المهجع رقم 24 ليغتسل في القسم رقم 36، وهناك يجب أن تراقبوه.

في الأسبوع القادم سأذهب إلى أنقرة، حتى أعود، لحمه لكم وعظامه لي.

العساكر لم يضعوا يدي في القيد.

وبرفقة أربعة إلى خمسة من عناصرهم، أخرجوني من المستشفى، وضعوني في عربة عسكرية، وأخذوني إلى السجن لم ينبسوا لي ببنت شفة، ولم يضربوني.

بعد أن قمتُ بضرب جمال، تم إخراجنا أنا وجمال من القاوش وخلال الأربع ساعات في ذلك اليوم لم ندخل إلى القاوش كما لم يخرج أفراد القاوش أو المهجع إلى الخارج، ولم يضربوهم.

بعد أن أخذوني إلى السجن، قال لي أحد السجانين إن ضابطهم أعطاهم تعليمات: خذوا هذا إلى الحجرة 36 ، ثم إلى المغسلة، وبعدها إلى المهجع الذي فيه تلفاز، حتى يأتي القائد من أنقرة أخذوني إلى الحجرة ولم يضربوني هناك

ثم أخذوني إلى الطابق السفلي، إلى الحجرة الأخيرة، وكان حمامها مغلقاً، وتنبعث منه رائحة براز شديدة كانت الرائحة قادمة أيضاً من الطابق الأعلى.

تماسكت، لكنهم ألقوني عنوة في تلك الحجرة المليئة بالبراز والبول.

كان المكان صامتاً تماماً، وكأنه لا أحد في الطابق المؤلف من تسعٍ وثلاثين حجرة.

بعد نصف ساعة، نادى السجان باسمي بصوت عالٍ: إبراهيم
غوروز

خرجت من الحمام، وكانت الرائحة الكريهة تفوح مني، فابتعدوا
عني مسافة متر.

اقترب أحد الضباط وسألني: لماذا حاولت أن تقتل نفسك يا بني؟
لم أجب

ثم سألني مجددًا: هل اغتسلت جيدًا؟

بعدها قال: خذوا هذا إلى المهجع 24

عندما ذكروا المهجع الذي فيه تلفاز، فهمت أنهم سينقلونني إلى
مهجع آخر.

قبل أن يأخذوني إلى الممر، رشّوا عليّ الماء

وبدأت رائحة القذارة تخفّ تدريجيًا من جسدي وثيابي.

تركت حذائي في تلك الحجرة، وبقيت حافيًا في المهجع 24

كانوا قد سمعوا أنني حاولت الانتحار

لم يكن أحد يعرفني، لكنهم كانوا يعرفون اسمي

عندما أدخلوني إلى المهجع، اعتدوا عليّ مرة أخرى

ثم نادى سجان المهجع مسؤول المهجع وقال له: إذا حاول ابن
العاهرة هذا الانتحار مرة أخرى، ستعاقبون جميعاً

في ذلك المهجع لم يكن هناك مخبرون، وكان الرفاق في حالة
من الطمأنينة

رويت لهم ما حدث معي بالتفصيل، فساعدوني كثيراً
بعد ذلك استحممت جيداً، لكنني شعرت أن الرائحة لا تزال عالقة
بي.

كانت قد تسلمت إلى نفسياتي ولم أستطع التخلص منها
أعطوني ملابس نظيفة

وكان الرفاق في القاوش 25، الموجود فوقنا، قد وضعوا
ثيابي قرب المهجع 24

نادى سجان المهجع: تعال وخذ ملابسك

كان من الجيد أنهم أعطوني ملابساً

بعد بضعة أيام كان من المفترض أن أذهب إلى المحكمة

في الليلة التي سبقت ذلك، لم أستطع النوم

لا أعرف إن كان ذلك بسبب التوتر أو الفضول لما سيحدث

ربما أيضاً بسبب فرحتي لرؤية أصدقائي

كنا نحلق ذقوننا كل صباح ونرتدي ملابس جديدة

بعد الحلاقة، كان مسؤول السجن ينظر إليّ بشفقة

كنت أقف بصمت، وقد انتهيت من الحلقة
 بعد محاولة الانتحار وضربي لجمال، سادت الفوضى
 كانت ملابس جمال ملطخة بالدم، وكنت أنا فاقد الوعي
 أما الرسالة التي كتبتها، فقد قرئت على الرفاق في المجمع
 وقد استلمت إدارة السجن الرسالة وأخذتها وعندما قرئت
 الرسالة روشان أصلان وكريم خوجة ا ومحمد اوغوز وأحمد
 تانيرفردي و ألباي كانوا جميعهم حاضرين وقد تلقفوا الرسالة.
 الشقيقان الخائنان وقعا في خوفهما، ونفسيتهما تعقدت
 لخشيتهما من أن ينالا الضرب على طريقة ضربنا لجمال، في
 ذلك اليوم.
 عساكر السجن دخلوا في حالة قلق منذ ذلك اليوم، إلى أن
 اهتمت الإدارة بالموضوع جيداً.
 قمت بتهديد جمال أوزغار وقلت له: إذا جاءتني الإدارة،
 فستكون أنت السبب
 إذا طوقوني واعتدوا عليّ أكثر، سيحدث لك مكروه أنت
 وأخوك، لتدركوا عواقب ما سيحدث لكما
 بعد هذا التهديد، تم بعثرة مهجعينا، وقد جرت تلك البعثرة بشكل
 دقيق ومنهجي

في اليوم الذي كنت أذهب فيه إلى المحكمة، أشار لي العساكر بأصابعهم وصوّروني على أنني قاتل متوحش.

أرادوا أن يقوموا بفعل شيء ضدي في أي لحظة، وشعرت برغبتهم في الانقضاض عليّ في المهجع 24

عندما أخذوني من الساحة، الأشخاص الذين كانوا سيعودون إلى المهجع، اصطفوا على طول الممر الكبير، وأرادوا منهم السير بالمشية العسكرية.

صوت المارش العسكري، ووضعية الأرجل، وصراخ السجناء، وشتائمهم القذرة، كلها تداخلت ببعضها.

كنا في حالة غثيان شديد، وتم تقييد أيدينا من ناصيتها، كالعبيد كانت السلاسل معلقة على أكتافنا نجرها خلفنا، وكأنا سنباع في سوق النخاسة.

في ذهابنا وإيابنا بين المحاكم، ومن الأمام والخلف، كانت السلاسل تقيّدنا من كل الجهات. لكن من الجيد أن الرفيق خضر كان مقيدًا أيضًا، وقد شهد ذلك المشهد وتقاسم معي الشعور

كان خضر في نهاية الطابور، آخر شخص بين المقيدون. كانت أيدي الجميع مكبلة بالسلاسل، ولم يستطع حماية نفسه من ثقلها وهي متشابكة بعضها ببعض. اشتدّ ضغط السلاسل على شرايين يديه حتى شعر وكأنهما ستقطعان من شدة الألم أثناء السير. وتركت تلك السلاسل آثارًا عميقة على كتفيه ويديه،

بقيت معه لاحقاً، إلى أن استطاع التخفيف منها عبر ممارسة رياضة خاصة بعد أن خرج من السجن.

عائلة خضر سعت لإطلاق سراحه. كانوا قد سمعوا عن محامٍ بارع في إسطنبول يستطيع إخراج المعتقلين. كان لديهم قريب يعمل في مدينة ماردين، فباعوا منزلهم لتوكيل ذلك المحامي، دون أن يخبروا خضر بذلك.

كان المحامي يتنقل ذهاباً وإياباً إلى سجن ديار بكر (آمد)، بالطائرة، وكانت العائلة تتحمل تكاليف سفره وإقامته في الفندق.

في إحدى جلسات المحكمة، عرّف المحامي عن نفسه وقال

موكلي قد تغيّر وهو نادم على أفعاله، ولا يوجد شيء اسمه الشعب الكوردي أو كردستان كوطن وتاريخ، وموكلي تركي، وأطلب إطلاق سراحه.

عندها تدخل القاضي وطلب من خضر الرد، فسأله: هل تقبل ما يقوله المحامي؟

فأجاب خضر:

وظيفة المحامي حماية حقوق موكله، لا إنكار هويته أو التعامل معه بعنصرية. هو ليس عالم اجتماع ولا مؤرخاً حتى ينكر وجود الكورد أو كردستان. أنا كوردي، ووطني كردستان، وأرفض أن يكون هذا الشخص محامياً لي.

رفض المحامي في هذا السياق يعني رفض تلك "الحماية القانونية" المشروطة، وتكذيب كل ما ورد على لسانه. في ظروف كهذه، حيث تنتزع الاعترافات بأساليب قاسية، فإن هذا الرفض يعني أن المعتقل كان مدرّجاً لكل الاحتمالات السيئة، ومهيأً لمواجهةها.

الرفيق خضر، الذي رفض حماية المحامي والدفاع عنه، اعتبرت هيئة المحكمة هذا الرفض موقفاً سياسياً. وبناءً على ذلك، رأت المحكمة أنه يصرّ على هويته الكوردية، وهو ما قاد عملياً إلى توقّع صدور حكم السجن المؤبد بحقه. بعد هذا الموقف، تعرّض داخل السجن لتعذيب شديد، وصل إلى كسر أضلاعه

عندما عدتُ من المحكمة، اقترب مني أسعد أوكتاي يلديران وقدم لي ما سمّاه "نصيحة"

أنت ما زلت شاباً، وأمك وإخوتك ومن يحبونك بانتظارك. إذا أعلنت ندمك ستخرج، وإن رفضت فسُتسحق. قبل أن تذهب إلى المحكمة فُكر جيداً، سأمحك وقتاً. بعد أيام ستعترف. الذين قتلوا أباك اعترفوا بما نريده. إذا اعترفت، ستشير إليهم في المحكمة وسيُعاقبون.

من خلال "اعترافات" آخرين، فهموا أنني ذو قيمة داخل التنظيم، فتصاعد الضغط عليّ بشكل منهجي. حين نُقلت إلى المهجع، تعرّضتُ مجدداً للتعذيب. كانت التهديدات تؤثر فيّ نفسياً، وكنت جديداً لا أعرف أحداً، فحبستُ ما بداخلي ولم أشارك أحداً بمشكلتي، رغم رغبتني في البوح

بعد أيام، أرسلت مجموعة إلى المهجع الذي أقيم فيه. أخذوني إلى الحَمَام واعتدوا عليّ بعنف. ثم عاد أسعد أوكتاي يلديران يكرّر عرضه:

الذين هاجموك هم كما نريد. عليك فقط أن تشير إليهم. اضربهم أمام المحكمة بوصفهم قتلة أبيك، واطلب معاقبتهم. أعلن ندمك وأقسم قسم الشرف، وستُطلق سراحك. سأساعدك أجبته:

كنتُ أنا وأبي في البيت حين أُطلق النار علينا، لكنني لا أعرف من أطلق النار، ولم أرَ وجوههم. لن أكذب على نفسي أو على أحد، ولن أتهم أبرياء. لماذا تضغطون عليّ لأفعل ذلك؟ لا أريد الاعتراف على أشخاص لا أعرفهم، لأنني سأشعر بتأنيب الضمير.

عندها انهالوا عليّ ضرباً بعنف شديد، كأنها “حفلة استقبال” مقرونة بالتهديد. ثم تدخل أسعد أوكتاي يلديران وقال للجنود لا تضربوه، دعوني أتحدث معه. يكفي أمران: قل إنك نادم، وإنك تبحث فقط عن قتلة أبيك

عندما أدركوا أنني لم أجب، أعادوا تعذيبني فوراً. طرحوني أرضاً على ظهري، ورفعوا ساقيّ إلى الأعلى، ثم بدأوا بضرب قدميّ بالعصي، وبعدها بالخيزران. انهالوا عليّ بالركل والسحل حتى سال الدم من أنفي وفمي.

أعطوني منديلاً ورقياً، لكنني لم ألتقطه . في تلك اللحظة تمنيت الموت؛ كان يبدو أرحم من الاستمرار في هذا الألم. ثلاثة أو أربعة من العساكر اقتربوا، وضعوا المنديل الورقي على أنفي وفمي بأنفسهم لوقف الدم، ثم أخذوني إلى الممر، وبعدها إلى غرفة إسعاف لإيقاف النزيف.

طلب الأطباء من العساكر وضع ماء بارد خلف عظامي. وعندما فعلوا ذلك، ارتجفت بشدة من البرد رغم حرارة الصيف جسدي كان محمواً من شدة النزيف والإجهاد. شعرت ببرودة قاسية تسري في جسدي.

اقترب أسعد، ولاحظ أنني على وشك السقوط، فقال للعساكر: “أمسكوه.” ثم سألني مجدداً:

”عندما أطلق النار عليكم، ألم تتعرف على أحد؟“

أجبت:

لا أعلم شيئاً. لم أر سوى الفوارغ، والأشخاص الذين أطلقوا النار كانوا مجهولين. لم نعرف من فعل ذلك.

عندها صرخ أسعد غاضباً:

-أخرجوا ابن العاهرة إلى المهجع! بعد بضعة أشهر سيُشنق، وأنا من سأشد الحبل حول عنقه

حملني جنديان من كتفي، وبصعوبة أعادوني إلى المهجع. هناك، استقبلني السجناء الآخرون، ساندوني وساعدوني،

وضعوني على السرير، وبدأوا بتدليك يديّ وقدمي وتنظيف آثار الدم عن وجهي

ذلك التضامن والاهتمام منحاني قوة إضافية، وكان سبباً في زيادة صمودي.

هذا التعذيب استنزفني وسبب لي ألماً هائلاً، إلى أن وصل الأمر إلى درجة شعروا فيها باليأس مني وتركوا أمري، فشعرت حينها بوجود لحظة سكون أو راحة داخل هذا الألم.

تاريخنا يوضح أن الكورد وقعوا في فخ الخيانة، وعندما دخلوا هذا الفخ لم يجدوا هناءً ولا راحة. أولئك الذين خانوا جعلوا مستقبل شعبنا في ظلمة شديدة. ومن جهة أخرى، عندما تمكنوا من هؤلاء الخونة أدلوهم وألقوهم في حفر الغائط. خانوا داخل السجن، وتحولوا إلى مخبرين، واستسلموا، وعاشوا منبوذين حتى خارج السجن، وعاشوا منعزلين وكأشخاص بلا قيمة في تاريخ نضال حرية كوردستان.

الذين خانوا، وعندما نفذوا المهام التي أوكلها لهم العدو، كان العدو ينظر إليهم كأنهم ديدان، وفي النهاية قُتلوا أو نُفوا

استدعى السجناء من نافذة السجن وقال: جهزوا قائمة من الصحف والمجلات. وعندما يُقال هذا الأمر، فهذا يعني أنه يجب تجهيز ذلك. وكنا نعرف بعض الصحف التركية مثل صحيفة جمهوريات، حريات، وملييت، فقمنا بإعطائهم هذه العناوين

فقام السجناءون بجلب الصحف، وكانت أحياناً تحتوي على صور نساء عاريات، وكانت تلك المجلات تنشر أخبار الاعتقالات بحق

كوادرنا. وإذا كانت هناك أخبار لا تروق لهم، كانوا يقومون بقصصها بالمقص حتى لا نقرأها. وهذا بلا شك كان خطة ممنهجة ضدنا

وكانوا يأخذون أسعار تلك الصحف التي يرسلونها إلينا قسرًا من رصيد الأموال الذي يقدمه أهلنا لنا. وفي كثير من الأحيان لم يكونوا يعطوننا الصحف، وبعد عشر دقائق كانوا يأخذون تلك الصحف منا ثم يذهبون لبيعها لمهجع آخر، وبهذه الطريقة كانوا يسلبون أموالنا

وإذا وجدوا أخبارًا لا تروق لهم كانوا يضربوننا. وفي أحد الأيام عندما أخذونا إلى الساحة ليخرجونا، ضربونا بشدة

وعندما ضربونا، قال أحدهم عن غير قصد: أنتم رفاق الأرمن وأنتم تريدون قتل قنصلنا، أيها الكلاب. ونحن لم نكن نعلم ما يحدث خارج السجن، إذ كان هناك تنظيم أرمني باسم تنظيم أصلان بمعنى الأسد، وكان قد نفذ بعض الأعمال الانتقامية في بعض البلدان الأوروبية ضد السفارات التركية، فاعتبروا أن أحرابنا هي من قام بذلك، ولذلك كانوا يسألوننا عنهم

ولهذا قاموا بتعرية جميع المعتقلين في السجن للتأكد من هو مطهرٌ ومن هو غير مطهر. وكانوا يعتبرون غير المختونين غير مطهرين، وينظرون إليهم كأنهم مسيحيون أو سريان، وبعض لم يختتنوا، لأن عائلاتهم كانت فقيرة فلم يتم ختانهم في الصغر.

وكان الكورد المعتقلين غير المختونين يتعرضون للضرب،
ويعاملون كأنهم أرمن، ويُنظر إليهم على أنهم سرياناً مسيحيين
داخل السجن.

كان كل كوردي يتمتع بسمعة طيبة ومكانة محترمة يُستهدف
بسبب ارتباطه بالقضية الكوردية، حيث كان يُوصم بالانفصالية
ويُرسل إلى سجن آمد (ديار بكر)، المعروف بكونه مركزاً
للتعذيب. كان الهدف من اعتقال هذه الشخصيات المرموقة
إلحاق الأذى النفسي بنا وتقليل شأننا.

عندما علمنا أن شخصيات مثل نور الدين يلماظ وأحمد ترك،
وهما من أعضاء المجلس التركي، وكذلك المحامي الكردي
شرف الدين كايا، قد تم اعتقالهم وإيداعهم في هذا السجن،
شعرنا بصدمة كبيرة. فقد كانوا يُعاملون بعنف شديد ويتعرضون
لتعذيب مفرط.

كان حراس السجن يُظهرون سعادة واضحة أثناء تعذيبهم،
ويتفاخرون بذلك فيما بينهم، وكأنهم أنجزوا عملاً بطولياً. وكان
بعضهم يقول إنه سيتباهى عند عودته بأنه ضرب برلمانياً
كورياً.

عند إدخال هؤلاء المعتقلين إلى المهاجع، كانوا يتعرضون إلى
جانب التعذيب الجسدي إلى الإهانات والشتائم القاسية. وكان
الحراس يسخرون منهم قائلين إنهم وضعوا الأشخاص الذين
نحترمهم في “أسفل القاع”. وكانت كلمة “الحمام” تُستخدم
كرمز لمكان التعذيب، وكنا ندرك جيداً مايعنون.

كان تعذيب النخب الكوردية، وخاصة المحامين، يترك فينا أثراً نفسياً بالغاً، إذ شعرنا بألم عميق وكآبة شديدة، خصوصاً تجاه محامين الذين أظهروا شجاعة كبيرة.

وكان يتم عزل هؤلاء المعتقلين عن بقية السجناء، حيث يُفصلون عنا عمداً. أما المعتقلون الجدد، فكانوا يتعرضون للضرب فور وصولهم، دون أن يعلموا إلى أي مهاجع سيتم نقلهم. وكان الحراس يخذعونهم بالقول إنهم سيذهبون إلى مهاجع تحتوي على حمامات أو تلفاز، دون أن يدركوا أن ذلك يعني التعرض لمزيد من التعذيب والإهانة

كان الجنود يقولون للضباط إن المعتقلين الجدد يطلبون الذهاب إلى المهاجع التي تحتوي على المغاسل والتلفاز. فيرد الضابط ذو الرتبة بسخرية: "طالما أنهم يريدون ذلك، ماذا تنتظرون؟ خذوهم إلى هناك.

كان هؤلاء المعتقلين، ببساطة وبراعة، يتجهون نحو الساحة، دون أن يعلموا ما ينتظرهم. هناك، كانوا يجدون طريقاً محاطاً بعناصر السجن، يحملون الهراوات والعصي والسياط، وكأنهم قطيع من الضباع يترصد فريسته. وما إن يمر المعتقلون حتى ينقضوا عليهم بعنف شديد.

بعد ذلك، كانوا يُنقلون إلى المهجع رقم 36، في الطابق السفلي، إلى آخر غرفة تنبعث منها روائح كريهة من البراز والبول. هناك، كان يُؤمر الأسرى الجدد بالتعري من ملابسهم والدخول. ومن يرفض أو يقاوم، كان يتعرض للضرب المبرح، ويتم تجريده بالقوة.

ثم كانوا يُطرحون على ظهورهم وسط تلك القاذورات. عندها فقط يدرك المعتقل الجديد معنى "المهاجع التي تحتوي على المغاسل" أو "التلفاز". فقد كانت تلك المهاجع في الحقيقة جحيماً

كان الأسرى يُجبرون على النزول في حفرة مليئة بمياه الصرف الآسنة، تصل إلى أعناقهم، وتبقى أجسادهم مغمورة فيها. كثير منهم كان يعاني من النقيو، والاشمنزاز، والدوار من شدة القذارة والرائحة.

هذه الممارسات كانت جزءاً مما يسمى في سجن آمد "حفلة الاستقبال" التي كانت بانتظار الأسرى الكورد الجدد.

يروي خطيب كاجك أنه قبل اعتقاله، كان شاهداً على الدعاية المضللة التي استهدفت التنظيمات الكردية الأخرى، والتي روج لها بعض عناصر حزب العمال الكوردستاني. وعندما نُقل لاحقاً إلى سجن آمد، رقم 5، اكتشف الحقيقة بشكل مباشر.

قال إنه عند وصولهم إلى الطابق السفلي من المعتقل، تعرضوا للضرب الشديد، وكانت الغرفة مكتظة بمعتقلي حزب العمال الكوردستاني. لم يكن أحد يجرؤ على الكلام أو التعبير عن رأيه. وأشار إلى أنه في الخارج، كان يُقال إن أنصار الحزب يقاومون داخل السجن، بينما بقية التنظيمات استسلمت في "مهاجع المغاسل والتلفاز"، لكنه يؤكد أن هذه الادعاءات لم تكن صحيحة.

بعد التعذيب القاسي، أُلقي بهم في حفر مليئة بالمياه الآسنة، حتى تلطخت أجسادهم بالكامل بتلك القذارة، وبقيت الروائح العفنة عالقة بهم. وعندما وقفوا للحظة، لاحظوا أن هذه الحفر مأهولة بمعتقلين، وأن الطوابق الأربعة مكتظة، ومع ذلك لم يكن يُسمع أي صوت منهم.

أمرهم الحراس بالاصطفاف أربعة أربعة وفق أطوالهم، والسير بخطى عسكرية، حيث كانت الأكتاف تصطدم ببعضها، فيما انهالت عليهم الشتائم. ثم أُجبروا على الانبطاح والزحف وهم عراة، وعندما عجزوا عن الاستمرار، قام الحراس بسحبهم بالقوة، ما أدى إلى انسلاخ جلودهم في أماكن احتكاكها بالأرض.

عند باب المهجع، قرأ أحد الحراس نصاً بصوت عالٍ مرتين: "أهلاً بكم في المهجع الذي يحتوي على التلفاز. بعدها تناوب السجانون على ضربهم وتسليمهم من جلد إلى آخر. وأضاف بسخرية: "أنتم الآن في القاوش الذي فيه التلفاز، وإذا قمتم بتخريبه فستُعاقبون بشدة.

شعر المعتقلون بالمهانة الشديدة من هذا الخطاب، خاصة وأن أجسادهم كانت مليئة بآثار الضرب والسياط. وعندما فُتح باب المهجع، لاحظوا أن السجناء الذين كانوا بداخله لم يبدو أي دهشة، وكأنهم اعتادوا على هذه الظروف القاسية.

في القاوش كانت هنالك مجموعات من التنظيمات القومية الأخرى. كان كل شخص في ذلك المهجع يتواصل معنا من أجل الاستحمام، وكانوا يوفرون لنا القليل من الماء. بعد الاغتسال

كانت الرائحة الكريهة تأبى الخروج من أنوفنا و أجسادنا .
أعطونا ملابس نظيفة لنتمكن من الأكل، وقَدّموا لنا بعض
الطعام الذي جُلِب من الكابينة داخل ذلك المهجع.

كنا نأكل ونحن في حالة قلق دائم مما قد يحدث لاحقاً، خوفاً من
أن تأتي مجموعة من السجنانيين وتقوم بضربنا. لم يكن عقلنا
في حالة وعي كاملة، ولم تكن ندرك كيف يمكن للمعتقلين الذين
قضوا سنوات تحت التعذيب أن يعيشوا أو يصمدوا.

كان خطيب يعبر عن آرائه في ظروف عادية، ثم يطرحها في
تلك الأماكن التي كنا نقيم فيها. كنت أنا وهو وآخرون لفترة معاً.
كان خطيب رقيقاً ذا قلب دافئ، يساعد رفاقه دائماً، وكان نزيهاً
ومتفانياً. عندما كان يتحدث عن الرفاق في الخارج كان يقدم
رؤيته للواقع الحالي بوضوح، ويقول إن التنظيم بسبب الأنانية
والضيق الأيديولوجي تعرض للانقسام.

لم تكن هنالك أسباباً حقيقية أو فكرية واضحة لهذا الانقسام، بل
كان مردّه إلى الأنانية والصراع على السلطة. بعضهم كان يقول
إن الاتحاد السوفيتي صديق وسيدعنا، بينما كان آخرون
يعارضون ذلك، ولذلك انقسم التنظيم.

في الواقع، لم يكن الاتحاد السوفيتي يدرك تفاصيل ما كان
يجري بينهم، ولم يكن الموضوع ضمن أولوياته أصلاً. كما أن
الاتحاد السوفيتي لم يكن يدعم تلك الأحزاب بشكل مباشر كما
كان يُشاع، وكان موقفه العام معادياً للديمقراطية، لذلك كان
الوضع الداخلي يتدهور.

ولو أن تلك الأحزاب درست التاريخ جيداً وأدركت حقيقة واقعها، لعرفت أن الاتحاد السوفيتي كان يقيم علاقات مع تركيا وإيران، وقد وقع معهما اتفاقات عدم تدخل. كذلك كانت حركة البعث، سواء في سوريا أو العراق، تُعتبر في نظره أطرافاً شريكة، حيث أبرمت معها اتفاقات سياسية وأمنية واقتصادية وعسكرية.

وكانت تلك الأنظمة تقف ضد الحركات القومية الكردية، وتحصل في المقابل على دعم تقني وعسكري وسياسي من قبل السوفييت ما ساهم في تعزيز قوة الأنظمة القمعية.

لقد حوّلوا السجن إلى مكان يبعث على الرهبة. كنا نعرف من النهار كيف سيكون الليل، ولم يكن هناك فارق بين النهار والليل. كانت العتمة تسيطر على كل شيء، طويلة وثقيلة، ولا نعلم متى سيأتي النور. لم نكن نعرف متى سنلتقي بأولادنا، أو متى سيحين ذلك الوقت الذي نجلس فيه مع رفاقنا وأقاربنا، نشرب الشاي في كووس زجاجية دون خوف أو سرية.

كيف ومتى سنلتقي بأحبائنا بلا خوف؟ متى سيأتي الوقت الذي نتقاسم فيه همومنا وأحزاننا معاً في ظروف طبيعية؟

في تلك الظروف الصعبة، كان صديقنا حميد سازبند يستخدم المكنسة كأنها آلة موسيقية شبيهة بالبزق، ويؤدي بها أغنية بشكل كوميدي كان يبعث فينا الضحك أحياناً ويمنحنا بعض المعنويات.

هل سنذكره يوماً ما؟ هل سيأتي اليوم الذي نتبادل فيه الفرح بحرية؟

كنا نعتقد أنه في الغد لن نكون في سجن مغلق، ولن نعيش هذه الذكريات القاسية، وأنه سيأتي يوم نضحك فيه على ما مضى. كانت هذه أمانينا وأحلامنا، سواء في النهار أو الليل، ولم نكن نعرف متى ستتحقق.

عندما كانت هذه المشاعر تملأنا، كنا نشعر بشيء من الحرية الداخلية. كنا نحب أن نتشارك هذه الأحاسيس مع خطيب كابجاك وحמיד سازبند خارج السجن.

لكن كلاهما قُتل على يد أطراف مجهولة، وكان قتلها جرحاً عميقاً وثقيلاً في داخل كل رفيق عاش معهم.

بعد ذلك نسينا الضحك، ولم يعد هناك فارق بيننا وبين الورد الذابلة.

في الخامس من أيلول عام 1983، وفي المهجع رقم 27، ارتفعت أصوات الشعارات داخل السجن، حيث كان المهجع يعج بالمعتقلين المنتمين إلى عدة تنظيمات وأحزاب، مثل حزب كاوا، طريق الحرية والخلاص، حزب الخلاص، حزب العمال الكوردستاني، وحزب الديمقراطية الكوردستاني، إلى جانب آخرين.

كان من بين المشاركين في هذه الانتفاضة كل من محمد شاهين وزكي كاراتاش، حيث كانا ضمن الذين رفعوا أصواتهم بالشعارات. كما امتدت الحركة إلى المهاجع الأخرى، إذ بادر

معتقلو المهجعين 35 و36 إلى الانضمام، لتشمل الانتفاضة لاحقاً المهاجع 24 و25 و26 أيضاً، حيث تعالت الهتافات المناهضة لظروف الاعتقال والتعذيب.

في المهجع 24، كان أحد المعتقلين يعيش حالة احتراق داخلي، فبدأ بالصراخ والهتاف، ثم أعلن دخوله في إضراب مفتوح عن الطعام، احتجاجاً على الأوضاع، ومطالباً بالكتابة والحصول على قلم وورقة، بهدف توثيق ما يتعرض له المعتقلون من تعذيب لاإنساني وسياسات قمعية وانتزاع اعترافات بالقوة، وكذلك للمطالبة بتوفير شروط إنسانية للمعتقلين.

وقد أوضح أنه لا يستخدم عبارات المجاملة أو الاحترام في صياغة مطلبه، لأن طبيعة الوضع لا تسمح بذلك، مؤكداً أن ما يجري في المهاجع يمثل حالة قاسية تجاوزت حدود الاحتمال

كما شدد على أن قرار الإضراب عن الطعام لم يكن نتيجة تعليمات تنظيمية، بل جاء بدافع فردي نابع من إرادة شخصية، في ظل الظروف القاسية التي يعيشها المعتقلون، حيث وصل كثيرون منهم إلى حد لا يُحتمل من التعذيب والمعاناة.

وخلال هذه الأحداث، شهد المهجع 24 نقاشاً مع أحد أعضاء حزب العمال الكردستاني حول الدخول في إضراب مفتوح عن الطعام لإثبات الانتماء للتنظيم، حيث طُرحت فكرة أن هذا السلوك قد يكون معياراً للولاء.

إلا أن الرد كان أن من دخلوا في هذا الإضراب هم أحياء، وقد تعرضوا للتعذيب، وهم أصحاب موقف وطني وإرادة واضحة، ولم يرتكبوا أي خيانة، ولهم الحق في اتخاذ هذا القرار

كما أشار إلى أن معتقلي مختلف التنظيمات داخل المهجع 24 كانوا شهوداً على هذه المواقف، وقد أبدوا تضامنهم مع هذا المطلب.

وفي خضم ذلك، أبلغ السجانون بقرار نقل من دخلوا في الإضراب إلى مهجع آخر، مع السماح لهم بجمع أغراضهم الشخصية، بما في ذلك الملابس والمستلزمات الأساسية.

عندها قام بتوديع الرفاق وجمع مقتنياته استعداداً للنقل، وسط مشهد يعكس حجم التوتر والمعاناة داخل السجن في تلك المرحلة. عند خروجي من المهجع، تغيرت معاملة السجّانين، وسئلت عما إذا كنا سنواصل صيام الموت أم سنتوقف. فأجبت كما ورد في رسالتي: إذا لم تُلبَّ مطالبنا فلن نتوقف عن صيام الموت.

وعند نقلي إلى مهجع آخر، لم أصفع أو أضرب ولو مرة واحدة، إذ تمّ تجهيز مهجع خاص بالمضربين عن صيام الموت. جلبت لنا الأغذية والفرش، وفرشت الأرضية بشكل منظم، وشعرت آنذاك بشيء من الرضى تجاه هذا القدر من التنظيم في التعامل.

لم تكن هناك أوامر قاسية مثل “انهضوا” أو “اصطفوا” أو “قولوا سيدي”، بل كان كل شخص في مكانه، وتمّ العدّ بشكل هادئ، وكان التعامل بين الجميع قائماً على قدر من التسامح.

شارك في الإضراب معتقلون من مختلف التنظيمات، ولم يتخلَّ عنه سوى شخص أو شخصين، بينما صمدت الغالبية رغم خطورة الوضع الذي وصل إليه كثير من المشاركين.

كان وضع المضربين بالغ الخطورة، إذ كان كثير منهم قريبين من الموت نتيجة الإضراب. وقد بلغ عدد المشاركين في صيام الموت نحو مئتي معتقل من أصل قرابة ألف وثمانمئة معتقل. وكان هذا الصمود مصدر فخر لمن شاركوا فيه، باعتباره عصيانياً واسعاً داخل المهاجع.

ولا يمكن لأي حزب أو تنظيم أن يدّعي أنه كان صاحب هذا التحرك أو أنه دعا إليه وحده، إذ كان نتاجاً مباشراً للظروف المشتركة والتجربة القاسية التي عاشها الجميع.

في تلك المرحلة، وبشكل مترافق مع هذا الحراك، شارك عدد من الرفاق، من بينهم خضر يكيّتي ومحمد جان أزبای ومحمد ربال تشينكاي ورجب فيسيلي، إلى جانب آخرين من حزب الحرية، في هذا الصمود حتى النهاية

وفي إحدى اللحظات، جاء بعض السجّانين وأمروا المعتقلين بالخروج إلى الساحة وأداء تحية عسكرية قسرية. عندها رفض خضر يكيّتي وقال للضابط: من الآن فصاعداً لن نقبل تعليماتكم، نحن لسنا جنوداً، نحن معتقلون سياسيون، عاملونا كمعتقلين سياسيين أو اقتلونا.

في اليوم التالي، صدر أمر بإخراج المعتقلين إلى الساحة، حيث فُرضت إجراءات قسرية شملت أداء حركات عسكرية بالإجبار.

وخلال ذلك، قام خضر يكييتي وسبعة من رفاقه بمحاولة إيذاء أنفسهم عبر ضرب رؤوسهم بالجدران، في فعل احتجاجي عنيف، رغم محاولات عناصر الحراسة منعهم وإيقافهم، لكنهم أصرّوا على مواصلة ذلك حتى النهاية.

عندما كنا في السجن ونصمد، كانت عائلاتنا تقف إلى جانبنا وتدعمنا، فقاموا بالتنديد بتلك الانتهاكات وساهموا في إيصال صوتنا إلى الرأي العام. وقد حاولت السلطات الضغط عليهم، خاصة عائلات محمد شنر وصالح شنر، لوقف تلك التحركات، لكنهم من خلال التظاهرات والتنديدات تمكنوا من تحريك الجماهير وكسب تعاطفهم. ولا بد من التأكيد على الدور الكبير الذي لعبته العائلات في دعم المعتقلين.

عندما أدركت إدارة السجن أننا لن نتراجع عن صيام الموت، بدأت بمحاولة الضغط النفسي، فكانت تنادي على أهالي المعتقلين وتطلب منهم التحدث مع أبنائهم لإقناعهم بالتوقف. وفي أحد اللقاءات داخل المهجع، قال أحد الآباء لابنه: “يا بني، أنت الابن الأكبر، وإذا متّ فمن سيحمي إخوتك ويهتم بهم؟ لمن ستلجأ أختك؟ توقف عن صيام الموت

كان هذا الحوار مع حيدر صويلماز. فأجابه قائلاً: “يا أبي، إنهم يمارسون بحقنا أبشع أنواع التعذيب، ويحاولون انتزاع الاعترافات بالقوة. ما نتعرض له لا يُحتمل، ويريدون منا أن نخون. هل تقبل أن نفعل ما يخالف ضميرنا؟ لذلك لن أتوقف عن صيام الموت

بدلاً من أن يؤثر الأب على ابنه، تأثر الأب بكلامه وقال بحزن:
 “يا بني، ما دام هذا ما يحدث معكم، فأنتم محقون. سنفعل ما
 بوسعنا من أجلكم.”

ثم بكى وغادر.

أما والدته، فقد توسلت إليه قائلة: “يا بني، ليتني متّ قبل أن
 أراك في هذا الحال. إذا متّ، لمن سأقول يا بني؟ أرجوك توقّف
 عن صيام الموت.”

فأجابها حيدر: “ما يحدث لنا أخبرته لأبي. وإذا متّ، فسيبقى
 آخرون هنا يحملون صوتنا. قللي للجميع إننا حزاني، لكننا
 صامدون

مسحت الأم دموعها وغادرت، في مشهد يجسّد عمق الألم وقوة
 الإرادة في آن واحد.

وعلى عكس تقديرات قيادة السجن التي ظنّت أن الأهالي
 سيضغطون معنوياً على ذويهم لوقف صيام الموت، حدث
 العكس؛ إذ تأثرت العائلات بالأسباب التي دفعت المعتقلين في
 المهجعين 35 و36 إلى الإضراب عن الطعام، حيث كان من
 فيهما قد دخلوا صيام الموت.

نُقلنا من المهاجع إلى الغرف والحجرات، وكان من بين الذين
 بدأوا صيام الموت إسماعيل آي، وإبراهيم دلماج، ونوري طقل،
 إضافة إلى أعضاء من تنظيمات أخرى عديدة. وكل تنظيم قال
 لرفاقه: لا نتوقف حتى يحقق الإضراب هدفه.

العائلات والأصدقاء في الخارج بدؤوا أيضاً بأنشطة داعمة، ما أدى إلى تحرّك منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الديمقراطية على المستويين القومي والدولي، والتي دعمت أنشطتنا في سجن آمد، فاكستبت طابعاً دولياً، وكان ذلك تطوراً إيجابياً.

ولو لم يتم الحد من صيام الموت، فبرأيي كان سينضم إليه المزيد يوماً بعد يوم. حتى الذين لم يدخلوا صيام الموت ساهموا بطرق مختلفة. وعندما قيّمت قيادة السجن الوضع ورأت أن عدداً كبيراً قد يموت نتيجة الإضراب، أرادت الجلوس مع الأسرى، وكان ينبغي أيضاً على قادة التنظيمات ومسؤوليها إحصاء حالات الصيام والوفيات

بدأت قيادة السجن بالتواصل مع معتقلي حزب العمال الكوردستاني، لكن لم تكن لدى هذا الحزب نية للتنسيق مع بقية الأحزاب، بل سعى إلى الاستفادة منها، وأن يُستدعى بصفته حزباً منفرداً. وجاء ممثلوه إلى الحجرتين 35 و36 وقالوا: لقد تحدثنا مع قيادة السجن واتفقنا معها، وبالتالي فإن إضراب الطعام انتهى بشرف، وسنتناول الطعام مساءً

وبعد انتهاء الإضراب في الخامس من أيلول بشكل مشرف، غيرت قيادة السجن موقفها، وأعدت تقريراً أرسلته إلى الجهات العليا يفيد بأن جميع المعتقلين في سجن ديار بكر قد خضعوا لسيطرتهم، وأنه تم “إصلاحهم”. ونتيجة لذلك، جرت ترقية أسعد أوكتاي ومجموعته، ثم نُقل لاحقاً إلى إزمير

المعتقلون غير السياسيين الذين أُدخلوا بيننا تعرّضوا للتعذيب كما تعرّضنا نحن. وعندما انتفضنا، انتفضوا معنا لأنهم كانوا

كوردأ، رغم أنه لم تكن لهم صلات بالتنظيمات الكوردية، لكن الدولة كانت تنظر إليهم كأعداء. وربما لهذا السبب كان واضحاً أن الدولة كانت، بمختلف الوسائل، تحاول قمع الإنسان الكوردي.

في تلك الفترة التي كنا نعامل فيها بوحشية، لم نكن قادرين على مساندة رفاقنا، ولا حتى على حماية أنفسنا كأفراد. كان للمعتقلين هدفان: البقاء على قيد الحياة، وعدم التفريط بمبادئهم وشعبهم أو السقوط في الخيانة.

كان العدو ينظر إلينا كطرف يجب إفناؤه، ويتعامل معنا كعبيد ولم يكن الآباء أو الإخوة أو الرفاق في الخارج قادرين على فعل شيء لنا، ما زاد من شعورنا بالألم. كانت الدولة، عبر التعذيب والانتهاكات القصوى، تسعى للانتقام منا وإجبارنا على الاستسلام، وتحاول بكل ما لديها أن نتخلى عن مشاعرنا وأفكارنا ومبادئنا القومية، وأن نعلن ندمنا وفق إرادتها، أو نتوسل إليها طلباً للعفو.

لكن من خلال هذا العصيان، وهذه الانتفاضة، ووضع حياتنا على المحك، استطعنا رغم كل ممارساتها أن نصمد. لم تنتصر على مبادئنا، ولم نتخل عنها في أحلك الظروف. ورغم الضرب والتعذيب، لم ننحن ولم نتوسل. وعندما كان الجنود يهاجموننا بهذه الوحشية، كنا نزداد تماسكاً بروح قومية أعلى، وندعم بعضنا بعضاً.

هذا خلق في داخلنا إيماناً وبقيناً حقيقيين دفعانا نحو الانتفاضة، وأوصلنا إلى خلاصة مفادها: مهما ارتفعت الأيديولوجيات الحزبية، فإن الروح القومية أو الوطنية لا تموت فينا.

إن أفعال الإضراب عن الطعام، ومحاولات إحراق الجسد، وغيرها من أشكال التضحية، كانت تعبيراً بالغاً عن نمو تلك الروح القومية، وكان هدفها الأساسي الصمود والثبات في وجه العدو.

انتفاضة 5 أيلول داخل السجون أربكت حسابات السجانين وأفشلت محاولاتهم في إذلال المعتقلين السياسيين الكورد. فبعد أن كان المعتقلون يُعاملون كأرقام، دون أسماء أو هوية، أُجبر السجانون لاحقاً على مناداتهم بأسمائهم نتيجة ضغط الانتفاضة وصدودها.

يُروى أن السجناء استطاعوا قلب ميزان العلاقة داخل السجن، حتى أصبح السجانون أكثر حذراً وتعباً من أسلوب الإهانة السابق. كما يذكر بعض المعتقلين أنهم كانوا يعيشون صراعاً داخلياً بين رفضهم للشتم وبين حجم القمع الذي تعرضوا له، رغم قناعتهم بأن تلك الممارسات لا تستحق سوى الرد عليها بحدة.

سياسياً، برز جدل حول رواية الانتفاضة ودور القوى السياسية فيها. فبينما يؤكد البعض أن حزب العمال الكوردستاني كان له دور في التنظيم أو التأثير، يشدد آخرون على أن الانتفاضة كانت أوسع من أي إطار حزبي، وشارك فيها معتقلون من اتجاهات مختلفة بشكل جماعي وفردى.

وتنتقد هذه الروايات محاولة احتكار الحدث أو تقليل دور التنظيمات الأخرى، معتبرة أن ذلك يشوه طبيعة الانتفاضة كحركة جماعية داخل السجن. كما يُطرح أن هناك محاولات لاحقة لإعادة صياغة الحدث ضمن سرديّة سياسية واحدة، عبر مؤتمرات أو خطابات تنظيمية

في المقابل، تبقى الحقيقة الأساسية أن الانتفاضة كانت نتاج تضحيات جماعية داخل السجون، وأن أثرها المباشر انعكس على كسر بعض أساليب الإهانة والتجريد التي كانت مفروضة على المعتقلين

هذا الموقف يندرج ضمن مقاومة سجن آمد التي حدثت داخل السجن، حيث كانت المواقف الحزبية ضيقة مقارنة بتضحيات المعتقلين والشهداء الذين لم يستسلموا أو يضعفوا، ودافعوا عن كرامتهم في مواجهة القمع والإذلال حتى النهاية

عندما كنا في المعتقل، وعندما أعلن حزب العمال الكردستاني الكفاح المسلح، أقدم مقاتلو الحزب على مهاجمة قرية كانت تتعاون مع تركيا. في ذلك الهجوم قُتل عدد من العجائز والنساء والأطفال

عندما سُئل عبد الله أوجلان من قبل أحد الصحفيين عن ذلك الهجوم، أجاب بأن تلك العمليات أسفرت عن قتل مدنيين عزل. فرد قائلاً: ما دام عناصر حماة القرى يقومون بما وصفه بالخيانة ويقاتلوننا، فعليهم أن يتحملوا مسؤولية ما يحدث لأسرهم، وأضاف أن الرصاصة لا تميّز بين من هو أعزل ومن هو مسلح

كما صرّح مسؤول في حزب العمال الكردستاني يدعى
كانيالماز قانلاً إن “الرصاص لا تعرف من هو أعزل ومن هو
محارب

وأنا أيضاً طرحت هذا الموضوع مع عضو في حزب العمال
الكردستاني اسمه فيلو. قلت له: ما رأيك في تصريحات قائدكم؟
يجب ألا يتم استهداف المدنيين. فسألت فيلو: من هذا؟ فأجاب
أن هذا الرفيق كادر وذو خبرة في القتال، لكنني في الحقيقة لم
أقتنع بتصريحه

في ذلك الأسبوع جاءت أُمِّي لزيارتي، وسألتها عن كانيالماز.
وعندما ذكرت لي الاسم استغربت، إذ إن فيصل دونماز كان
سجله سيئاً، واعتُقل بسببه كثيرون وتعرضوا للأذى. فكيف يتم
إعطاء شخص بهذه الخلفية دوراً قيادياً داخل حزب العمال
الكردستاني؟

عندما بدأت بتأليف هذا الكتاب، شرع أحد كوادر حزب العمال
الكردستاني بالبحث عني. هذا الرفيق، الذي فضّل عدم ذكر
اسمه، قال لي إن مكتسبات أو عصيان الخامس من أيلول كانت
مهمة جداً وإيجابية، إلا أن كوادر الحزب كانوا يبالغون في
الاعتداء على الكوادر التي انشقت عنهم. وعندما خرجتُ من
حزب العمال الكردستاني، ورغم أنني كنتُ في السجن، كان
من الواجب عليّ أن أحمي نفسي

حيث كان الحزب يهدد الكوادر الخارجة عنه حتى وهي قابعة
في السجن، وكانوا يبالغون في تهديدي لدرجة أنني، وتحت
ضغط الحكومة من جهة وضغط الحزب من جهة أخرى، أردت

في كثير من الأحيان إنهاء حياتي. ولأنني لم أقدم على الانتحار، فكرت في الانتقال إلى مهجع آخر. كان ذلك المهجع يضم معتقلين منتمين لتنظيم كاوا، وهناك التقيت بالمدعو شفيق جولاشيتي وتحدثت معه، وطلبت منه أن يساعدني على البقاء في مهجعهم. قلت له إنهم يهددونني، وإنني شخص وطني ولم أحن أحدًا، ولم أنقض عهدًا، ولم أتجسس أو أبغ عن أحد، وهو يعرفني جيدًا. لكن شفيق أجاب بأنهم لا يريدون إفساد علاقتهم بحزب العمال الكوردستاني، رغم أن عدد أعضائه كان أكبر

وعندما كنا ننتقد تصرفاتهم، كانوا يتخذون إجراءات لقمعنا، ولو كان الأمر بأيديهم لكانوا قد صقّونا. وقد مضت على خلافاتنا عشرات السنين، وما زالوا ينظرون إلينا كأعداء. في المقابل، كانت علاقتنا بمختلف التنظيمات اليسارية الأخرى جيدة، ولم نكن ضد أي حزب. كنا ننظر إلى جميع الأحزاب الكوردية نظرة واحدة، ونسعى إلى الانسجام والاندماج مع مختلف التنظيمات، ونقيم فيما بيننا علاقات قائمة على الود والمحبة والإخاء.

ونتيجةً للعصيان والانتفاضة في الخامس من أيلول، تم تخفيف شروط وضعنا في السجن، إلا أن العساكر كانوا ينظرون إلينا نظراتٍ ملوّهة الكراهية والحقد، وكانوا ينتظرون الفرصة للانقضاض علينا، خاصةً في أيام زيارات عوائلنا. وعندما كنا نتحدث بالكوردية، سواء في الممرات أو أثناء التنقل إلى المحاكم ذهاباً وإياباً، كنا نتحدث بحرية، وكان الرفاق يحيون بعضهم بعضاً

ومع ذلك، كانوا يقيّدون أيدينا دائماً من الخلف، ويربطوننا مجموعاتٍ من عشرة أشخاص بسلاسل. أما الذين لم يتمكنوا من انتزاع الاعترافات منهم، فقد استمروا في صمودهم، في حين أعلن بعضهم الاستسلام تحت وطأة الضغط والتعذيب. وبالنسبة للمخبرين، لم يعد أحد يثق بهم بعد الانتفاضة وما تحقق من مكتسبات، وأصبح الوضع بيننا وبين إدارة السجن شديد الحساسية. كما تم اعتقال عدد من المخبرين بتهمة الانتماء إلى حزب العمال الكوردستاني، وبعد خروج معظمهم من السجن عادوا مجدداً إلى صفوف حزبهم.

عندما انتهت مقاومة الخامس من أيلول، تم إعادتي أنا وعدد من رفاقي إلى المهاجع، وتحديدًا إلى المهجع 39. هناك، أنا والرفاق الذين قضينا معاً بضعة أشهر، بدأنا نتحدث عن الأحداث التي جرت في مختلف المهاجع، وعن تجارب كل واحدٍ منا. وشرع الجميع بسرّ ما تعرّضوا له وما جرى بينهم، وكان كل واحد منا كان يقدّم تقريراً للآخر، أو كأنه يقرأ نصاً كتبه بصوتٍ عالٍ أمام رفاقه.

كان من الضروري معرفة الحقيقة ومجريات الأحداث كما هي. وقد قام الرفيق خضر أوسو وجانو آمادي وبعض الرفاق الآخرين بنشر تلك الحكايات المتعلقة بالسجن على موقع “نتو”، ومع ذلك لم يقم أحد بجمع هذه الروايات والقصص والقضايا ضمن كتاب واحد.

بعد الخامس من أيلول، كان لا بدّ لرفاق المعتقلين التابعين لمختلف التنظيمات أن يعقدوا نوعاً من الاتفاق المبدئي. أما

التنظيمات، باستثناء حزب العمال الكردستاني، فلم ترغب في البداية بعقد منصة مشتركة فيما بينها، بل أرادت البحث في كيفية تعزيز تضامنها وتنظيم عصيان الخامس من أيلول ضد إدارة سجن آمد. كنا نفكر في كيفية المقاومة واتخاذ تدابير لمواجهة سوء المعاملة من قبل السجانيين

في المقابل، لم يلق أعضاء حزب العمال الكردستاني بالألانتقادات وملاحظات الأحزاب الأخرى، ولم يضعوها في الحسبان. كانوا يقولون إن عددهم أكبر، وإنهم ليسوا بحاجة إلى التفاهم مع باقي الأحزاب، بمعنى أنهم قادرون على اتخاذ القرار بمفردهم، وأن الآخرين مجبرون على الانقياد لما يقررونه، وعلى المشاركة في جميع أنشطتهم، بما في ذلك المناسبات والطقوس الحزبية التي كانوا يقيمونها

هذا التفرد في القرار وإلغاء دور الأحزاب الأخرى دفع تلك الأحزاب إلى محاولة التنسيق فيما بينها، والابتعاد قدر الإمكان عن أنشطة حزب العمال الكردستاني داخل السجن. وفي الوقت نفسه، بدأت إدارة السجن بالتواصل مع مسؤولي المهاجع، وكان معظم من يتولون هذه المسؤوليات ينتمون إلى حزب العمال الكردستاني، وهم من كانوا يتواصلون مع سجنائي الدولة التركية في سجن ديار بكر آمد.

تم التخفيف عن السجناء عموماً بعد عصيان الخامس من أيلول، إذ اختفى التعذيب المفرط والإيذاء الجسدي الشديد، وتوقفت مظاهر وطقوس إجبار المعتقلين على أداء المارش العسكري، وانتهت حقبة الاستجواب وانتزاع الاعترافات بالقوة.

إلا أن حالة من الخوف والتوجس بقيت قائمة، فلم يسود هدوء كامل بين إدارة السجن والسجانيين من جهة، والمعتقلين من جهة أخرى، بل كان هناك هدوء حذر بين الطرفين.

كثير من عائلاتنا لم تكن تجيد اللغة التركية، ومع منع اللغة الكردية لم نكن نستطيع التواصل مع عائلاتنا إلا بها، وكان ذلك يُعامل وكأنه جريمة بحق الإنسانية، وما تزال هذه الممارسات مستمرة حتى اليوم. وكان لا بد من إيصال هذه التصرفات والممارسات العنصرية وغير الإنسانية إلى المحاكم الدولية.

كما تم تخفيف القيود المتعلقة بزيارة المحامين، وتخفيف الضغوط والتعنيف الذي كان يُمارس عليهم أيضاً. ولم يعد العساكر يتدخلون في شؤوننا أو في العلاقة بيننا وبين المحامين، واختفت الشتائم والممارسات القسرية، ولم يعد يُطلب من أحد الوقوف ووجهه إلى الجدار عند مرور الآخرين، أو منع الحديث أثناء المرور.

تم توزيع أجهزة التلفاز على المهاجع، وبدأ توزيع الجرائد والمجلات، كما أصبحت الكتب متاحة، وأُتيح لنا ممارسة بعض الألعاب مثل كرة القدم. وقد تم تقديم كل هذه الوسائل التي لم تكن موجودة قبل هذا العصيان. ومع ذلك، كان الكثير من العساكر الحانقين يُظهرون إشارات الحقد والكراهية تجاه نتائج تلك القوانين الجديدة المتعلقة بتخفيف الضغوط على السجناء، ولم يكونوا راضين عن هذا الوضع.

لم نعد نهتم بموضوع الدعوى القانونية ومآلاتها ونتائجها. كنا نتمسك بحقنا في الحديث والدفاع عن أنفسنا دون اللجوء إلى المحامين؛ أي كنا نتصرف بمعزل عنهم. لذلك كان القضاة ينظرون إلى هذا الأسلوب باستياء وتعجب، وكأنهم يتلقون صفة منا. ولم يعد بمقدورهم، كما في السابق، الاستيلاء على الأموال التي كان أهلنا يرسلونها لنا. كنا نسأل ذوينا عن المبالغ المرسلة، فيخبروننا بها، وهذا كان يثير استهجان وغضب العساكر الذين اعتادوا سرقة تلك الأموال وكأنها إتاوة مفروضة علينا.

بعد مقاومة الخامس من أيلول، جرى توزيع أجهزة تلفاز على المهاجع. لم نعرف السبب في البداية، لكن في الوقت نفسه منع التلّافز عن العساكر. كانت تُعرض مباريات كرة القدم، وكانوا أحياناً يسألوننا: هل شاهدتم المباراة؟ هل فاز فريقنا؟ كنت أنا وسراج الدين قرييين من الباب، وكنا نجيبهم: نعم، تم تسجيل أهداف. كانوا يظنون أن تركيا هي التي سجلت، فيفرحون بذلك في إحدى المرات، وبعد أن سمعوا مظاهر الفرح بين المعتقلين، فتحوا الباب وسألوا: ماذا حدث؟ قلنا لهم: تم تسجيل هدفين. لاحقاً تبين لهم أن تركيا هي الخاسرة، إذ كانت المباراة بين تركيا وبريطانيا، وانتهت بثمانية أهداف لبريطانيا مقابل هدفين لتركيا.

عاد بعض العساكر إلى مواقعهم فرحين بناءً على ما سمعوه منا، لكنهم عندما التقوا بزملائهم الذين شاهدوا المباراة فعلياً، وكانوا في حالة استياء، قالوا لهم: ألم نقل لكم إن فريقنا

سيفوز؟ عندها تدخل أحد الضباط الذي شاهد المباراة، وكان غاضباً من الخسارة، وقال: كيف تفرحون وبريطانيا هزمتنا؟ وقبل أن يجيبوا، تلقى أحدهم صفة. صُدم العسكري وسأل: لماذا؟ فقليل له بحدة: تركيا خسرت ثمانية مقابل اثنين.

بهذه الطريقة سخرنا منهم. لم نكن نعلم أن بعضهم سيتعرض للعقاب بسبب ما نقلناه، لكن المعتقلين في تلك اللحظة لم يستطيعوا كبح ضحكهم وفرحتهم.

في تلك اللحظات اجتمع رفاقنا في المهجع رقم 39. كان هذا المهجع نقطة التواصل الرسمية مع حزب العمال الكردستاني. قبل عصيان الخامس من أيلول، وُجد مخبرون ضمن صفوف الحزب يمارسون التجسس، ومع ذلك كانوا يحظون بالحماية. في أجواء الفوضى التي كانت تعم المكان، لم يكن واضحاً من يعمل لصالح الأتراك. كان يُستقطب بعض الأفراد، سواء كانوا مخبرين أو قريبيين من السلطة أو حتى من أصحاب السوابق، ويُطلب منهم الانضمام والعمل داخل الحزب، بينما كان بعضهم يضع نفسه في خدمة الجلادين داخل السجن.

بعد انتهاء مرحلة التعذيب، قام الحزب باحتواء هؤلاء، رغم أن هويتهم كانت معروفة لدى البعض. خلال حالة العصيان، كان يتم إخفاؤهم. أحد الجلادين، ومعه أحد هؤلاء المتجسسين، هددنا قائلاً إننا سنُجبر على ارتداء لباس موحد. عندها أعلن أحد المنتمين للحزب موقفاً رافضاً: لن نرتدي هذا اللباس، وسنقاوم. فردّ عليه الجلاد ساخراً، مذكراً بتعاونه السابق معهم، وطلبه بالحياد.

عندما كشف السجّان حقيقة ذلك الشخص، تغيّر وجهه واحمرّ خجلاً. كان اسمه علي. توجهت إليه وسألته إن كان ما قيل صحيحاً، وإن كان يتم إخفاء المتجسسين عنا. لم يجب بشكل مباشر، واكتفى بالقول إنه لم تكن لديهم وسيلة أخرى لتحذيرنا هذه الحادثة جرت بين معتقلين من تيارات مختلفة، منها حزب طريق الحرية، حزب الخلاص، حزب راية الخلاص، وحزب العمال الكردستاني. وقد أشار إليها بايرام بوزل في كتاباته. كنت أنا وعبدین أنس ورسول تشفيك وبدر أكالن من شهود العيان على ما جرى

لاحقاً، ومع محاولات إخماد روح الكرامة، بدأنا التنسيق مجدداً للتحضير لانقفاضة، وكان من الضروري الحفاظ على الوضوح والشفافية بيننا. كنا نبحث عن فرصة خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول، في ظل استمرار المضايقات والضرب من قبل بعض العساكر. بالنسبة للمعتقلين السياسيين، كان احتمال عودة الأوضاع السابقة بمثابة موت

خلال التنقل إلى المحاكم، كانت تدور نقاشات بيننا، بينما كان السجانون ينهالون علينا بالشتائم ويعرقلون زيارات الأهل. وبعد قبول مطالبنا في 5 أيلول 1989، سادت حالة من الفوضى داخل المهاجع نتيجة نقل وتفريق المعتقلين بين الأقسام المختلفة

قاموا بإفراغ بعض المهاجع ونقل عدد من المعتقلين إلى القاوش رقم 11. في هذا القاوش، كان معظم المعتقلين قد دخلوا في صيام الموت. وعندما كانوا يتحدثون مع زوارهم

باللغة الكوردية، كان العساكر ينهالون عليهم بالشتائم، ويمنعونهم من استخدام ما كانوا يسمّونه “لغة أجنبية”. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل كانوا يعذبون الزوار أحياناً، وأحياناً أخرى يعتدون على المعتقلين أمام أعين بعضهم البعض

المعتقلون الذين لم يعودوا يصدقون ادعاء توقف الممارسات اللاإنسانية، أُعيدت أمامهم نفس الأساليب القمعية التي اعتادوها. بذلك كانوا يُمهدّ لهم ما سيتعرضون له لاحقاً من ضرب بالعصي والكراباج داخل القاوش رقم 11. وعندما بدأت الهجمات، كان المعتقلون يرددون شعارات مثل: “ليسقط التعذيب” والكرامة الإنسانية ستسقط قسوة التعذيب

وصلت هذه الأصوات إلى المهاجع الأخرى، التي كانت بدورها مستعدة لهذا الاحتمال. فارتفعت الشعارات ذاتها في باقي الأقسام. في القاوش 11 والمهاجع المجاورة، كان بعض المعتقلين قد خرجوا إلى المحكمة، لكن العساكر هاجموهم، وضربوهم بعنف، فكُسرت أيدي بعضهم وأرجل آخرين، وثُركوا ينزفون قبل أن يُنقلوا إلى الحجز.

المسؤولية عن هذه الانتهاكات كانت تقع على عاتق إدارة السجن وقيادات الدولة آنذاك. وقد شارك في هذه العمليات ضباط وعناصر أمنية، ضمن سياق أوسع من السياسات التي استهدفت المعتقلين، خاصة بعد أحداث 12 أيلول 1980

بعد منتصف كانون الثاني 1984، ومع تصاعد الشعارات المؤيدة للمقاومة داخل السجن، أعلنت الإدارة فرض ارتداء

الملابس الزرقاء، في محاولة لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الخامس من أيلول، تحت ذريعة “إعادة التأهيل

وعندما بدأ الهجوم، وجد المعتقلون أنفسهم محاصرين بين أربعة جدران، بلا أي وسيلة للدفاع عن أنفسهم، يتعرضون لضرب شديد حتى تمزقت جلودهم تحت وطأة التعذيب

نشأت علاقة وثيقة بين المهاجع، وكان المعتقلون على تواصل دائم فيما بينهم. تعددت اللغات داخل السجن؛ العربية إلى جانب الكوردية بلهجاتها الكرمانجية والزازاكية، وكان ذلك يعكس نوعاً من التقارب والتفاعل بين الجميع. في المقابل، كانت إدارة السجن قد اتخذت تدابير صارمة، حيث أدارت المهاجع وفق قوائم منظمة، يتم على أساسها تنفيذ التعذيب المنهجي بحق السجناء.

كان موقف المعتقلين واضحاً: “ليحدث ما يحدث، نحن منحازون إلى المقاومة، وما دمنا واثقين من أنفسنا سنصمد”. ومع ذلك، عبّر أحد مسؤولي حزب العمال الكردستاني عن قلقه من ضعف الحالة التنظيمية، متوقعاً أن يستسلم كثيرون، مما قد يؤدي إلى إضعاف المقاومة. لكن عندما أظهرت مجموعات أخرى صموداً فعلياً أمام ممارسات السجانين، صدر موقف تصحيحي مفاده أن من لا يستطيع التحمل يمكنه الاستسلام، بينما أعلنت تنظيمات أخرى تمسكها الكامل بعدم الاستسلام.

في أربعة إلى خمسة قواويش، كان ما بين ثلاثين إلى خمسة وثلاثين معتقلاً في إضراب عن الطعام، في وقت انتشرت فيه أخبار عن قيام 35 شخصاً بارتداء الملابس الموحدة التي

فرضتها إدارة السجن. من بين الشهادات، ذكر اسم مظفر قايا، أحد مسؤولي حزب العمال الكردستاني في المهجع 19، إلى جانب محمود أصلان في المهجع 28 كشاهد على تلك الأحداث

مع بداية المقاومة، صعدت إدارة السجن من إجراءاتها، فاستهدفت المعتقلين الذين كانوا يُنقلون إلى المحاكم، ومنعت الزيارات، بما في ذلك المحامون، لعدة أيام. كما قطعت الطعام عن المهاجع لمدة تقارب خمسة أيام، ثم قطعت المياه الجارية، ولم تترك سوى كميات محدودة من المياه في عبوات بلاستيكية. تم استهلاكها بحذر شديد، ومع نفاد الطعام لم يبق سوى البصل، الذي كان يُؤكل بتقشف

استمر هذا الحصار قرابة شهر، دون دخول أي إمدادات تُذكر، باستثناء الحد الأدنى من الماء. كان الخيار المطروح أمام المعتقلين قاسياً: إما المقاومة أو الاستسلام للموت. لم يكن هناك أي شعور بالأمان، لا ليلاً ولا نهاراً؛ تلاشى الإحساس بالزمن، وأصبح الصومود الجسدي هو الخيار الوحيد.

رغم القسوة، لم يتراجع المعتقلون. كانت إدارة السجن العسكري تراقب هذا الصومود، ومع كل يوم كانت تزداد قسوة وغضباً. ورغم كل ما جرى، بقي الإحساس بالكرامة حاضراً. كانوا يتعرضون لمعاملة قاسية، لكنهم تمسكوا بآراءهم، وبفتاعة راسخة أن القمع لن يدوم، وأن هذا الواقع مهما طال سيتغير.

عندما بدأت المقاومة، أعادت إدارة السجن تنظيم نفسها وتأهبت لفصل جديد من فصول التعذيب، خاصة مع اقتراب

استئناف المحاكمات بحق المعتقلين، وكذلك مع تزايد الزيارات من قبل المحامين وذوي المعتقلين. في الأيام الخمسة الأولى لم يُقدّم الطعام للمهاجع، كما انقطعت المياه القادمة من مصادر الجبال، لذلك كنا نقتصد في استخدام الماء

كنا أحياناً نصنع سجائر من خيوط الجوارب الممزقة، فقط لنستمر في العيش كبشر أو لنصمد لبضعة أيام إضافية. وفي أحيان أخرى كنا كالموتى الواقفين على أقدامهم، نحاول الصمود، دون أي ضمان للحياة، لا في النهار ولا في الليل. وكنا نعلم أنه إذا لم نصمد، فسنواجه مزيداً من المعاناة في الأيام القادمة.

رأت إدارة السجن العسكري حالات الضعف والهزال التي وصلنا إليها؛ كنا كالأسرى العبيد، ومع ذلك كانوا يتعجبون من المقاومة التي نبديها رغم كل شيء

بإرادة وتعليمات الدولة المحتلة، بدأ الهجوم علينا. كان التعذيب الوحشي هذه المرة يُمارَس بشكل منهجي، وكان الدولة في حالة حرب. وكان الجنود، حين يستعدون لتعذيب المعتقلين، يبدون كأنهم يتهيؤون لعملية عسكرية، مزودين بأنواع مختلفة من العتاد. وهكذا كان أسلوب الدولة واحداً، سواء في التعامل مع المعتقلين أو مع الأعداء الخارجيين

وفي الوقت نفسه، كانت تُضلل الرأي العام وتُخدع منظمات حقوق الإنسان، بادعاء الالتزام بالمعايير الإنسانية في معاملة المعتقلين. وحتى ذلك الحين، لم تُقدّم أي هيئة دولية أو منظمة

حقوقية على اتخاذ إجراءات من شأنها ردع هذه الممارسات.
وكان الكثير منهم على علم بحجم الخداع الذي تمارسه الدولة

وقد صُنِفَ سجن ديار بكر (آمد) ضمن أسوأ عشرة سجون،
المعروفة بسوء المعاملة وانتهاك أبسط المعايير الإنسانية

بدأ عناصر السجن العسكريون بالهجوم الوحشي على
المعتقلين، حتى قاموا بافتحام تلك المهاجع وتكسير الأثاث،
وإحداث ثقب في الجدران، وأطلقوا المياه المسيلة للدموع
على المعتقلين، إضافة إلى استخدامهم الهراوات والكرابيج
والخراطيم والصياط. فانهالوا بالضرب على المعتقلين في كافة
أجزاء أجسادهم: أيديهم، وأرجلهم، وأسنانهم، وأفواههم،
وأضلاعهم، حتى كسروا كثيرًا من أضلاعهم

بعض المعتقلين ابتلعوا أعواد الثقاب والكبريت وأحرقوا
أجسادهم تنديدًا بهذه الوحشية. وأخذوا عددًا كبيرًا من
المعتقلين إلى مغاسل الحمامات، حيث جردوا من ملابسهم
وتعرضوا للضرب بطريقة غادرة. وكان عنوان هذا الأذى
الواسع: إما أن تستسلموا لنا وتخضعوا، أو نخفيكم تحت شدة
الضرب

بعضهم كان يذعن عندما يتسلل الخوف إلى داخله، أما الذين لم
يقبلوا أو لم يذعنوا فكانوا يُضْرَبون حتى الإغماء، وتُمرَّق
ثيابهم، ثم يُلقون في الزنازين الانفرادية. والذين استسلموا
تحت وطأة الضرب أو الخوف كانوا يُتَحَكَّم بهم كيفما يشاؤون

ومع ذلك، كان هناك من لا يذعن، ويقول: طالما أن لنا رفاقاً
يقاومونكم، فلن نخضع لمطالبكم. واستمروا في صمودهم.
وعلى الجميع أن يعلم هذه الحقيقة: من مختلف التنظيمات،
الذين قرروا الصمود صمدوا حتى النهاية، والقلة فقط هم الذين
لم يصمدوا، وكان ذلك قراراً شخصياً لا تنظيمياً

لم تهدأ الأصوات التي تهتف بالشعارات قرب الأبواب. وقد تلقى
المعتقلون ضربة غير مسبقة بتمزيق ملابسهم. وعندما كنا
نهتف بالشعارات، كانوا يقولون: اصبروا، سيحين دوركم. فكنا
نجيبهم: هل هناك ما هو أشد من الموت؟ إن كل تهديداتكم لا
تزن وزن ذبابة أمام الموت.

كان بعض المعتقلين يُحرقون أنفسهم نتيجة التعذيب الشديد
كانوا يُنقلون باستمرار إلى المستشفيات.

ومن خلال ذلك كان ذووهم يعلمون بحالتهم بعد معرفة الحقيقة،
تم إبلاغ المنظمات الحقوقية تجمع الناس حول السجن لمحاولة
إنقاذ المعتقلين، كان الرفاق يسرعون لإطفاء النار عند كل
حادثة، حتى سيارات الإطفاء كانت تصل إلى السجن

كانت الشعارات تُرفع في الشوارع وصراخ العائلات مسموعاً

كان الجميع يشعر بتصاعد المأساة في السجن

كانت تُستخدم ذرائع مختلفة لمواصلة التعذيب

في المهجع 35، قبل بعض الإداريين من حزب العمال
الكوردستاني شروط السجنين

وفي مهاجع أخرى طُلب من المعتقلين قبول الأوامر

مثل أداء المارش العسكري واتباع التعليمات الأتاتورية
وارتداء لباس السجن الموحد.

عاد المعتقلون إلى الإضراب عن الطعام حتى الموت

لكن التعذيب ازداد شدة، كثيرون ماتوا أو أصيبوا بالشلل

الذين صمدوا رفضوا الاستسلام، البعض وُضع في الحبس
الانفرادي.

كانت الزنزانة حوالي مترين مربعين ورغم أنها لشخص واحد،
وُضع فيها عدة أسرى استمرت المقاومة رغم الضرب المستمر
حتى تم تكسير أقفال بعض الزنازين ونُقل آخرون إلى زنازين
أخرى

في الشتاء كانت الزنازين الانفرادية، الخالية من النوافذ
والأبواب، شديدة البرودة خلال أحداث 5 أيلول، وفي إضراب
الموت، كان في كل زنزانة أربعة أشخاص جائعين وعطشى
لم تكن هناك أسرة ولا أغطية

كنا نعاني من البرد القارس حتى أن عظامنا كانت تؤلمنا بشدة

لم نكن نستطيع النوم من شدة المعاناة في مقاومة كانون الثاني وشباط، كنا عشرة أشخاص في الزنزانة الواحدة.

لم يكن هناك مكان كافٍ للجلوس من جهة، كان الألم الداخلي والاحتراق النفسي

ومن جهة أخرى، كان البرد الشديد، وقلة النوم، والتعب، والتعذيب القاسي.

كنا ندرك جيداً هدف العدو في السجن وكان كل واحد منا يعلم أنه لا خيار سوى المقاومة والصمود فهمنا أن وحدتنا هي مصدر قوتنا عندما نكون معاً، نستطيع الحفاظ على إرادتنا والانتصار، كان ذلك درساً مهماً لنا ونأمل أن يكون عبرة للقوميين والوطنيين الأكراد.

في سنوات 1980-1981، لو لم نصمد، لتمكن العدو من إخضاعنا، لم نسمح بالانقسام أو العداء بيننا، لم يكن هناك مكان للخلافات الحزبية بل كان الألم المشترك يوحدنا الأيديولوجيات الحزبية كانت سابقاً سبباً للعداء وانعدام الثقة.

بعض كوادر حزب العمال الكردستاني أحرقوا أنفسهم وأضربوا عن الطعام لكن لم يخلُ الأمر من نزعات الأنانية والتسلط

مع ذلك، كانت كل أشكال المقاومة مهمة تركزت قوتنا وفكرنا على مواجهة العدو بعض رفاقنا ضحوا بحياتهم، مثل يلماز دمير، قال رفيقي إسماعيل آي إن يلماز دمير كان كردياً وطنياً شجاعاً وصاحب موقف ثابت

كان قراره متعلقاً بقضيته، واتخذهُ بإرادته الحرة
أعلن بنفسه إنهاء حياته كانت تربطني به صداقة قوية
كنا معاً في لحظات صعبة وحاسمة، لم أكن أعلم أنه سيقدم على
شنق نفسه ولم يخبر أحداً بما كان يفكر فيه
اتخذ قراره ونفذه بمفرده عندما سمعنا الخبر شعرنا بحزن
شديد، فقدنا رفيقاً عزيزاً وقريباً منا جميعاً
ترك يلماظ دмир رسالة قال فيها:
بسبب التعذيب المستمر والضرب والهجمات الوحشية في هذا
السجن،
وبسبب الظروف اللاإنسانية، قررت إنهاء حياتي
مثل كل من يعيش هذه المعاناة التي أثرت بي بشدة
وفي مقاومة 3 كانون الثاني، تم قتل القومي نجمدين بيوكايا
وقبله وبأمر من مسؤول الحماية الداخلية عبد الله كهرمان تم
قتله
في حمام السجن في المهجع 24 مع محمد شنر، الذي كان من
قياديين حزب العمال الكردستاني وكان معتقلاً معه.
شهدت إدارة السجن حالة من القلق المتزايد بسبب تكرار حالات
الانتحار، خاصة في القاوش والمهجع رقم 27. كما تابعت

باهتمام مواقف بعض المعتقلين الذين أعلنوا رفضهم لظروف السجن، ومن بينهم نجم الدين بويكايا

وبحسب الرواية، فضّلت الإدارة أن يموت المعتقل تحت التعذيب بدل أن يُقدم على إنهاء حياته بنفسه. تعرّض نجم الدين لضغوط شديدة لإجباره على الامتثال لتعليمات السجن وارتداء الزي الموحد، لكنه رفض ذلك بشكل قاطع

وأكد في موقفه أنه معتقل سياسي كردي، ويرفض الأساليب القمعية ويعتبر التعذيب جريمة ضد الإنسانية، مشدداً على أن هذه الممارسات ستحاسب يوماً ما. أدى هذا الموقف إلى إصدار أمر بقتله، حيث توفي نتيجة التعذيب الشديد

وقد تركت هذه الحادثة أثراً نفسياً عميقاً في أوساط المعتقلين، وأثارت شعوراً بالصدمة وتأييب الضمير لدى كثيرين. وبعدها أقدم بعض المعتقلين، مثل رمزي آيتولك ويالماز دمير، على الانتحار احتجاجاً على التعذيب والانتهاكات المستمرة.

تعكس هذه الوقائع حجم المعاناة داخل السجون، حيث وصلت بعض الحالات إلى إيذاء النفس بطرق قاسية نتيجة الضغط والتعذيب. كما تكشف عن واقع أوسع من الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الكردي، في ظل غياب كيان سياسي مستقل، واستمرار سياسات القمع التي شملت التهجير، والإعدامات، وانتهاك القوانين الدولية

وتُظهر هذه الأحداث كيف تم استخدام أساليب ممنهجة لإضعاف الوجود الكردي، ومحاولة كسر إرادة المجتمع عبر القمع والعنف المستمر

قامت قيادة السجن، المشرفة على عمليات التعذيب، بالاعتقاد أن سياسات التجويع وقطع المياه والتعذيب الشديد لم تعد مجدية. كما أدركت أن الرأي العام والمنظمات الحقوقية أصبحت على علم بما يجري داخل السجن، وبدأت تتناول هذه الانتهاكات علناً

وتبيّن لهم أنه في حال استمرار هذا النهج، فإن عددًا كبيرًا من السجناء قد يموتون أو أن هذه الممارسات قد تتوقف قسرًا، مما سيجبرهم على التعامل مع المعتقلين بطريقة مختلفة

ومع تدهور الأوضاع الصحية والمعيشية للمعتقلين يومًا بعد يوم، اضطرت الإدارة إلى تقليص أساليب التعذيب. وأبلغ السجناء بأنه لم يعد مطلوبًا منهم الالتزام بالتعليمات العسكرية السابقة، مع التعهد بعدم الاعتداء عليهم

وتم طلب أمر واحد منهم فقط، وهو ارتداء الملابس التي توفرها إدارة السجن عند التوجه إلى المحاكم صباح أيام الأحد أو الاثنين، والوقوف احترامًا عند عزف النشيد الوطني التركي. ولم يُطلب منهم أي شيء آخر

في المهجع رقم 35، الذي كان يضم معتقلي حزب العمال الكردستاني، تم قبول ارتداء ملابس السجن المقدمة لهم، وبذلك

قبل من وافق على هذه الشروط بالأمر الواقع وامتنل لما فرضته الدولة.

إلى أن حدث خبر سيئ لاحقاً، إذ بعد توقف “صيام الموت” لم تعد أجساد العديد من المعتقلين قادرة على استعادة توازنها الجسدي.

في الثاني من آذار، توفي جمال أرات، وفي الرابع من آذار توفي أورهان كاشكين، وكلاهما ودّع الحياة

وخلال تلك المقاومة الشديدة، فقد خمسة أشخاص، بينما تعرّض آخرون لإعاقات دائمة وشلل جزئي أو كلي

بلا شك، كانت مقاومة في الثالث من كانون الثاني عام 1984 تهدف إلى التصدي لأساليب التوحش والتعذيب التي طالت المعتقلين، وقد حققت هذه المقاومة أهدافها، إذ تم إخراجنا من المهاجع وتوزيعنا على مهجع أخرى

أما البعض الذين قبلوا ارتداء الملابس الموحدة، فقد شملهم القرار أيضاً، ومن بينهم محمد شينر، الذي كان من بين من وافقوا على ذلك

نعم، كان محمد شنر ومظفر آيات في المهجع 35 من أعضاء لجنة حزب العمال الكوردستاني. تشكلت هذه اللجنة من خمسة أشخاص

توقفوا عن صيام الموت، ووافقوا على ارتداء لباس السجن الذي جرى توفيره لهم بعد أن تم قتل نجم الدين بويكايا أثناء التعذيب عند المغسلة.

عندما تم التوصل إلى تفاهم بيننا وبين إدارة السجن، وعلى غرار الشروط التي فُرضت بعد عصيان 5 أيلول 1983 داخل المعتقل، بدأت الحياة تأخذ طابعاً أكثر مدنية وخالٍ من التعذيب

ألزمتنا فقط بارتداء ملابس السجن عند الذهاب إلى المحكمة والإياب منها. وفي تلك المرحلة سُمح لنا بممارسة الرياضة بشكل طبيعي، كما أدخلت أجهزة التلفاز والصحف والمجلات والكتب غير الممنوعة.

قامت كل مهجع بإعداد قائمة بالكتب المطلوبة ليتم جلبها إلى السجن، وتم تبادل هذه الكتب بين المهاجع، مما أتاح للجميع الاطلاع على ما يرغبون قراءته

كما تغير أسلوب الخطاب داخل السجن، فلم نعد نخاطب السجانين بكلمة “سيدي”، بل أصبح يتم مناداة كل فرد من إدارة السجن برتبته الرسمية.

وبعد انتهاء المقاومة، تم إيقاف استجواب أعضاء حزب العمال الكردستاني وفق هذا التفاهم.

عندما وصلت قضية الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى مرحلة إصدار القرار من قبل المحكمة، كان قد تم توصيف حزبنا علناً بأنه حزب مسلح. ومن خلال هذا التوصيف، أصبح

واضحاً أن الأحكام بحق المعتقلين ستكون قاسية، وأنها لم تُبنَ على أسس حقوقية بل على اعتبارات سياسية.

بناءً على ذلك، قمنا بإطلاق حملات مناهضة لقرار المحكمة قبل جلسة الاستجواب الأخيرة. وقد اقترحت على بعض الرفاق أنه إذا صدر الحكم بحقي فسأحتج داخل المحكمة وأرفع الشعارات، إلا أن ردهم كان أن ذلك غير ضروري، وأنه لا يحق للمستعمر فرض عقوباته علينا لأن قضيتنا قضية حق ومشروعة.

وتم اعتبار أن من يجب أن يُحاسب هو الدولة وموظفوها، حيث أشاروا إلى أن جمهورية تركيا منذ تأسيسها انتهجت سياسات اعتُبرت انتهاكات خطيرة بحق كردستان وبحق الإنسان والمجتمع.

ووفق هذا التصور، تم التطرق إلى أن وجود الشعب الكردي القومي والثقافي والتاريخي تم إنكاره، وأن السياسات اللاحقة اتجهت نحو الصهر والإنكار من قبل الدولة التركية، بما في ذلك استغلال الأرض والموارد وفرض قوانين تهدف إلى طمس الهوية.

وبناءً على ذلك، تم اعتبار أن مواجهة هذه السياسات والدفاع عن القضية لا يُعد انتهاكاً، بل يُنظر إليه كدفاع عن حق مشروع، في ظل اتهامات للطرف الآخر باستخدام القوة والعنف وأشكال مختلفة من التعذيب والتضييق.

كما تم التأكيد من قبل الحزب على أن الشعب الكردي شعب أصيل، له لغة وثقافة وتاريخ عميق، وأن القوانين المفروضة لا

تُعد مشروعة من وجهة هذا الطرح، بل تُوصَف بأنها قوانين مفروضة في سياق احتلال.

وفي هذا السياق، تم وصف العديد من التنظيمات والأحزاب الكردية بأنها تعرضت لتهم بأنها تنظيمات عميلة، وبناءً على ذلك جرى تطبيق قانون الطوارئ وتقييد الحريات، واعتبار ذلك جزءاً من سياسة تهدف إلى إسكات الأصوات المعارضة وإنكار المطالب السياسية للشعب الكردي.

في قضيتنا لم يكن هناك أي مسار قانوني حقيقي من قبل المحكمة. فالعقوبات التي فُرضت على المعتقلين لم تستند إلى أدلة أو شهود عيان على الحادثة. كان القضاة ينظرون إلينا ويقرؤون الأحكام بشكل روتيني، ويُفرض على كل شخص حكم محدد دون تبرير واضح. في الوقت نفسه، كانت الجهات الرسمية وصحف الدولة والأجهزة الإعلامية التركية تقدّماً للرأي العام على أننا مجرمون، وتتبنى كل ما من شأنه تجريمنا عند النطق بالحكم، هتفت: "لتسقط العبودية، لتسقط الفاشية". وقبل أن أتمكن من إكمال هتافي، انهال عليّ الضرب من أحد السجّانين الموجودين هناك، بينما كان القاضي وهينة المحكمة يراقبون ذلك برضا وابتسامة. كان هذا الاعتداء يحدث أمام أعين عائلتنا وستة من محاميننا، ومع ذلك لم يتمكن المحامون من إيقاف ما حدث، ولم يجروا على محاسبة الحراس الذين اعتدوا علينا أمامهم.

كان هتافي تعبيراً عن موقف الرافض لتلك المحكمة، ولذلك فُرضت عليّ عقوبة إضافية مدتها ستة أشهر، ليصبح مجموع

مدة محكوميتي 15 عاماً ونصف. وقد برّرت المحكمة هذه العقوبة الإضافية باعتبارها "إهانة لهيئة المحكمة".

ويبقى أن مقاضاتي جاءت فقط لأن هتافي اعتُبر تجاوزاً، رغم أنني لم أهاجم أحداً. على العكس، أنا من تعرّضت للهجوم والاعتداء. وقد أُضيفت سبعة عشر يوماً إلى الأشهر الستة، بدعوى أنني كنت غير محترم ولم أحترم المحكمة، ولذلك فُرضت عليّ هذه العقوبة الإضافية.

بعد ذلك قالوا إنني يجب أن أبقى في السجن مدى الحياة، لكن وفقاً لما سموه "قانون الإنفاذ"، قرروا أن مدة محكوميتي هي خمسة عشر عاماً وستة أشهر وسبعة عشر يوماً.

تساءلت أمي: متى سينفذ القاضي هذا القرار؟ فقلت لها: بعد زيارتكم، سيستدعونني إلى المحكمة. فقالت: انظر يا بني إلى قسوتهم وانعدام رحمتهم. سنزورك الآن، وبعد إطلاق سراحك سنعود معاً إلى البيت.

كانت تلك أول مرة أكذب فيها على أمي. فعلت ذلك بسبب مرضها، فهي تعاني من القلب والسكري، ولم أرد أن أصدّمها بالحقيقة. عندما يرى أحدٌ سجيناً يُضرب أمام المحكمة، لا يمكن لأي أم ألا يتألم قلبها. وقد يكون مثل هذا المشهد سبباً في تدهور حالتها أو حتى وفاتها. لذلك أعطيتها موعداً غير حقيقي، حتى لا تعود إلى المحكمة مجدداً. وأنا على يقين أن أي رفيق كان سيفعل الشيء نفسه

عندما أطلقت الهتاف، كان أكرم بجواري. وعندما بدأوا بضربي حتى فقدت الوعي، قال لهم: لماذا تضربونه؟ إذا أخطأ، فالمحكمة هي من تعاقبه. وبسبب الضرب الشديد على رأسي، لم أشعر بما حدث في الدقائق التالية، وفقدت الإحساس تمامًا في تلك اللحظات، غادرت عائلتي والمحامون وهيئة المحكمة القاعة. وعندما أُعدت إلى المعتقل، علمت إدارة السجن أنني هتفت، فاشتد غضبهم وكأنهم تلقوا صفعات. وقبل أن ينقلوني إلى المهجع، جاء عدد من الحراس وواصلوا ضربي

الرفاق الذين كانوا معي تألموا لما حدث لي، وشكرتهم على تعاطفهم. وعندما وصلت إلى المهجع، أردت أن أكرر الهتافات، قلت لهم إن ما فعلته في المحكمة كان مسؤوليتي وحدي، لكي يعلموا أنني لا أعترف بحق تلك الدولة في محاكمتي، وأني إنما هتفت احتجاجًا على معاملتهم ونظرتهم لنا، وأني لا أقر ولا أعترف بمحكمتهم

بعد ذلك لم أشعر بأي ألم جسدي، بل شعرت بعكس كل التوقعات بارتياح واطمئنان داخلي. كان موقعي في نظري فعلاً في مكانه، وشعرت أنني تحمّلت مسؤولية تاريخية وأديتها بكل ما أملك من إحساس ووعي

عوائل رفاقي الذين حضروا إلى المحكمة تعاطفوا معي، لأنهم شاهدوا بأعينهم كيف اعتدى عليّ الجنود، فشعروا بالغضب والاحتقان. وتمنيت حينها أن يكون الهتاف الذي أطلقتته، وذلك الغضب الذي عبّرت عنه، محل تقديرهم وإعجابهم أيضاً

بعد ذلك، ذهب أولياء أمور بعض الرفاق إلى منزلنا لمواساة أمي، وقالوا لها: لم تُفرض عليه عقوبة كبيرة، لا تقلقي. لقد صرخ بوجههم وأطلق الهتافات، وفضح ما يجري. القضية لم تنتهِ بعد، وستُعرض على المحكمة العليا

أجابتهم أمي: نعم، لقد كان يستعد لمثل هذا الموقف، لكن قلبي وعيناي لا يحتملان ما فعلوه به أمامي، ولذلك لم يخبرني بالحقيقة عندما زرتَه. كنت أتمنى أن نعود معاً إلى البيت بعد خروجه.

فقال لها أحدهم: سنبدل ما بوسعنا، فالموقف الذي عبّر عنه ابنك إبراهيم كان في محله، ونحن فخورون به.

عندما جاءت أمي لزيارتي، قالت لي بقلب موجوع: هل آلموك كثيراً يا بني؟ أريد أن أرى يديك.

فقلت لها: لا يا أمي، لم يضربوني، لم يفعلوا بي شيئاً. فقط تعالت الأصوات بيننا. انظري، لا يوجد شيء في يدي. وأريتها يدي.

ثم سألتني: كم مدة الحكم يا بني؟

فقلت لها: سنة واحدة، وربما تخففها المحكمة العليا إلى ستة أشهر.

منذ اللحظة التي اعتُقلت فيها، أردت أن أكون مثلاً للإنسان الكوردي الشريف، صاحب الكرامة والنخوة، وأن أعيش وفق هذا المبدأ. ولم أكن وحدي كذلك، بل كان رفاقي في السجن

أيضاً يعيشون بمواقف وطنية مشابهاة، رغم أننا لم نكن نفكر جميعاً بالطريقة نفسها.

كما قلتُ سابقاً، التناقضات بين الأحزاب والتنظيمات زادت من ثقة الدولة باستمرارية الانتهاكات والتعذيب. لم يكن التعذيب مقتصرأً على ما يحدث داخل الجدران الأربعة فحسب، بل كان منهجياً، ومع ذلك لم تكن انتهاكات الدولة كافية للأحزاب التي تكاثرت وبدأت تضم بعضها إلى بعض.

عندما بعثوا مهاجعنا، نُقلْتُ أنا وأربعة من رفاقي إلى مهجع آخر. كان الطابق العلوي أشبه بمعمل، وقد صُمم على هيئته، وكان أطول من مهاجعنا، وعلى جانبيه أسرة للنوم. كان في ذلك المهجع أكثر من مئة أسير، أغلبهم من أعضاء حزب العمال الكوردستاني، إضافةً إلى عددٍ قليل من أعضاء أحزاب أخرى مثل حزب كاوا وحزب الخلاص، وبعض المعتقلين الجنائيين أو المتهمين بالتهريب.

كنا عشرة أشخاص من أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ذلك المهجع. الذين كانوا من أنصار حزبنا فُرضت عليهم أحكام قاسية، وبقوا في المهجع حتى بعد مقاومة الثالث من كانون الثاني. كان بيننا وبين القيادة العسكرية نوعٌ من التفاهم، ولم يكونوا يتجاوزون بحقنا كثيراً. كنا نقضي الوقت بالمطالعة ليلًا ونهارًا داخل المهجع

كان هناك أحد قياديي حزب العمال الكوردستاني واسمه فيصل دوليجي، وكان مسؤولاً عن الحزب في الساحة الأوروبية، واسمه الحركي كاني يلماز. تم تعيينه مسؤولاً سياسياً. كنت

واثقاً منه، وأرى أن من يتولى هذه المسؤولية يجب أن يتمتع بالخبرة والنزاهة والشخصية القيادية.

ذلك المهجع الذي عدنا إليه حديثاً، كنا نعرف فيه شخصاً يُدعى كاني معرفةً جيدة، لكنني لم أكن أعرف عنه الكثير من التفاصيل. ومع ذلك، كوّنت عنه انطباعاً إيجابياً بناءً على شخصيته.

ذات مرة قال لي فيصل، حين كنا معاً وفي حالة صحبة جيدة. كان بيننا أحدُ المخبرين ممن دخلوا السجن بتهمة التهريب. كنا نريد إبعاده عن هذا المهجع، لكن إدارة المعتقل أبقتَه بيننا. كنتُ أرى أن هذا الشخص قد يضرّ بنا، وفكرت في معاقبته، لكنني خشيتُ أنه إذا ضُرب فستتخذ إدارة السجن إجراءاتٍ ضدها.

قلتُ لبعض الرفاق إن هذا المهرب مخبرٌ أو جاسوس، وأريد معاقبته. فقالوا لي: كيف عرفت أنه مخبر؟ لا يوجد دليل لديك. هل رأيتُ أو سمعتُ أنه كذلك فعلاً أو أنه سيؤذي أحداً؟ ضربه عملٌ خاطئٌ جداً، وهذا سلوك غير مقبول، فلا تفعل ذلك. وبناءً على ذلك، وافقتُ فيصل وتراجعتُ مؤقتاً عن الفكرة، لكن فكرة معاقبته بقيت في ذهني، وأهملتُ رأي الرفاق.

في صباح اليوم التالي، وبعد أن فكّوا قيودنا، بدأتُ أراقب ذلك الشخص. كان يعمل سابقاً في التهريب. وعندما اعتديتُ عليه، هاجمني عشرة إلى خمسة عشر شخصاً من أعضاء حزب العمال الكوردستاني. تدخل رفاقي من حزبنا لمنعهم من ضربني، فاندلع شجارٌ بالأيدي بين الطرفين. بعض كبار السن من مهجع

حزب العمال الكوردستاني تدخلوا لفضّ النزاع، ولم يرغبوا في استمرار العراك. أما الشخص الذي ضربته، فقد هرب مسرعاً

لاحقاً، بدا للآخرين أن فيصل قد أبلغ إدارة السجن. وعندما عاد بعض الأشخاص، نادت إدارة السجن اسمي، وأخذوني إلى القاوش رقم 39. كان هناك عشرة إلى خمسة عشر من رفاقنا. علمتُ أن بعض رفاقنا، ممن حُكم عليهم بالسجن المؤبد أو الإعدام، كانوا في المهجع رقم 36، مثل خضر ومحمد جان ونجدة وأديب.

بدا وكأن هناك خطة لوضع كل رفيق في غرفة تضمّ أعضاء من حزب العمال الكوردستاني، حيث كانوا يحققون مع رفاقنا. كانت إجابات رفاقي تُكتب على شكل تقارير وتُسَلَّم إلى شخص يُدعى سليم جيروكايا، الذي كان المسؤول السياسي للحزب في تلك الغرفة.

بعد أسبوع، وبناءً على رغبة الرفاق، طُرح أن يجتمع رفاق حزبنا معاً. فُكِّرْتُ في إعلان عملٍ نضالي، خاصةً بعد أن نُقل بعض رفاقنا إلى الزنزانات الانفرادية، وهو ما أثار تساؤلاتي. شعرتُ بتأنيب ضمير، واعتقدتُ أنني كنتُ سبباً بما حدث لهم.

بعد عدة أشهر من إعلان حزب العمال الكوردستاني بدء الكفاح المسلح، قال سليم جيروكايا للرفاق: إن حزبنا بدأ العمل المسلح لتحرير كوردستان، وإذا أردتم الحرية، فانضمّوا إلينا. لكن ردّ رفاقنا كان: نحن نعرفكم جيداً، وإذا كنتم تريدون حقاً تحرير كوردستان، فلماذا تحاربون الأحزاب الأخرى؟ ولماذا لا

تجلسون معهم للتوافق؟ لذلك نحن غير مقتنعين بأنكم تسعون فعلاً إلى تحرير كوردستان.

بعد هذا اللقاء، قطع أعضاء حزب العمال الكوردستاني علاقاتهم مع رفاق الأحزاب الأخرى، ولم يعودوا يتحدثون معهم إطلاقاً

أحد واجبات ومسؤوليات القوميين الكورد الذين يقاومون في السجون بصدد الظواهر والحوادث أن يقولوا الحقيقة من أجل فهم السياق التاريخي بشكل صحيح، إخفاء الحقائق لا يخدم النهج القومي، وهذا يضع السمن على خبز العدو. عندما نحمي كرامتنا وننتصر للغيرة القومية يضيع الخونة والأوغاد من على سطور الزمن.

عندما كان يتم الحديث عن التنظيمات وأعضاء الأحزاب الأخرى الذين قضوا في السجن، ومقارنة مع أعضاء الأحزاب التي كانت تعمل خارج أروقة السجن، كان يقوم محمد سليم جيروكايا، كما أسلفت، بتفضيل حزبه عن الأحزاب الأخرى، والبقية من الأحزاب يراها قد نهجت نهجاً مرتبكاً

لهذا الكتاب، رغم أنه ثمة جانب مهم من قول الحقيقة، على المرء أن يتحدث دائماً بصوت عال دون تحفظ. وهذا الكتاب أردته أن يكون خالياً من البروباغندا والدعاية الحزبية.

ولو افترضنا أن حزب العمال الكوردستاني قد قدّم مقترحه : بخصوص تأسيس كومين مشترك، إلا أنه لم تكن هناك أي ضرورة لأن يتذرع أي تنظيم بأي حجة عندما يقوم تنظيم ما ببناء كومين مع تنظيم آخر، وهذا شيء طبيعي. والرفض

لإنشاء هذا الكومين ليس عبارة عن تحليل سياسي، إذ يُعتبر ذلك خطأ في غير محله ولا معنى له.

حزب العمال الكردستاني، ضدّ كافة الأحزاب والتنظيمات الكردية، ارتكب أخطاء منذ لحظة تأسيسه حتى هذه اللحظة. الكثير من القوميين الأكراد تمّت تصفيتهم من قبله. فماذا عن رغبته في إنشاء الكومينات؟ ينبغي أولاً أن يتقبل النقد وأن يطلب الاعتذار من الأحزاب والتنظيمات الأخرى. وإذا لم تتعزز هذه الثقة فيما بينها وبين الأحزاب الأخرى، فلا مجال لتأسيس حياة أو توافق مشترك بينها. وتلك الأحزاب، أي الجلوس معها، يُعد بمثابة خدعة. وينبغي طلب الاعتذار أولاً من تلك التنظيمات لتتمكن من تأسيس كومين معها.

من ناحية أخرى، فإن أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، مثل نذير أردمجي الذي كان في القاوش وكان يتعرض للتعذيب لمدة ثماني ساعات، وتم أخذه إلى معتقل أو مكان آخر، عندما يسمع رفاقه عن تعذيبه، تنبثق من داخلهم رغبة في رؤية ذلك الاعتداء. وهذه الخيانة بحق الأحزاب الأخرى، كيف يمكن بعد ذلك الحديث عن توافق أو إنشاء كومين مشترك؟

من أجل أن تقوم فكرة الأحزاب بتأسيس كومينات فيما بينها، ينبغي أولاً أن تتوطد أواصر الثقة بين تلك الأحزاب. وعلى الرغم من أن حزب العمال الكردستاني في تاريخه لم يكن يوماً قد عقد موقفاً عنوانه الرفيع هو الشراكة مع الأحزاب الأخرى، إلا أنه بعد انقفاضة 5 أيلول قمنا بتأسيس ما يلزم من بناء الكومينات.

القوميون الكورد، قبل كل شيء، كانوا يفرزون الأصدقاء والأعداء، وكانوا يعتمدون على رفاقهم. عندما يحدث خطأ، ينبغي على الجميع عندها أن ينتقد ذلك الخطأ ويشير إليه من أجل تصحيحه، لذلك فإن سليم جيروكايا ومجموعته كانت تقف بالضد من التنظيمات الأخرى، ولم تكن هناك حدود لممارسة تجاوزاتها بحق تلك الأحزاب.

سليم جيروكايا في كتابه يقول: من حزب الخلاص ممتاز كوتان ووروشان أصلان، ومن حزب طريق الحرية نذير خليل، ومن قيادات الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الخلاص، الذين كانوا في السجن سنة 1979، كان يتم نعت ثوار كردستان وحزب العمال الكردستاني بوصفهم “عصابات أبوجية”، وبذلك قمنا بوضع أو أخذ موقف فعال منهم.

الآن السيد سليم شوراكايا كان يوقن جيداً ما الذي كان يفعله حزب العمال الكردستاني عبد الله أوجلان قد تحدث في أحد كتبه، حين قال: لقد أنشأنا أنفسنا من مجموعة في أنقرة في إحدى الأبنية التابعة للاستخبارات التركية، وكان بعض من أعضاء الاستخبارات يحموننا حينها، وخلال السنوات الثلاث الأولى قمنا باستخدام أسلحة الدولة. قمنا بإنشاء حزب، وكنت قائداً على درجة من الوعي لدرجة أنني استخدمت الأتراك ومخابراتهم لمصلحة حزبي.

منذ ظهور الحركة الأبوجية، كان هناك العديد من المخبيرين التابعين للدولة داخل صفوفها. ومنذ تأسيس حزب العمال الكوردستاني كتنظيم سياسي، أعلن أن جميع الأحزاب الأخرى

تُعدّ بالنسبة له أحزاباً معادية. وقد أدى ذلك إلى قتل عدد كبير من قيادات الأحزاب الأخرى، رغم أن تلك الأحزاب والشخصيات لم تكن مرتبطة بالدولة التركية، بل كانت ترفض الاستسلام والخيانة وتقف ضدهما بشدة.

كما تم إقصاء العديد من قياديي الحزب بأوامر مرتبطة بالدولة، ووضِع بعضهم في خدمة الدولة التركية. ووردت اتهامات بممارسة التعذيب، سواء بحق أعضاء الحزب نفسه أو بحق أعضاء أحزاب أخرى. ويُذكر أن سليم جيروكيا تحدث عن هذه القضايا داخل وخارج الأوساط غير المنتمية للحزب.

وبحسب ما نُقل، ورغم وجود أشخاص نزيهين داخل الحزب، فإن عدداً منهم قُتل أيضاً، ويُقال إن ذلك تم بأوامر من قيادة الحزب. كما قام سليم جيروكيا بإعداد قائمة بأسماء أشخاص قُتلوا على يد هذا التنظيم.

مع العلم أنه كان على دراية بالهجوم الذي تعرّض له رفاقنا في رأس العين (سري كانيه). حيث أقدم بعض قادة حزب العمال الكردستاني المتواجدين هناك على الاعتداء على كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني، وقاموا بمصادرة سلاح أحد رفاقنا، إضافة إلى مهاجمة عدد من الأعضاء وبعض قيادات الهيئة التنفيذية.

ومن بين هؤلاء، خالد آكا غونديز، الذي لم يكن له أي ارتباط بالحزب الديمقراطي الكردستاني، ومع ذلك تعرّض للتهديد والهجوم والاعتداء. وفي سياق هذه الحادثة، قام الأخير بالدفاع

عن نفسه، ما أدى إلى إصابة أحد عناصر حزب العمال الكوردستاني بجروح وُصفت بالطفيفة.

في اليوم نفسه، وخلال ساعات الليل، تعرّض أحد أعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني لإطلاق نار، حيث أُصيب بثلاث رصاصات. وفي صباح اليوم التالي، قام أبو خالد آكا كندوز، البالغ من العمر سبعين عاماً، بإصابة مصطفى أوزباك وكذلك ابن أخيه.

ورغم هذه الأحداث، لم يقيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني في رأس العين بإطلاق أي رصاصة. إلا أنه في منطقة قوسر، تم طرد عضوي الحزب عبد القادر عمر وسليم أصلان، حيث تعرّض لإصابات بالغة، ولم تمضِ فترة قصيرة حتى فارقا الحياة متأثرين بجراحهما.

وعقب هذه الهجمات ومقتل عدد من كوادر الحزب، أعلن الحزب الديمقراطي الكوردستاني حالة الحماية الذاتية والدفاع عن النفس. ولم يقتصر الأمر على تضليل الرأي العام الكوردي، بل امتد – بحسب ما يُطرح – إلى داخل الحزب نفسه، حيث وُجّهت اتهامات لبعض أعضائه وكوادره بالارتباط بتنظيمات مشبوهة، الأمر الذي استُخدم لتبرير الاعتداء على أحزاب كوردية أخرى.

تحدث سليم شروكايّا عن في إحدى البرامج عبر منصة خاني قضايا تتعلق بكل من شكري غولمش وحسين كابلان، مشيراً إلى ما وصفه بمؤامرة نُفذت بالتعاون مع عبد الله أوجلان

ودوران كلكان بهدف القضاء على الحزب الديمقراطي الكردستاني، وكيف تم إعلان محاربته.

كما أشار إلى أن الدكتور سمير إبراهيم، الذي لم يكن على خلاف فكري مع عبد الله أوجلان وكان يرى عدم صوابية محاربة التنظيمات الكردية الأخرى، تم اتهامه بالخيانة، وهو ما أدى – بحسب الرواية – إلى صدور قرار باغتياله.

وفي كتابه، يتناول سليم جيروكيا أيضاً بما عُرف بصيام الأيام الخمس، حيث شاركت عدة أحزاب في إضراب عن الطعام. ويذكر أن إعلان حزب العمال الكردستاني المشاركة بدفع باقي الأحزاب إلى الانخراط في تلك الأنشطة، رغم أن الحزب – بحسب طرحه – كان قد قطع علاقاته فعلياً مع بقية الأحزاب، في وقت كان فيه الخصوم يسعون إلى تقسيم الصف الكردي.

ويضيف أنه خلال تلك الفترة، ظهرت اتهامات داخل السجون، حيث قال بعض المعتقلين إن أعضاء من “طريق الحرية” وحزب الديمقراطي الكردستاني كانوا يتناولون الطعام سراً أثناء الإضراب، وهو ما يعكس حجم التوتر وفقدان الثقة بين الأطراف آنذاك.

أعضاء تلك الأحزاب السابقة، ولعشرات المرات، وليس فقط لخمسة أيام أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين أو خمسة وثلاثين يوماً، دخلوا في صيام الموت أو في إضراب عن الطعام. لذلك لم تؤخذ أي اعتبارات لإثارة الشك حول تلك الرغبة في استمرار العصيان والإضراب. ولهذا لم يكن جلادو

السجن يعتقدون بوجود أي توقف عن هذا العصيان، كما لم يتوقعوا أننا سنصمد بهذا الشكل.

وعندما قام العساكر بتفقد المهاجع، لم يجدوا أي طعام، بل إنهم لم يكونوا يقدمون طعاماً في ذلك الوقت أصلاً. أما ما لم يكونوا يتوقعونه، فهو أنه من أجل تسطير أو تقويم نضالات الأحزاب المعارضة، كان ينهض أحد كوادر حزب العمال الكردستاني لاتهام الأحزاب الأخرى بالتقاعس، أو بمعنى آخر بإضعاف المعنويات.

وفي سياق اجتماع مسؤولي القواويش، الذين كانوا على تواصل مع إدارة السجن، قال أحدهم: قبل أن نتحدث مع المدير، ينبغي أن نتحدث فيما بيننا، وأن نختار أحد المسؤولين ليمثلنا. عندها قال أحد مسؤولي الأحزاب الأخرى: رفاقنا، علينا أن نتحدث بلسان دبلوماسي. وقبل أن يكمل حديثه، قاطعه أحد مسؤولي المهاجع التابعين لحزب العمال الكردستاني قائلاً: أغلق فمك ولا تطل لسانك أيها المأفون. في وقت النشاط كنت تهرب، والآن تطيل لسانك؟ لا يحق لك أن تتحدث في هذا الموضوع أبداً. الذين هربوا من هذا العصيان يريدون اليوم أن يزاودوا ويتحدثوا ويعبروا عن آرائهم، ومع ذلك يمكننا أن نمنحهم قدراً من الكرامة دون أن ندعهم يتجاوزون حدودهم.

سليم جيروكيا، في اجتماع مسؤولي القواويش، كان يتفرّج على الرد الذي صدر عن أحد مسؤولي حزب العمال الكردستاني إزاء قول صدر عن أحد المعتقلين التابعين لحزب آخر، بل وأبدى نوعاً من الثناء على ذلك الرد، ولم يندد بما

تضمّنه من استصغار وتقزيم لنضالات أعضاء الأحزاب الأخرى. فكيف كان بالإمكان، عندها، أن يتم العصيان بشكلٍ مشترك؟

لم يقدّم، بناءً على ذلك، أي موقف عملي أو رأي منفذ، في وقتٍ كان فيه أحدهم يقوم بتقزيم تنظيمٍ آخر واعتباره مجرد بيدق ومع ذلك، وبدلاً من أن يحتج على هذا السلوك والموقف، راح يُشيد به، وكأنه يشاركه هذا الإجحاف وهذه الرؤية.

ولا شك أن سياسة حزب العمال الكوردستاني الرسمية كانت تتجه نحو تصفية الأحزاب الأخرى. كما أن المواقف والقرارات التي صدرت عن مؤتمر السجن تُظهر أن معظم التنظيمات الموجودة في الخارج كانت، في كثير من الأحيان، تعترض على أنشطتنا المقاومة. وإن حدث أي استسلام، فكان يُعزى إليهم، في حين أن أي عصيانٍ كان يتحقق أو أي انتصارٍ كنا نحققه كان يُنسب إلينا، لا إليهم.

في مؤتمر السجن قال لهم أبو: لقد استسلمتم لفترة طويلة. الذين قاوموا وماتوا في تلك المقاومة لم يستمروا كما يجب، ولم تقدّموا تجربة جيدة في هذا الصدد. لم تمثّلوا حزبكم، ولم تحموا كرامة الحزب ولا الشهيد ولا الشعب. ومن أجل كوبٍ من الحساء لم تستطيعوا الصمود.

بلا شك، لم يكن هدف أوجلان تقييماً صحيحاً ومتوازناً لمقاومة السجن، بل كان هدفه أن كل من يخرج عن كلامه وتعليماته، أو يقدّم ولو نقداً بسيطاً تجاه استبداده، كان يُستهدف بالتصفية

سليم، في برنامجه، كان يقول إن ما حدث هو أن الذين استسلموا في السجن أو أُجبروا على الاعتراف، أو الذين ضعفوا وأصبحوا جواسيس، عندما وصلوا إليه، كانوا يُستخدمون ضد الوطنيين النزيهين والفدائيين، وبما يخدم سياسات الدولة.

ويقول سليم إن أكثر من ألف وخمسمائة شخص في المعتقل كانوا يتعرضون للتعذيب والاعتداءات بلا تمييز. وأن المعتقلين الذين قاوموا ضد الظلم والاعتداء اقترحوا، بل أقرّوا، أن يدخل الجميع في إضراب عن الطعام حتى النهاية. وإذا لم يتحقق شيء من هذا الإضراب، فقد كنا على استعداد للاستمرار حتى النهاية.

المعتقلون الذين كانوا ينحازون إلى خط المقاومة كانوا يأخذون مقترحات جميع الأحزاب الكردية، وحتى اليسارية التركية. لكن بعد بضعة أيام، وقفت أحزاب مثل «الخلاص» و«طريق الحرية» والحزب الشيوعي التركي ضد هذا التوجّه.

وعندها، يذكر سليم جبروكايا في الصفحات 99 إلى 101 أسباب ما يسميه بالاستسلام داخل المعتقل، مميزاً بين من خضع لسلوك السجّانين ومن وقف ضدهم. وبعد انقلاب 12 أيلول، الذي أحدث تغييرات داخل السجن وفي الخارج أيضاً، وبسبب تغيّر أساليب التعامل مع السجناء، تم إخضاع كثيرين ممن كانوا قد أبدوا مقاومة.

ويصف جيروكيا التنظيمات التي لم تقرر الإضراب عن الطعام بأنها متآمرة أو متخاذلة، مبرراً ذلك بأن الاستسلام والانحناء مرتبطان بنقص الخبرة في التعامل مع الظروف.

لكن إذا كان الآخرون قد شاركوا في العصيان، فليس من الضروري أن يثبتوا أنفسهم كفدائيين وفق هذا التصور، ولا يعني ذلك أنهم لا يقولون الحقيقة، وهم يدركون ذلك جيداً

حسناً، يا سيد سليم، أنت تتحدث عن أكثر من 1500 أسير. من بين هؤلاء، كم كان عدد أسرى بقية الأحزاب؟ إن معتقلي الحزب الديمقراطي الكردستاني لم يتجاوزوا المئة شخص، أما بقية الأحزاب الأخرى، فبعضها لم يتجاوز عدد أفرادها عشرة أشخاص

في القواويش الأخرى، هل كان هناك تنظيم آخر غير حزب العمال الكردستاني يشكل أغلبية في السجن، وهل كان حزب العمال الكردستاني هو الأغلبية فعلاً بين المعتقلين؟

وعندما تقول إنكم قررتم الإضراب وأجبرتم الأحزاب الأخرى على المشاركة، فلماذا إذن يتم اتهام تلك الأحزاب أو تخوينها أو التقليل من شأنها، رغم أنها قدّمت أثماناً باهظة؟

علماء أنكم، أنتم أيضاً، في بعض المحطات، كنتم من أوائل من خضعوا أو أذعنوا. وإذا كانت مقاومة كانون الثاني 1984 لم تنتهِ بالاستسلام، فلماذا وصلنا إلى هذا العصيان حتى نهايته؟

ويضيف سليم قائلاً إنهم قدموا اقتراحاً آخر بشأن صيام الموت من أجل الأحزاب الأخرى، وهذا، بطبيعة الحال، كذب جملةً

وتفصيلاً. فسلم نفسه يقول إن بعض الأحزاب الأخرى، سواء الديمقراطية أو الاشتراكية، لم تكن تمارس أي ديمقراطية داخلية، وإن حزب العمال الكردستاني كان ينفرد بالقرار كما يشاء، ثم يقدمه على أنه مجرد "اقتراح". وبحكم الإطار الأيديولوجي للكادر، لم يكن هناك في عرفهم أي معنى أو ضرورة لاستشارة بقية الأحزاب.

وكان سليم يجرم جميع الأطراف تقريباً، معتبراً أنهم كانوا يجمعون على الخضوع لضغوط إدارة السجن والدولة، في حين أن الدولة، بحسب الواقع آنذاك، لم تكن تتدخل بالشكل الذي كان يدعيه. بل كان هناك رأي سائد مفاده أنه لا ينبغي لأي حزب أن يمارس الضغط على الآخرين

ومع ذلك، كان سليم جيروكيا يسعى إلى تصوير حزبه على أنه الحزب الريادي الذي لم يستسلم ولم ينحن. وعندما بدأت الانتهاكات والتعذيب والضرب، قاموا بإلقاء أربعة من رفاقنا في "المنفردة" المرتبطة بالقاوش رقم 36، وكان الهدف من ذلك خداع بقية الرفاق وإيهامهم، وكذلك التقليل من شأن المعتقلين الآخرين، عبر الإيحاء بأن رفاق الحزب الديمقراطي الكوردستاني كانوا يسعون إلى الانفصال، ولذلك تم نقلهم إلى تلك الغرف.

ومن أجل التعقيم على الحقيقة، كان يتم منع الآخرين من رؤية الواقع كما هو وبعد تلك المراحل من المقاومة، كان سليم يتهم حتى رفاقه أنفسهم داخل السجون التركية، مثل معتقل آيدن،

حيث كانت تُمارس أساليب الترهيب والتكليم والتعذيب نفسها التي كانت سائدة في معتقل ديار بكر.

سليم لم يكتفِ بمهاجمة الحزب الديمقراطي الكردستاني، بل وسّع هجومه ليشمل بقية الأحزاب. فهو يبتدع روايات لافتة للنظر، مثل ادعائه أن إدارة السجن تعذب أنصار حزب معين ثم تُلقى بهم فجراً في مهاجع انتقامية مليئة بالقذارة. كما يتهم شخصيات وطنية قدّمت حياتها لقضية شعبها، مثل نضيف كليلي، بتهم واهية لا أساس لها. ويتحدث سليم عن مخبرين وجواسيس ارتكبوا أفعالاً شنيعة، لكنه يتجاهل ذكر أولئك المخبرين الذين لعبوا دوراً سلبياً داخل مهاجع الأحزاب الأخرى

يقول سليم إن ممتاز كوتان ونور الدين الحسيني، اللذين كانا في سجن آمد، خضعا في نهاية المطاف لإرادة السجّانين مع بدء سياسة التعذيب، وقبلاً قبل أن يتعرضا للضرب. ويزعم أنه عندما كان السجّانون يضربون ممتاز وروشان، كانا يردّان بإطلاق الشتائم ضد حزب العمال الكردستاني. كما يدّعي أن ممتاز، بالتنسيق مع المخبرين، وبالاشتراك مع كمال كليش، تولّى إدارة المهجع، رغم أن ذلك المهجع لم تتخذ فيه إجراءات بحق أي من المخبرين الذين ارتكبوا تلك الانتهاكات.

جميع المعتقلين تعرّضوا لأشكال متعددة من القمع، وكل من أبدى موقفاً واجه موقفاً مماثلاً من الآخرين، ونال الجميع دون استثناء صفة الصمود داخل ذلك المعتقل.

كان سليم جيروكايا يبرّر أخطائه بوصفها “تكيفاً سياسياً”، ووصم رفاقه بصفات سلبية مثل الخيانة، بل واعتبر أنهم

استحقوا ما جرى لهم. وفي مواجهة مباشرة، سئل: هل تشعر براحة الضمير؟ فأجاب: نعم. فجاءه الرد: أنا لا أشعر بأي راحة ضمير. وعندما يتعرّض رفاقك للتعذيب، هل حاولت حمايتهم؟ الجواب واضح: لا. فإذا كنت تشعر براحة الضمير إزاء ما حدث في المعتقل، فأنت مدان.

رغم أنني شاركت في أنشطة عديدة داخل السجن، ظلّ تأنيب الضمير يلزمني دائماً. لم أشعر يوماً أنني بخير وسط تلك الأوضاع المزرية. حين كانوا يضربون أخي أو رفاقي ويؤذون أبناء بلدي، وعجزتُ عن حمايتهم أو التخفيف عنهم، كان الألم يزداد، وسيبقى هذا الشعور معي حتى الموت. أشعر أنني مقصّر بحق نفسي وبحق أبناء شعبي.

طرحْتُ هذا السؤال على رفيقي رجب مرعشلي، فأكد أنه، مثلي، لم يشعر بالراحة قط وكان يعيش تحت وطأة تأنيب الضمير. رؤية إنسان يُضرب أمام أعيننا، أو مشاهدة الآخرين يتعرضون للأذى، كفيلة بأن تعذب الضمير. وعندما تُضرب أمّ أمام أطفالها ويصرخ طفلها طالباً وقف التعذيب، فإن أي إنسان يمتلك حدّاً أدنى من الإنسانية لا بد أن يتألم.

في المقابل، يحاول سليم جيوركايا أن يقدّم نفسه بصورة “البطل” الذي صمد، لذلك يدّعي أنه يشعر براحة الضمير، ويذهب أبعد من ذلك باتهام الآخرين بأنهم تعرّضوا لتعذيب أخف. هذا الادعاء غير صحيح. التعذيب كان قاسياً وخارج أي معيار إنساني، وطال الجميع دون تمييز. ومع ذلك، لم نستسلم ولم نتحول إلى مخبرين أو جواسيس.

يثور هنا سؤال مباشر: لماذا كان معظم المخبرين — بحسب ما يُقال — منتمين إلى حزب العمال الكردستاني؟ وهل سُمع أن معتقلين من تنظيمات أخرى قبلوا التعاون الأمني مع السجّانين؟ خضر أقبالك، مثلاً، شارك مع السجّانين في الاعتداء على رفاقه بصفته مدّعياً داخل المحكمة. السجّانون كانوا يعاملون جميع المعتقلين على قدم المساواة في التعذيب، دون تمييز بين أي تنظيم كوردي.

أما القول بأن بعض المعتقلين تعرّضوا لتعذيب أخف من غيرهم، فهو ادعاء كاذب. كنْتُ في المعتقل نفسه الذي كان فيه سليم، وما يقوله لا يعكس الحقيقة. السجّانون كانوا ينظرون إلينا نظرة واحدة: كلنا هدف. هذه الظروف دمّرت كثيرين؛ أُصيب عدد من رفاقنا بأمراض مزمنة خطيرة، مات بعضهم، ونجا آخرون.

لو أن سليم كتب هذا الكتاب بصدق، لكان ينبغي أن يقول إن سبب الخضوع في سجن آمد، وسبب الاستسلام فيه، يعود لنا نحن، وأننا نحن هنا كنا السبب. قادة حزب العمال الكردستاني، مثل خير درموش وكمال بير ورضا ألتون، في 10 تشرين الثاني 1981، وبضغط من أسعد أوكتاي يلديران، صعدوا المنابر وأدّوا النشيد التركي العنصري تحت مسمى “قسمنا”، كما أدّوا نشيد الاستقلال وأثنوا على أتاتورك. وهذا دليل على موقف وإذعان قيادة الحزب، وكان ذلك بمثابة إعلان الاستسلام لذلك القمع أو لهذا وخضوع معتقلي حزب العمال الكردستاني للضغط

فكان ذلك بمثابة انحناء للجلاد. بعد أن قام فرهاد كورتاي ورفاقه بإحراق أنفسهم أو بإضرار النار في أجسادهم، دخلنا صيام الموت. وأحد الأسباب التي دفعت فرهاد ورفاقه إلى الذين كانوا PKK إضرار النار في أجسادهم كان إذعان قادة في المعتقل وأنا شاهد على ذلك.

ومن بين المعتقلين الذين كانوا ينتمون إلى حزب العمال الكردستاني، محمد غولدن، الذي ندد بإذعان قاداته أو رفاقه وأضرم النار في جسده، وكان ذلك عملاً فداً. وقلت حينها إنني كنت معارضاً لإضرار النار في الجسد، وقلت إن ذلك لا فائدة منه.

لماذا لا يتحدث سليم عن هذه الوقائع؟ تلك الحادثة لا تزال مخفية، ويستمر بالكذب على رفاقه.

مظلوم دوغان قُتل تحت التعذيب، وأحد شهود العيان على ذلك هو محمود شاهين. والبعض قال إن مظلوم شنق نفسه، والبعض الآخر قال إنه أضرم النار في جسده. لا أعلم ما ضرورة هذا الكذب.

إذا صعد معتقلو الأحزاب الأخرى إلى المنبر وتحدثوا بما نطق به قادة حزب العمال، فماذا كان سيقول سليم جبروكايا بصددهم؟ كل امرئ يمكنه أن يخطأ أو أن يُبدي ضعفاً

بعد أن أضرم فرهاد ورفاقه النار في أجسادهم، قام خيرى دورموش وكمال بير، بشجاعة، بإنهاء حياتهم. قام حزب العمال الكردستاني بتصفية الكثير من كوادر التنظيمات الكردية

الأخرى، ووضعها نصب عينيه كهدف، وصرّح بذلك علناً، سواء في المعتقل أو في الخارج. وسليم كتب كتابه بتلك العقلية

فإذا كان صريحاً وشفافاً بعد أن عرف الحقيقة فجأة وانشق، كان عليه أن ينتقد نفسه وينقّح كتابه. وإذا صحّ أن خونة الشعب الكوردي، ومن أجل زرع الشقاق بين الكورد أنفسهم، أعدوا الكثير من الخطط، حيث قاموا بتحريض الكورد على بعضهم بعضاً، ثم هاجموهم معاً لكسر صفّهم، فإننا لم نكن ندرك مآرب العدو وخططه، ولم نكن نحسن التدبير، فكنا لقمة سائغة في أفواههم.

ولو فهمنا سياسة العدو واستخلصنا منها الدروس التاريخية، بناءً على تجارب الآباء والأجداد، لتمكّنّا من تجنّب الكثير من المصائد والمكائد، ولم يكن هناك داعٍ لكتابة كتب مزيفة وكاذبة

الذين تعرّضوا للتعذيب في ذلك السجن، الذي كان بمثابة الجحيم في آمد، كثير منهم استشهدوا، شهداء كوردستان، وصمدوا من أجل قضية الكورد وكوردستان أمام سياسات الدولة التركية. والأسرى الكورد السياسيين صمدوا في وجه قدر كبير من الظلم والتعذيب الذي مورس بحقهم، ولم يستسلموا، ووقفوا ضد سياسة الإنكار، وعاشوا بفقر حتى النهاية.

في ذلك السجن لم يُدعن أحد، ولم يكن هنالك منهارون إلا القلة القليلة. الجميع صمد ونال شرف الشهادة وشرف الصمود. ومن يستهين أو يقتل من نضالات البعض فإنه يتجنّى على التاريخ. لا يمكن، عن طريق الكذب، أن يزيّن المرء لنفسه أو أن يقلّل من

بطولات الشجعان في المعتقلات. وأمام هذا الزيف والكذب،
احتجّوا علناً.

عندما تم التصريح بمحكوميتنا سنة 1987، أقدمت الدولة
التركية على عزلنا عن عوائلنا. كنا حينذاك عشرة أشخاص،
وكانت محكوميتنا شديدة، فتم نقلنا إلى سجن آخر يُدعى
«آيدين» وهو معتقل سياسي. قبل وصولنا كانت قوائم بأسمائنا
قد أرسلت إلى ذلك المعتقل. لم يكن هناك أحد من رفاقنا نعرفه
مسبقاً، لكننا تعرّفنا على شخص يُدعى عبد الله توسيال من
تنظيم «كاوا»، وكذلك على أحد أعضاء حزب «رزكاري» أو
«الخلاص» واسمه توناي يتكنار. وقد أخبرونا أنهم كانوا
يقيمون في مهجع يضم معتقلين منتسبين إلى حزب العمال
الكوردستاني، وكان عددهم - بحسب ما قيل لنا - يتراوح بين
ستين وسبعين شخصاً

لقد ترك نقلنا إلى ذلك السجن أثراً نفسياً قاسياً علينا وعلى
عوائلنا. ودّع بعضنا بعضاً بحزن شديد. وكان إرسالنا إلى سجن
آيدين بمثابة غبن إضافي فُرض على ذويّنا؛ إذ بات عليهم أن
يقضوا ساعات طويلة في الطريق إذا أرادوا زيارتنا. وقبل ذلك
كله كان عليهم تأمين الحافلات للوصول إلى المعتقل، فيما كانت
تكاليف الذهاب والإياب باهظة بالنسبة إلى تلك العوائل التي كان
معظمها فقيرة. كما أن آبائنا وأمّهاتنا كانوا في غالبيتهم من
كبار السن والعجائز، ولم يكن كثير منهم قادراً مادياً أو جسدياً
على زيارتنا. لذلك كان بعضهم لا يستطيع المجيء إلا مرة كل
ثلاثة أشهر أو حتى كل ستة أشهر.

قبل يوم من نفينا أخذونا إلى معتقل مدني. سمعنا أن أحمد ترك وبعض الأعيان البارزين كانوا هناك، وهم يسمعون الخبر. كانوا، رغم أنهم يعلمون وضعنا جيداً، قد أرسلوا إلينا بعض الطعام. كان ذلك الطعام لذيذاً، وربما لم نتذوق مثله منذ ست أو سبع سنوات.

وفي اليوم الذي بعده قاموا بوضعنا داخل السيارات. وكانت العساكر أيضاً معنا في السيارات تحيط بنا، وكانت تلك العساكر مسلحة بالأسلحة. وكان ثمة باب حديدي يتم إغلاقه بالمفتاح ضمن تلك السيارة. وقاموا أيضاً بربط أيدينا بالكلبجات وأقدامنا بالسلاسل.

وكنا على طريقنا. وقبل أن يصلوا إلى كل مدينة، كانت يتم توزيع الحمايات والشرطة على طول الطريق الذي كانت السيارات تسلكه، وكأنهم يقومون بحراسة قطيع من النمر أو الأسود، أو كأنك تخال أننا قطيع من الوحوش يتم إحاطتها كي لا تفتعل خطراً، وبذريعة أو بمخاوف ألا تقوم تنظيماتنا في الخارج بمحاولة إنقاذنا أو تحريرنا.

وبالقرب من ملطية تعطل المحرك، وأصبح عائقاً بينه وبين دولاب هذه العربة، وانحرفت هذه المصفحة التي أقلتنا عن مسارها، وبدأت تكاد تنقلب. وحينذاك، لو أن بالفعل أشخاصاً أتوا لتحريرنا، لكانوا استطاعوا تحريرنا ببسر، لأننا استطعنا تحرير أيدينا من الكلبجات والسلاسل.

وثلاثة إلى أربعة باتوا مصابين، وفك أحد رفاقنا واسمه أديب غالين تكسر. فلو لم ننزع عن أيدينا تلك الكلبجات والسلاسل،

لربما انكسرت بعض أذرعنا أو أضلاعنا أو أيدينا من شدة الضغط، أو كانت ستبتتر.

ولم نكن في حالة من التفكير بالهرب. عندها، في مستشفى ملطية، ولم يكن هناك غرفة للحماية، قاموا بتضميد فك أديب، وأخذونا برغم ذلك مكبلين إلى معتقل آيدين. وعندما أخذونا إلى معتقل آيدين أنزلونا من العربات، وأخذونا إلى ساحة المعتقل.

قادة ذلك المعتقل أو مديرو ذلك المعتقل سألونا: أين تريدون أن تمكثوا في هذا المعتقل؟ ضمن أي حزب تودون أن تبقيوا أو أن تمكثوا؟ فقلنا لهم: نريد أن نبقي مع الكورد. فسألنا: من هم الكورد الذين هنا؟ فأجابونا: هنا، ككورد ثمة بعض معتقلي حزب العمال الكوردستاني. فقلنا لهم: إذا أرادوا هم أن نمكث معهم فسوف نمكث أيضاً هناك، لا مانع لدينا. وهم قالوا: سوف نخبر مسؤوليهم.

عندها استقدموا بعضاً من مجموعات المعتقلين التابعين لحزب العمال الكوردستاني إلى معتقل آيدين. وضمن الذين تم استجلابهم كان عضو اللجنة المركزية لحزب العمال الكردستاني صبري أوك، وكان معنا وكنا نعرفه حينها. وكان ثمة مسؤول آخر لحزب العمال الكردستاني اسمه صدر الدين. جاء إلينا ذات مرة وقال لنا: إذا أردتم أن تمكثوا بيننا فشرطنا هو أن تتخلوا عن تنظيماتكم، وإذا لم تتخلوا عن تنظيماتكم فلا نحن ولا غيرنا يقبل بأن تنضموا معنا، وستبقون عندها في إيوان المعتقل

فأجبناه بغضب: هل هذه هي أخلاقكم كسياسيين؟ ما هذا الكلام؟ قلنا له: لقد قلنا إنكم كورد، ولأنكم كورد فإننا سنبقى معكم، سنمكث بينكم، ولكن إذا لم تحترموا تنظيمنا وموقفنا، فإذاً لا عمل لنا بينكم.

عندها رجع هذا المسؤول إلى مكانه. وحينذاك قلنا لمسؤول المعتقل: من يقبلنا سنذهب إلى ذلك المهجع أو المكان الذي يتم قبولنا فيه. وعندما ذهب مدير المعتقل وسأل تلك المهجع، قالوا لنا: لا يوجد مهجع يريدكم بينه.

عندها قام بعض من الشبان اليساريين وقالوا لنا إن بعض من معتقلي حزب العمال الكوردستاني جاءوا إليهم وقالوا لهم: إن مجموعة من الحزب الديمقراطي الكردستاني جاءت إلى هذا المعتقل، وهؤلاء استسلاميون ورفاق الدولة، وإذا جاءوا إليكم فلا تقبلوهم بينكم.

فقلنا لمدير معتقل آيدين: لا يوجد في هذا المعتقل مكان يؤوينا؟ فقال: كل تلك المهجع هي أحزاب ترفضكم، فقط ثمة مهجع واحد فارغ. ولم نكن نعلم أي مهجع يقصده مدير المعتقل. فأجبناه: نحن موافقون، خذنا إلى ذلك المهجع.

وكان في ذلك المعتقل الكثير من الأحزاب اليسارية، وكانوا عبارة عن سياسيي دولة، وكانت تلك المهجع أبوابها مفتوحة على بعضها بعضاً، وكان ثمة مسؤول عن الطعام. وذهبت نتحدث إليهم، وعين ذلك الكلام الذي قاله مسؤول حزب العمال الكوردستاني لهم قالوه للآخرين أيضاً

فقمنا بقولنا لهم إن كل ما يدعيه حزب العمال الكردستاني
بحقنا كذب، وقمنا بتعرية أهداف ونوايا حزب العمال
الكوردستاني بصددها، فهدفهم هو تصفية وإنهاء دور
التنظيمات الكردية عبر قولهم: تخلوا عن تنظيماتكم وتعالوا
إلينا.

رغم أننا كنا في معتقل آمد - ديار بكر، وكان هذا المعتقل مزيجاً
من مختلف الأحزاب، وكنا أحياناً متداخلين ببعضنا، بمعنى أن
مهاجعنا كانت مختلطة ببعضها، وكثير من أعضاء وأنصار
أحزاب أخرى كانوا معنا في هذا المعتقل.

وفي معتقل آيدين كنا قد قلنا لهم إننا كنا أيضاً قبل ذلك في سجن
آمد، وكنا مع أنصار حزب العمال الكردستاني ضمن مهاجع
واحدة تقريباً. ورفاقهم قالوا: نعم، نحن نعلم أنكم تقولون الحق،
ونحن أيضاً نثق برفاقنا.

ولم نكن نريد بالفعل أن نتنازع مع حزب العمال الكردستاني.
وتعرفنا على بعض الأحزاب الأخرى هناك، وذهبنا إلى
مهاجعهم، وقلنا لهم الحال، فقالوا لنا: نحن نعرفكم، وحزبنا
يراكم صديقاً له، إلا أن حزب العمال الكردستاني هنا قوي، ولا
نريد أن نتنازع نحن وإياهم.

وعندما تحدثنا مع معتقلي مختلف الأحزاب نشرنا بياناً، كتبنا
في محوره باختصار أن الادعاءات التي ينشرها حزب العمال
الكوردستاني بصددها كذب، ونحن جاهزون لإثبات ذلك. وإذا
أرادت التنظيمات الأخرى الحقيقة، فلتستدع قادة حزب العمال

الكوردستاني الموجودين هنا لنناقش ادعاءاتهم ومزاعمهم
الكاذبة بحقنا، ونحن مستعدون لإثبات عكسها

سنقوم بالإضراب عن الطعام و أيضاً إعلام الرأي العام الشعبي
بما تفعلونه، وسوف نقوم بتشهيركم، وأنتم مسؤولون عما
تفعلونه.

بعد هذا البيان قام مسؤول حزب العمال الكوردستاني صبري
أوك بالتوعد لنا وتهديدنا. وكان حينها مسؤول مهجعنا محمد
جان أوزباي. فقال له محمد جان أوزباي: أنتم تطلقون
التهديدات، وتكذبون أيضاً، وتحملوننا ما لديكم من عار أو
موبقات، ونحن لا نخافكم، ولو متنا لن نقبل هذا الظلم الممارس
بحقنا.

وبعد ذلك جاءت بعض الأحزاب الأخرى لزيارتنا، وقالوا لنا:
عندما أتيتم قمنا بالبحث والتحري عنكم، ووصلنا إلى نتيجة أن
الادعاءات المقدمة بحقكم ليست صحيحة، فقررنا كتنظيمات
حزبية أن نوّمن لكم مهجعاً لأعضائكم.

وعندها سمعنا أن أحد قادة حزب العمال الكوردستاني، واسمه
محمد جان يوجا، أتى إلى معتقل آيدين. وكان ثمة رفيقان لنا،
خضر يغيت ورجب فيصلي، ذهبا إلى مهجع حزب العمال
الكوردستاني وجلسا معه، أي مع المدعو محمد جان يوجا،
وناقشاه حول تلك الحوادث أو الأحداث التي تقع في هذا
المعتقل. فقال لهم: نحن لا نريد لكم المشاكل هنا، والأشياء التي
فعلها رفاقنا بحقكم ليست صحيحة. وعندها لم تعد هناك أي
مشاكل بعد ذلك النقاش

وبالنسبة لحزبنا أو لرفقاء حزبنا، فكنا نذهب إلى أي معتقل، وبرغم وجود حزب العمال الكردستاني ومع مختلف الأحزاب الأخرى اليسارية والتركية أيضاً، كانت ثمة علاقات أخوية فيما بينهم، وكانوا دائماً ينسقون فيما بينهم بخصوص إنشاء الكومينات.

وعندما ذهبنا إلى معتقل آيدين كان المعتقل جيداً مقارنة بمعتقل آمد، وكان جيداً بشكل عام، إلى أن جاءتا سنتا 1990 و1991، حيث تم اكتشاف نفقين: أحدهما في مهجع حزب العمال الكردستاني، والآخر كان مطلاً إلى جهة الشارع بين مهجعنا، وكان بينهما فارق خمسين إلى ستين متراً

وكان بعض من إداريي السجن ربما قد غضوا الطرف عن وجود هذا النفق، وربما كان وجوده من أجل إيجاد ذريعة أو حجة لإيداننا أو لمعاقبتنا. ولم يكن لنا أي علاقة بهذا النفق، وكان قادة السجن يعلمون ذلك، لأن هذين النفقين كانا موجودين قبل أن نأتي إلى هذا المعتقل

وعندما تم إعلان وجود هذين النفقين، كان أحد المهاجع التي تم إيداعها هو المهجع الذي يقيم فيه أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني. ومن المهاجع حتى الحجرات قام عساكر المعتقل بوضع حاجز فيما بيننا وهاجمونا بالعصي والهرات والكرابيج، وقاموا بمهاجمتنا ووضعونا في المنفردات، وجردونا من ملابسنا، ولم يكن ثمة أي شيء نلتحفه هناك. والبعض الآخر تم فرزه إلى مهاجع أخرى.

وقمنا بالهتاف بالشعارات ونددنا بهذا الظلم أو بهذا التعذيب.
 وكان شعارنا: «ليسقط التعذيب، التعذيب ضد الإنسانية»، وكان
 «هناك أيضاً شعار آخر: إنسانيتنا ستسحق التعذيب

وعند ذلك أدركنا أن بعض الصحفيين الأتراك كتبوا أن المعتقلين
 قاموا بمهاجمة الشرطة وأصابوا بعض الجنود، رغم أنه في
 الحقيقة لم يُصب أحد ولو بصفعة. فقاموا بالإمعان في إيذائنا،
 وأصدروا أحكاماً بحقنا

وعند ذلك قررنا الإضراب عن الطعام إلى أجل غير مسمى
 في تلك المنفردات قاموا بتعريتنا، ولمدة خمسة عشر يوماً لم
 يعطونا شيئاً يُذكر من أسرة أو فراش أو أي شيء يتعلق
 بمستلزماتنا الشخصية

وبعد مضي خمسة عشر يوماً جاء قادة المعتقل وقالوا لنا: وفقاً
 لأمر من الوزارة، ما دمتم مستمرين في إضرابكم فإننا لن
 نستطيع أن نقدم لكم شيئاً، فقط نستطيع أن نبيعكم الشاي
 المحلى ونحن قبلنا بذلك الشاي

وطبعاً أمضينا ثلاثين يوماً في الإضراب. وبعد مضي شهر من
 الإضراب جاء وفد من جبهة حزب الشعب الجمهوري، وقاموا
 بالتواصل مع وزير العدل، وتحدثوا معنا ومع مدير السجن، ثم
 قاموا بتوزيعنا على المهاجع، ولم يحدث أي تهديد مباشر

وبعض من المجموعات تم نفيها إلى مكان آخر، وكان من بين
 العشرين شخصاً الذين تم إجلاؤهم إلى معتقل آخر محمد جان
 أوزباي. وهناك أخذوا منا كافة المستلزمات والكتب

وقاموا بأخذنا إلى سجن نازلي

وعندما طلبنا حاجياتنا قالوا: لن نعطيكم.

وعندها بدأنا مرة أخرى بصيام الموت، ولمدة خمسة وثلاثين يوماً أضربنا عن الطعام. وكان هذا الصيام صيام موت، وكنا شيئاً فشيئاً نذهب باتجاه الموت

وكثير من المنظمات والهيئات الحقوقية قامت بإعطاء تقييم لهذه الحالة، والبعض من المعتقلين توقف عن هذا الإضراب

بعد قدوم رأس السنة، كانت الزيارات مفتوحة، إلا أنه لم يتم منح حق الزيارة لا لنا ولا لبعض اليساريين الكورد وبعض الأحزاب الأخرى. نحن بقينا في المهجع

كان مسؤول أحد الأحزاب واسمه طالب تشاكماك يريد أن يسأل عن سبب هذا المنع وعدم السماح لذويهم بالزيارة، فأجابه السجن بأن إدارة السجن قررت ألا تتحدث معك. فقام بكسر زجاج الممر كاملاً

عندما كُسر ذلك الزجاج جاء السجنانون مع بعض العناصر إلى باب المهجع. وكان مسؤول المهجع أديب قاليب، فقام بطرد السجنانيين بوجههم بغضب، إلى أن تواعدوا لنا وصرخوا بالمقابل.

وكنت صدفة بالقرب من النائب، فقلت له بكلام بنبرة منخفضة: لا تهددونا، وتهديداتك لا تساوي فلساً بالنسبة لنا. نريد أن نعالج هذا الإشكال. أهلنا بالقرب من الباب، ومن حقنا ومن

حقهم أن نراهم ويرونا. لماذا لا تريدون أو لا تعطوننا الحق في رؤية ذويها؟ نتمنى منكم موقفاً إنسانياً

فأجابني: وهل إنشاء النفق حق؟

فكانت الإجابة: نعم، إنشاء النفق هو حقنا، ولا يحق لكم أن تتذرعوا بالنفق وأن تقوموا بتهديدنا. إذا أعطيتكم حق الزيارة للبعض وأحجمتم هذا الحق عن البعض الآخر، فهذا لا يعتبر من الإنسانية في شيء.

فقال: وإذا لم نعترف بهذا الحق، هل هذا يفتح لكم المجال لتقوموا بكسر شباك الممر؟

فكانت الإجابة: كل ما يمكن أن يكون ضرورياً سنقوم به فقال بالمقابل: أنتم لا تستطيعون فعل شيء من كسر هذا البلور أو هذا الزجاج؟

فأجاب طالب تشاكماك وقال: أنا كسرتة

فعرفنا أنه جاء ليس من أجل محاولتنا، بل من أجل معرفة من كسر الزجاج

فقمتم بإعطاء نائب هذا السجنان لكمة بكل قواي، وهذه اللكمة أسقطت النائب على الأرض، فقام العناصر بسحب النائب وحمله إلى الخارج

بعد ساعة جاء عناصر إدارة السجن وطلبوا مني أنا إبراهيم غوروز بالاسم، وقالوا: ليتجهز إبراهيم غوروز لناخذه إلى المنفردة

رفيق المهجع قال، أو رفاق المهجع قالوا: نحن لا نعطيكم الإذن بأن تأخذوا إبراهيم إلى المنفردة. فكانت الإجابة: إن لم تعطوا إبراهيم فسوف يتم أخذه عنوة

قلت لرفاقي: لقد قمت بهذا العمل لأجل نفسي، ولا أريد أن يلحق بكم أي ضرر بسببي. أنا لا أخافهم أبداً، سأذهب إلى المنفردة عندها قبل الرفاق، وقبل أن يعطوني الإذن، قاموا بكتابة طلب، وكتبوا فيه: إذا تم التعذيب بحق هذا الرفيق فإن إدارة السجن ووزارة العدل هم المسؤولون

بعد ذلك عندما أخرجوني إلى خارج المهجع، كان ثمة عناصر من السجنائين ينتظرونني، وكانوا يشكون إن كان لدي سكين أو أداة حادة. اقترب أحدهم وقال: نريد تفتيشك

فقلت لهم: لا يوجد لدي أي أداة حادة

فاقترب مني أحد السجنائين بشك وخوف. وعندما فتشوني جيداً، لم يجدوا شيئاً. ثم قاموا بعد ذلك بالقائي في منفردة عميقة، ولم يضربوني

بقيت في تلك المنفردة ليوم كامل، ووفق تعليمات الوزارة قاموا بأخذي إلى سجن عنتاب واسمه ديلوك، وهو الحرف الخاص بذلك السجن

سألوني: لأي مهجع تريد أن نأخذك؟

وبعض من المعتقلين الذين كانوا هناك قالوا: إذا أردت يمكنك أن تنضم إلينا. وفي كل منفردة كان هناك أربعة أشخاص داخلها.

فسألت عن التنظيمات الكردية، فقالوا: هناك مهجع لتنظيم كاوا، ومهجع لتنظيم رزغاري، بمعنى الخلاص

وكان مسؤول تنظيم رزغاري واسمه نسيم يامان قد جاء إليّ، وكان قد سمع عني من خلال قراءتي لكتاب تقارير المعتقل، وعرف أنني أنتمي إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني وأني تعرضت لأذى شديد

فأخذني إلى حجرته أنا ونسيم يامان ونديم باران وأيهان بينغول وإبراهيم بينغول. كنا معاً في منفردة أو في حجرة واحدة، وانضمت إلى كومين هؤلاء الرفاق، وكانوا يساعدونني في كل موضوع، ولم يكن هناك أي فرق بينهم وبين رفاقي في التنظيم.

وأنا أدين لهم بكرمهم وتضامنهم، وأقول شكراً لكم رفاقي

والمنتمون إلى حزب العمال الكردستاني في سجن ديلوك كانوا يعرفونني جيداً، ولم يكن بيدهم أي شيء يدينونني به. وكثير من المعتقلين هناك قد سمعوا بي.

وطبعاً كان حزب العمال الكردستاني ضد حزبنا وضد مواقف حزبنا، وكان يأخذ مواقف قاسية في هذا السياق، لأنه كان قد تعارك معهم في عدة مناسبات

وقالوا إنهم لا يأخذون اسم إبراهيم غوروز ضمن اعتبارهم في المنصات والاتصالات، وأنا أجبتهم: الحزب الذي لا يعترف بحزبنا، وأنا أيضاً في المقابل لا أراهم ممثلين لي

وجميع الأفراد في التنظيمات كانوا يعرفونني كممثل عن الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكانوا قد تجاهلوا أيضاً موقف حزب العمال الكوردستاني السلبي تجاه الحزب الذي أنتمي إليه

في معتقل ديلوك كما أسلفت، كان ثمة العديد من المعتقلين من شتى التنظيمات. وفيه كان أيضاً نفق قد تم حفره، وكانت القيادة تريد تقليص حريتنا. ونتيجة مواقف الرفاق الصارمة لم تستطع إدارة السجن أن تبدي أي تقدم.

بعد عدة أشهر قامت إدارة الدولة التركية باستقدام بعض من المساجين بغرض نقلهم إلى مكان آخر، وهو سجن إسكشهر وتم نقل جميع السياسيين من معتقل ديلوك إلى سجن إسك شهر، واستُجلب العديد من المعتقلين إلى هذا السجن

عندما تم أخذنا إلى سجن إسكشهر، كان السجانون قد حضروا وجهزوا أنفسهم. وعند فتح السلاسل أو الكلبشات عن أيدينا، أخذونا واحداً واحداً، وكان أربعة إلى خمسة من السجانيين يقومون بضرب كل معتقل، بأسلوب “حفلة الاستقبال” بالركل والسحل

وألقونا إلى المهاجع ونحن على هذه الحالة، والدماء تسيل من أفواهنا وأنوفنا. وبلا شك، جميعنا قاومنا ودخلنا في طور المقاومة.

وعندئذ، ونتيجة الضرب، استشهد اثنان من المعتقلين في معتقل إسكشهر.

وكان يُوصف كسجن يحوي 500 شخص، ويتألف من عدة أجنحة. وكانت طريقة التنظيم أن يُوضع المعتقلون بشكل مجموعات، ثلاث أو أربع أو واحدة واحدة.

وكانت المهاجع أشبه بمعتقل ديلوك. وكانت الساحة أو الإيوان أو الممرات ضيقة جداً، والغرف تقريباً مترين بمترين، أشبه بالفقفس، والسقف حديدي.

ومن أجل التعرف على بعضنا البعض كنا نضطر إلى الصراخ بصوت عالٍ حتى نسمع أصوات المساجين الآخرين في الطرف المقابل، وبهذه الطريقة كان المساجين يتعرفون على بعضهم ومن أجل التنديد بهذا التعذيب قمنا أيضاً بالإضراب عن الطعام، وهذا ما سُمّي بصيام الموت.

ونتيجة استمرار الإضراب، حاولت المنظمات الحقوقية وكذلك هيئة الأطباء التقصي عن أحوال هذا السجن. نظروا إلى وجوهنا وهيئاتنا وأثار الضرب علينا، وأعدوا تقارير في ذلك.

فقام اتحاد الأطباء الأتراك بزيارتنا ورؤيتنا، ورغم ذلك لم يصدر أي تقرير يترتب عليه عقوبات بحق الأطراف التي قامت بهذا الاعتداء على المساجين.

وكان نظام الشدة أو نظام التعذيب يمارس في عموم تركيا، فكان التعذيب يتم بشكل منهجي رغم ادعاء الدولة التركية أنه لا

يوجد تعذيب منهجي وإنما هناك تجاوزات فردية فقط. أما منظمات حقوق الإنسان وهيئات النضال الحر والتنظيمات الديمقراطية فقد أصدرت بيانات منددة بذلك التعذيب.

وفي سجن إشك شهر بعد ذلك، ونتيجة هذه التقارير، قاموا بنقلنا مجدداً إلى معتقل بلوك.

وعندما أعادونا إلى معتقل بلوك كانت صحتي سيئة، وخاصة ركبتي، إذ كانت قد عانت نوعاً من الورم أو العقدة الورمية، وكان من الضروري إجراء عملية جراحية لها. فطلبت من إدارة السجن والوزارة إجراء العملية، لكنهم لم يردوا علي.

وأردت أن أرسل بعض الرسائل إلى بعض الرفاق المقيمين في السويد، وإلى عضو من لجنة حقوق الإنسان كان معروفاً بأنه صديق للكرد واسمه إيدنا بيترسون. فقام بكتابة رسالة إلى وزارة العدل التركية.

وبعد شهر تم إرسالني إلى مشفى في أنقرة من أجل إجراء عملية للركبة. وقبل يوم العملية أخذوني إلى معتقل ماماك في أنقرة، وبعد أن أبقوني خمسة أيام في مهجع كورتولوش، قاموا بإجراء العملية لركبتي، وقد تمت بنجاح.

وبعد خمسة أيام أخذوني مجدداً إلى المعتقل، واعتقدت أنهم سيرسلونني إلى سجن ماماك، لكنهم قالوا إننا سنأخذك إلى معتقل آخر اسمه مكريسة، ولا أعلم لماذا لم يرسلوني إلى سجن ماماك.

لأن رفاقي وعائلي كانوا يعلمون أين أنا، ولربما كانوا يعتقدون أن بعض الأصدقاء أو الرفاق سيحاولون إخراجي أو تحريري من السجن.

وفي سجن مكريسة وضعوني ضمن معتقلي تنظيم دوفول، وبقيت هناك خمسة أيام. وعندما ذهبت مع هؤلاء الرفاق إلى الساحة، رأيت العجب: كانوا يراقبوننا بأسلحة وبعساكر مسلحين، وكانوا ينظرون إلينا بهذه الطريقة.

وبعد ذلك، ومن أجل تحسين ركبتي التي أُجريت لها عملية، أخذوني إلى مدينة أضنة في معتقل أضنة.

كنت مع مؤيدي حزب الدابسولي، وكانوا شباباً على درجة من النشاط والحيوية والجودة. وعندما كان التحضير للاحتفال بعيد العمال العالمي، كان قد تم اعتقالهم وضربهم وتعذيبهم.

واحتفلت معهم بمناسبة عيد العمال داخل المعتقل. ومن أجل الاحتفال بتلك المناسبة أحضروا لنا بعض البسكويت والكوكا، وقمنا بأداء نشيد العمال معاً كمعتقلين.

وكان المعتقلون الذين يُسمّون عدلي قد انبهروا أو سُروا بوجودنا، وقالوا لنا: هأنتم معنا. وكذلك كانوا ينادوننا: أيها الإخوة السياسيون، لدينا أمنية لكم، الشباب الذين هنا يكادون يتعرضون للخلل من شدة البرد.

وكانوا يتحدثون إلينا بطريقة تشعرنا أنهم طيبون وبسطاء. وأجابهم شاب منا: نحن نشكركم، لا نحتاج إلى شيء، اليوم هو مناسبة عيد اتحاد العمال العالمي.

وفي المستشفى، بعد العملية، سألوها: هل جرت عملياتك بشكل جيد؟

وعندما عدت من هؤلاء الشباب الأنقياء شعرت بحزن كبير

وعندما رجعت إلى سجن ديلوك الخاص، قاموا بنقلي إلى معتقل أرمنكي. وهناك كان رفاق من حزب الديمقراطية الكردستانية وتنظيم كاوا وتنظيم كوكوشين، وكنت برفقتهم.

ولأن مدة عقوبة السجن لم تكن قصيرة ولم يبق عليها شيء، أخذوني إلى سجن هاتاي. وكان مدير السجن يعرفني منذ أيام اعتقالي في معتقل ديلوك، وكان في ديلوك نائباً، وكان يتواصل مع المعتقلين السياسيين ويأتي أحياناً ليشرب الشاي عندنا، وكان يريد أن يظهر نفسه بصورة الإنسان المرن والجيد

لقد سمعتُ الكثير عن القسوة التي يُعامل بها المعتقلون السياسيون في سجن أنطاكيا، ورغم ذلك، لم تكن علاقتي مع جميع معتقلي حزب العمال الكردستاني سيئة

فقد وُجد بينهم من كان يتعامل بطيبة وحسن نية، وهؤلاء أذكرهم بكل احترام، وكنت أتحسر في نفسي قائلاً: يا للأسف، ليت هؤلاء لم يتبعوا تلك القيادات

نبهني أحد الرفاق من حزب العمال الكردستاني قائلاً: "انتبه، عندما يخاطبك السجن، فإنه عادةً ما يحمل معه خيزرانة أو سوطاً". وأكد لي بقية الرفاق هذا التنبيه، محذرين من أن السجن قد يبادر بالأذى في أي لحظة. وبفضل هؤلاء الرفاق، بدأت أفهم طبيعة من حولي.

كان بعض الرفاق قد سُجنوا سابقاً في سجن "آيدنا"، وهو السجن الذي تعرضتُ فيه للضرب المبرح، فاعتقدتُ أن السجائين هنا قد يحاولون الانتقام لزملائهم. وفي إحدى المرات، دخلتُ الغرفة ليحاصرني مجموعة من السجائين، وحين رأيتُ المدير ذهلتُ؛ فقد كان هو نفسه صديق "نائب السجن" الذي وجهتُ له لكمةً أدمته وأفقدته الوعي في سجن سابق.

رأيتُ في عينيه نظرات الحقد والكراهية، وسألني بحدة: "كيف تجرأت على ضرب نائب المدير في سجن آيدنا؟ إن من ضربته كان صديقي وزميل دورتي". ثم أردف مهدداً: حينها كانت محكوميتك طويلة، أما الآن فقد قصرت

أجبتّه بهدوء وثبات: "هل استدعيتني لهذا السبب فقط؟".

لم أكد أتمّ جملتي حتى نهض من كرسيه واندفع نحوي مخفياً عصاه خلف ظهره ليضربني. لم أكن أنتظر غدره، ولكن بمجرد أن اقترب مني، جمعتُ كل قوتي ووجهتُ له ضربةً قوية على فمه

في تلك اللحظة، هجم عليّ جميع العناصر وانهالوا عليّ بالضرب المبرح حتى فقدتُ وعيي. كنتُ في حالة تشبه الموت حين ألقيتُ في زنزانة منفردة مظلمة وعميقة. ولأنني كنتُ غائباً عن الوعي، لم أشعر بوطأة ضربهم حينها، ولكن عندما استيقظتُ في تلك العتمة الدامسة، وحاولتُ الوقوف، استجاب جسدي بصدمة الألم، وبدأتُ أشعر بالأوجاع تنهش كل جزء فيّ شيئاً فشيئاً

اعتقدت أنهم وضعوني في منفردة عميقة، ولم أكن أرى بوضوح كيف أتحرك. لم يكن هناك باب واضح كما توقعت. كنت في حالة تشبه العمى، لا أعرف كيف أمشي، فكنت أصطدم بالجدران يميناً ويساراً

وعندما بدأت أميز وجود نافذة وباب، قمت بالطرق على الباب، فتحت سجان الباب فجأة، وأضاءت الغرفة. كان يتصرف وكأنه لا يدرك شيئاً

قال: جلبت لك الماء والطعام

طلبت منه أن يشعل ضوءاً في الغرفة، فقال: لا يوجد ضوء، ولا توجد لمبة في هذه الحجرة. لديك يومان في هذه المنفردة، وبعد انتهاء المدة سيتم نقلك إلى سجن ساكاريا.

وقال لي: أنا سجان جديد هنا، ولا أعرف لماذا وضعوك في هذه المنفردة

فقلت له: حسناً، أعطني هذا الخبز والماء، وسلّمه لمدير. وقلت له إن ما حدث معي لن يمر دون حساب، وسيتم دفع ثمنه.

عندما نقلوني إلى غرفة المدير، كان هناك جهاز تسجيل بيد أحد السجانين. وتعرض المدير لاعتداء مني في لحظة غضب

وبعد بقائي يومين في تلك المنفردة المظلمة، تم نقلي إلى سجن ساكاريا المغلق، دون أن تُفرض عليّ محكومية جديدة، بل كان ذلك وفق قرارات وزارة العدل، كنوع من النفي بين السجون

حتى ذلك الوقت كنت قد نُقلت إلى ثمانية معتقلات وسجون، إضافة إلى ثلاثة أخرى، ليصبح المجموع أحد عشر معتقلاً وسجناً

ويجب أن يفهم ذلك جيداً من قبل أعضاء ومؤيدي الحزب الديمقراطي الكوردستاني، فكان لكل من يمر عبر تلك السجون بصمته وأثره في المكان الذي يصل إليه، وكنا نُعرف بالجسارة والشجاعة والإباء

بعد أن قضيت خمسة عشر سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً في المعتقلات تم إطلاق سراحي. امتلأت ذاكرتي بمئات الذكريات الدرامية. وعندما تحدثت عن ذلك مع بعض الأشخاص لم يتمالكوا أنفسهم من الدموع، وأرادوا مني أن أكتب مذكراتي

وبعد أن كنت في معتقل ساكاريا تم إطلاق سراحي من هناك، وبدأت الزيارات تأتي إليّ. والتقيت بـ زوجة نديم باران. وعندما التقينا وذهبنا معاً إلى تلك الزيارة ذُهل الرفاق بعد زيارة قصيرة

ومن أجل أن يتحدث الزوجان بحرية تنحيت جانباً. وعندما انتهت الزيارة تحدثت مع بعض السجناء، فقالوا لي: ما عملك هنا؟ السجن الذي يقضي محكوميته خمسة عشر سنة يذهب لزيارة عائلته

فقلت لهم: وهذا المعتقل لديكم هو أيضاً عائلتي. وعند سماعهم لهذه الإجابة صمتوا

وعندما انتهت الزيارة دعوت الأخت زينب إلى الطعام، ولم أكن أعلم وضعها الاقتصادي. فقلت لها: بما أنني أنا صاحب الدعوة

فلا يجب أن تفكري بالمال. صحيح أنني خرجت من السجن، إلا أنه لدي مال.

فجلسنا على المائدة، وتناولنا طعاماً من السلطة والخضار ولحم الدجاج. وعندما انتهينا قمت بإعطاء مئة ليرة للنادل، فاستغرب مني، وكأنه قال إن هذا أكثر من قيمة الطعام، وشعر بالحرج وقال لي: أخي، إما أنك قد أتيت من الجبل أو بقيت طويلاً في السجن

فأجبتة: بقيت مدة طويلة في السجن

فقال: ليكن هذا الطعام على حسابنا، ولم يأخذ مني المال رغم إصراري على الدفع، فكان الأمر بلا جدوى. وعرفت أن صاحب المطعم والنادل كوردي، فشكرته على حسن الاستقبال وخرجت وفي إسطنبول ذهبت لزيارة أختي المتزوجة، ثم ذهبت بعد ذلك إلى قوسر. وكنت قد طلبت من أختي ألا تخبر أُمي بخروجي من السجن.

وأثناء الطريق كانت عيناى تنتقلان بين الطبيعة الخلابة. وكنت أسأل نفسي: كيف سأستطيع تعلم الحياة بعد هذا السجن الطويل؟

قبل خمسة عشر سنة كنت أعرف مدينة قوسر شبراً شبراً، ورأيت التغير الذي شهده الشارع والحي القريب من بيتنا. كانت هناك أبنية جديدة قد بُنيت. كنت سابقاً أُنقل هنا وهناك، لكنني

شعرت أنني قرب البيت، ومع ذلك لم أكن أعرف أين هو بيتي
بالضبط

في الساعة السادسة صباحاً قلت في نفسي: في هذا الوقت أترك
أي باب. ورأيت امرأة تستيقظ لصلاة الصبح وتنظر إليّ. كانت
تراقبني وتلاحظ اضطراب حالتي، وعرفت أنني أبحث عن
شيء. فتحت الباب ونادتني: بني، بني، هناك صوت دبابة، تعال
إلى الداخل، إذا رأوك الله يعلم ماذا سيحدث لك. أدخلتني إلى
الداخل وأغلقت الباب

وبالفعل كانت ثمة دبابة تمر في ذلك الشارع. بدأت المرأة
تتفحصني، ونظرات الشك تملأها، لكنها كانت نظرة رحيمة في
الوقت نفسه. وشعرت بحالة وجدانية تجاه موقفها، وكنت أراها
امرأة كوردية وطنية تحاول حمايتي.

وبوجه ذاهل وصوت متألم سألتني: بني، في هذه الساعة
المبكرة ما عملك هنا؟

قلت لها الحقيقة: أنا أبحث عن بيت، لأنني لا أستطيع أن أراه أو
أعثر عليه

قالت: بني، هل أنت غريب هنا؟ هل تعرف هذه الأماكن؟ قل لي
الحقيقة وسأساعدك

قلت: أنا أبحث عن بيت شمسة

سألتني بشك: لماذا تبحث عن بيت شمسة؟ أنا لا أعرف أحداً
بهذا الاسم هنا

ثم نظرت إليّ بخوف وبدأت تشك في الأمر. عندها قلت لها الحقيقة: أنا ابن شمسة إبراهيم

عندما قلت ذلك، دمعت عيناها، واحتضنتني وقبلتني، وقالت بفرح: حسناً بني، سأخذك إلى بيتك عند أمك.

هذه المرأة هي جارة أمي وتدعى سعاد جليك علاوة على أنها جارة أمي، كانت هي وأمي مثل الأخوات.

قبلت يديها وأخبرتها: عندما أذهب إلى بيتي لا تقولي لأمي إني إبراهيم. كان قد مر عام وأنا وأمي لم نلتق، وعيناها أيضاً لم تعد ترى جيداً

قلت لخالتي سعاد: ألا تعلمين أن أمي مصابة بمرض القلب؟ إذا قلت لها فجأة إن إبراهيم هنا لا سمح الله قد تتعرض لنوبة قلبية. قولي لها أولاً إنه صديق ابنك الذي في المعتقل، واتركي الباقي عليّ

عندها أشارت لي إلى بيتي. قلت للمرأة: لقد مررت إلى هذا الطريق ثلاث أو أربع مرات

نظرت إليّ المرأة، وامتلاً قلبها حرقة، واغرورقت عيناها بالدموع. طرقت الباب، وقفنا لبرهة، ثم طرقت الباب مرة أخرى بقوة ونادت أمي

قلت لها: لا تسرعي، اهدئي، ربما تكون أمي قد ارتدت ثيابها

قالت أمي: بني، في هذا الصباح الباكر، إذا جاءت متصفحة الشرطة ورأتك أخاف أن تعتقلك، لهذا أنا مستعجلة

عندما فتحت أُمِّي الباب رأَنتني ولم تتعرف علي لأن عيناها لا ترى جيداً وقالت لصديقتي سعاد: من هذا؟ من هذا الشخص؟
لم تتمالك المرأة نفسها، فبكت وقالت: هو صديق ابنك، جاء من عنده ويريد أن يراك.

دخلنا إلى الداخل.

قلت لأُمِّي: إذا تعطيني الإذن أريد أن أقبل يديك بدلاً من ابنك إبراهيم.

قبلت يديها، وهي قبلتني، وقالت أُمِّي: قل لي متى سيخرج إبراهيم؟ هل سأراه قبل أن أموت؟

شعرت بألم عميق، ورقّ قلبي على حال أُمِّي، فقلت لها: إما اليوم أو في الصباح سيأتي إليك

قالت لي أُمِّي: بني، لربما لم تأكل طعاماً ساخناً منذ زمن بعيد. أنت كابني، لقد أعددت ورق العنب وأريد أن أسخنه لك. كُل جيداً، ثم اذهب إلى بيتك بعدها، عائلتك بانتظارك. هل رأيت أمك وأباك وأختك وإخوتك؟

قالت سعاد: لم تتمالك نفسها، وأرادت أن تقول لها إن ابنك أمامك، فأشرت لها ألا تقول لها

لكن المرأة لم تتمالك نفسها، فبكت وقالت: شمسة

وعندما قامت أُمي بتسخين ورق العنب ووضعته أمامي، فتحت
أختي الباب ودخلت. عرفتني أختي وبكت من شدة الفرح ولم
تقل شيئاً

ثم قلت لأُمي: إذا جاءك ابنك الآن لا تستغربي ولا تنصدمي

وعندها قلت: أُمي، ألم تعرفيني؟ أنا ابنك إبراهيم.

وفوراً ارتمت عليّ، حضنتني وقبلتني، وبدأت بالبكاء. وعاتبت
جارتها وابنتها قائلة: عيناى لم تعد ترى جيداً، وقد مرّ عام على
هذه الحالة، لذلك لم أعرفه، لماذا لم تقولوا لي؟

في تلك اللحظة كان هناك هيجان وسعادة، وفي تلك الهنيهة لم
أنس بهجة وسعادة أُمي. شعرتُ بفرح كبير رغم أنني كنت لا
أزال على قيد الحياة بصعوبة.

أنا على يقين أن كل رفيق خرج من السجن عاش تلك الفرحة.
فالوطنيون الكورد أمام العدو يقفون بفخر. والذين صنعوا
هؤلاء الوطنيين الكورد ليقفوا أمام العدو بكل فخر هم الأمهات

فموقف الأخت سعاد وموقف أُمي، لو شاهدتم هذا الإباء والحذر
وهذه الغبطة، لتيقنتم جيداً أن الأولاد والأحفاد سيصنعون ذات
يوم كوردستان مستقلة.

بعد أن قضيت لحظات البهجة مع عائلتي وأصدقائي، ذهبت إلى
بيت صديقي الشهيد خطيب قاپچاك، وكانت زيارتي له بمثابة
دين على رقبتي.

قمت بتلك الزيارة، وتحدثت مع عائلة خطيب عنه وعن مآثره.
وكنا أنا وخطيب في ذلك المعتقل، وكنا فخورين بعائلتنا وبرفاقنا
أيضاً

خطيب، الذي كان في سجن آمد كباقي الأعضاء وقياديي الحزب
والتنظيمات الأخرى إلى جانب التنظيمات اليسارية التركية، لم
ننح أمام العدو، وحتى النهاية قاومنا لنُبقي شعبنا فخوراً بنا،
وهم مصدر كرامتنا

كان خطيب أحد الوطنيين الذين أقسموا على أن يكونوا أوفياء
لوطنهم وشعبهم، ولهذا استشهد خطيب بعد مقاومة باسلة،
ليبقى خالداً في دواخلنا، ونمضي على طريقه ما بقي من حياتنا

في مدينة كولن الألمانية، وتحديداً في إحدى الكافيتيريات التي
يرتادها أبناء الجالية الكردية، كان صاحب المكان من كورد
مدينة "قونيا"؛ رجلاً وطنياً ربطتني به علاقة طيبة وحميمة.
وبينما كنت أحتسي الشاي هناك، لفت انتباهي شخص يجلس
بمحاذاتي، يرمقني بنظرات يملؤها الحزن.

بعد لحظات، استأذن واقترب من طاولتي قائلاً: "مرحباً.. أنا
أعرفك، لقد رأيتك في مكان ما". أجبتُه بنوع من الاستغراب:
"لا تسعفني ذاكرتي الآن، لا أظن أننا التقينا". لكنه فاجأني
بسؤاله: ألسنت أنت إبراهيم غوروز؟ ألم تكن سجيناً في معتقل
أيدين؟

ذهلتُ لسماع الاسم والمكان، وشعرتُ للحظة وكأنه كان رفيق
 قيد، لكن ملامحه لم تكن مألوفة لي. وبينما كنت غارقاً في
 تساؤلاتي، قطع حيرتي بقوله

اسمي عمر يلز، كنت عسكرياً في سجن أيدين حين كنت أنت
 معتقلاً هناك. أتذكر ذلك النفق الذي حفرتموه وكان يطل على
 الشارع؟

استرسل عمر والدموع تترقرق في عينيه، كاشفاً عن جرح في
 ضميره لم يندمل:

أخبرنا أحد قادة فرعنا — وكان من قوات الحرب الخاصة — "
 أنكم 'إرهابيون وقتلة'، وأنكم حفرتم نفقاً للهروب. أصدر أوامر
 صارمة بضربكم والتكيل بكم في الزنازين، وهددنا بلهجة
 حاسمة: العسكري الذي لا ينفذ الأوامر سأحرقه في مكانه. لم
 يجرؤ أحد منا على المخالفة. سلحونا بالعصي والهراوات،
 وأعطونا أرقام الزنازين التي سننفذ فيها عمليات التعذيب،
 وكان مهجعكم من بينها.

توقف عمر قليلاً، ثم تابع بصوت متهدج:

منذ تلك اللحظة وأنا أعيش عذاباً وجدانياً لا يطاق. كنت أعلم
 في قرارة نفسي أنكم مثلي، كورد تدافعون عن لغتكم وثقافتكم
 وحقوقكم الوطنية. والآن، وأنا أقف أمامك، لا أعرف ماذا
 أقول.. لقد كنتُ عسكرياً محترفاً نفذ التعليمات بدافع الخوف
 على خدمته ومستقبله، لكنني أدرك اليوم حجم الجريمة
 الإنسانية التي ارتكبتها بحقكم

سألته بدهشة: "من أين استمدت الشجاعة لتعرفني بنفسك وتكشف لي هذا الماضي؟".

أجابني بصدق:

-لقد قمنا بضربكم واضطهادكم، وعرفتُ لاحقاً أن الدولة هي من كانت تعتدي عليكم بأيدينا، ليتني كنت أملك القوة حينها للانتفاض في وجوههم. أنا اليوم أحجل من نفسي، ونادمٌ أشد الندم، وما اعترافي لك الآن إلا محاولة بانسة ليرتاح ضميري ويتحرر وجداني من ثقل ذلك الذنب.

ولأجل ذلك، ولأنني قلت لك هذا الكلام، آمل أن لا أوضع في موقف لا يحسد عليه أنا وعائلتي. نذهب إلى تركيا ونعود. عندما خدمت في الجندية، قامت الدولة بارتكاب الجرائم بيد أمثالي، وكانوا يأخذوننا إلى الجندية قسراً، ويقولون لنا إنكم تدافعون عن وطنكم، بينما لم يكن ذلك هو الحقيقة. كانوا ينفذون أعمالهم بحق شعبنا، ولكن بأيدينا

فقلت له: حسناً، ما الذي يجعلك تتذكرني حتى الآن؟

قال: كان اسمك في قائمة الأسرى، لذلك ما زلت أتذكرك، وكذلك اسمك واسم رفاقك

قلت: هل أسماء رفاقي أيضاً في ذاكرتك؟

قال: لا. لكن عندما كنا نقوم بتعذيبك وتعذيب رفاقك ونقلكم إلى المنقرات، كنت أتذكر ذلك حتى الآن، وكأن تلك اللحظات تعود أمامي. عندما كنا أنا ورفاقي في نفس الدورة نقوم بتعذيبكم،

كنتم تهتفون، وكان لذلك تأثير علينا. كان بعض العساكر يتلذذون بتعذيب المعتقلين السياسيين، وكانوا بيننا أيضاً. ولا شك أن أسماء الكثيرين ما زالت موجودة في أرشيف الدولة.

-النزاع بين حزب العمال الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني في شمال كردستان:

بدأ هذا النزاع في منطقة سري كانيه في شمال كردستان، ومن هناك انطلقت عمليات ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني. وكان يُقال إن كمال بير وبعض القادة مثل فيصل دولونيجي ويلماز وشاري وأوسمان أردال كانوا ضمن المجموعات التي شاركت في تلك الهجمات على الحزب الديمقراطي الكردستاني.

ومنذ سنة 1979 كان هناك مخبرون تابعون للدولة في سري كانيه، وكانوا يقومون بتأهيل وتدريب بعض الكوادر أيديولوجياً. وهذه الكوادر كانت تنظم نفسها بشكل جيد، ومن هناك بدأ حزب العمال الكردستاني ببناء ارتباطاته مع جماهيره ومؤيديه.

في تلك الفترة لم تكن هناك علاقة توافق واضحة بيننا وبين قادة حزب العمال الكردستاني، ولهذا كان الحزب يلجأ إلى خيار التصفية الجسدية، وقاموا بقتل عدد من أعضاء وقيادات الحزب الديمقراطي الكردستاني، لأننا كنا نرفض مواقفهم

وسياساتهم تجاه التنظيمات الأخرى. وفي البداية لم يكن لديهم دعم واسع، فقاموا بتهديد البعض بشكل فردي، وربطوا أيدي وأقدام بعض الأشخاص، وعذبوهم ثم تركوهم لاحقاً

وعلى إثر تلك الهجمات، ومن أجل أن نحمي أنفسنا ونحمي مؤيدينا من الطبقة العمالية، قام بعض من أنصار حزب العمال الكردستاني بالتعرض لشاب منتب إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني، حيث قاموا بضربه بشدة وأخذوا سلاحه أيضاً

وعندئذ أخذوا يعترضون طريق الآخرين أيضاً، ومن بينهم خالد أكاغودوز، فقاموا بمجادلته ثم شتمه، وحاولوا ضربه أيضاً. ومن أجل أن يحمي نفسه ويدافع عنها، قام برفع سلاحه وإطلاق الرصاص باتجاههم، فتم جرح مصطفى جوشمان بشكل خفيف.

وفي ذلك اليوم، كان أربعة من أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذين لم يكن لديهم علم بالحادثة، يذهبون إلى بيت بياز كولا، الذي كانت له علاقة بالحزبين معاً، وكانوا يريدون الاستفسار عن حقيقة الحادثة التي وقعت، وهي أن بعض أعضاء حزب العمال الكردستاني قاموا بضرب ذلك الشخص وأخذ سلاحه منه.

فقام بوضع كمين لبعض أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأصابوا بعضاً من مناصريه.

وفي صباح اليوم التالي قاموا باعتراض طريق خالد أكاغودوز، وكان عمره سبعين سنة، وقاموا بثقب جسده بالرصاص وقتلوه.

وفي اليوم الذي بعده اعترضوا مسؤولاً آخر اسمه مراد أوزبك، ونفذوا كميناً بحقه وبحق ابن أخيه البالغ من العمر ستة عشر عاماً، وقاموا بجرحهما معاً بالرصاص

وفي تلك اللحظة، وفي منطقة سري كانيه، لم يطلق الحزب الديمقراطي الكردستاني أي رصاصة بحق أحد.

وعندما اشتعلت الأحداث في سري كانيه بين الحزبين، قام حزب العمال الكردستاني بتسليح أعضائه في قوسر وأماكن أخرى، واعترضوا طريق أنصار الحزب الديمقراطي الكردستاني، وقاموا بجرحهم وقتل بعضهم، وبدأت عملية تطهير المنطقة من كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني.

وعلى الرغم من تلك الهجمات، لم يحدث أي هجوم من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني على حزب العمال الكردستاني، ولم تكن هناك في خطة الحزب أي محاولة لردة فعل أو لتطهير المنطقة على غرار ما كان يفعله حزب العمال الكردستاني تجاه كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني

أما الأحزاب التي حاولت التوسط بين الحزبين المتنازعين، فقد كان الحزب الديمقراطي الكردستاني يقبل وساطتها، لكن ذلك لم يكن يحدث من جانب حزب العمال الكردستاني، الذي كان حزباً عدائياً وكان دائماً مع خيار العنف

وذاًت يوم جاءت هيئة من كبار السن من مدين من أجل
التوسط بين الحزبين، وقالوا لقادة الحزبين: نحن جاهزون بلا
قيد أو شرط للتوسط من أجل إنهاء النزاع والعنف بينكم

وكان هناك ممثل لحزب العمال الكردستاني يُدعى أويسي
جولزل، قام بوضع قائمة بأسماء قادة وأعضاء الحزب
الديمقراطي الكردستاني، وقال إن هؤلاء يجب أن يتم تسليمهم
لنا، وهذا شرط من أجل وقف القتال.

وفي قرية شيبية التابعة لمنطقة ديرك، كان هناك عضوان من
أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني، وقد سمعا أن بعض
مسؤولي حزب العمال الكردستاني قالوا إنه قد تم اتخاذ قرار
بتطهير المنطقة منهم

كان هدف الذين انضموا إلى كل من الحزب الديمقراطي
الكردستاني وحزب العمال الكردستاني هدفاً قومياً، وهو
الخلاص من الاضطهاد والظلم، والعيش بحرية واستقلال،
ولهذا كانوا ينتمون إلى هذين الحزبين، إلا أنهم لم يكونوا
يدركون ما الذي يجري فعلاً

وعندما ربطوا مصانرهم بإرادة هؤلاء القادة، فإن ذلك يفسر
حالة الجهل والتبعية العمياء وعدم معرفة ما كان يحدث خلف
الكواليس

لكن هناك حقيقة لا يجب إنكارها، وهي أن قادة الحزب
الديمقراطي الكردستاني كانوا يحاولون تجنب الوقوع في
الحرب، إلا أنهم أخطأوا في التصرف حيال الانقلاب العسكري

الذي بدأ في تركيا، ولم يكونوا يقرؤون الموقف والأحداث بشكل جيد.

ولم يكن الحزب الديمقراطي الكردستاني في جاهزية للتنازل سواء أمام حزب العمال الكردستاني أو أمام الدولة التركية أما أوجلان، ومن أجل أن يظهر نفسه ممثلاً للشعب الكردي، فقد أراد حزب العمال الكردستاني أن يبنى مشروعه تحت شعار حرية الشعب الكردي وكوردستان المستقلة، فانخدع الشعب الكردي بهذه الأهداف، وسلم أبنائه وأطفاله لأوجلان ولحزب العمال الكردستاني

لكن أوجلان، بحسب هذا الطرح، قضى على آمال وأحلام هذا الشعب، وقام بالتخلي عن أهدافه القومية، وقلّد التجربة والإيديولوجية الكمالية، وهو ما جعل الشعب الكردي يعيش الاضطهاد والاستعباد مجدداً

ولهذا، تم التخلي عن كل شيء والاستسلام للدولة بلا قيد أو شرط، والتخلي عن مبادئ وقيم الشعب الكردي لصالح إرادة الدولة.

شهادات وآراء عن الكتاب

-جلال يشار :

في قضية تتعلق ب حزب العمال الكردستاني في منطقة العزيز، تم استجوابي. كنا معتقلين في سجن العزيز، ثم جرى نفينا من هناك، وبعد ذلك نُقلنا إلى سجن آمد. وقبل وصولنا إلى سجن آمد، كنا نعلم يقيناً بما يجري داخل أروقة هذا المعتقل. كان مجرد ذكر اسم سجن آمد يثير الخوف والقلق بين المعتقلين

رفاقي الذين كانوا معي في سجن العزيز تم توزيعهم على المهجع 35 والمهجع 33، أما أنا ومعي نحو عشرين شخصاً فقد أخذنا إلى المهجع 35 داخل قسم المنفردات. هناك قاموا بتعريتنا وضربنا بطريقة وحشية ولا إنسانية، ثم أغلقت علينا أبواب الزنازين الانفرادية. وخلال تعذيبنا، كان المعتقلون السياسيون داخل تلك الزنازين يعبرون بسرعة عن تضامنهم ومواقفهم

في ذلك الوقت لم يكن لدينا قادة نعتمد عليهم أو نهتف بأسمائهم أو نمجّدهم. وبعد أن انتهوا من ضربنا، قاموا برش الماء علينا، بل وحتى التبول علينا. وكانوا يقولون لنا باستمرار: إذا اعترفتم بجرمكم واستسلمتم فسيتم الإفراج عنكم

في الخامس من أيلول عام 1983 دخلنا جميعاً في إضراب عن الطعام، وكنا قد اتخذنا هذا القرار جماعياً قبل وصولنا إلى سجن

آمد. أما الادعاءات التي كان يروج لها حزب العمال الكوردستاني، بأن الجميع قد استسلم واعترف وخضع، فقد سمعناها جيداً وعرفنا أنها مجرد دعايات لا أساس لها من الصحة، ولم تكن سوى دعاية سياسية لصالح التنظيم نفسه

وبسبب شدة التعذيب والأذى الذي تعرضت له، لم أعد قادراً على المشي، وانهارت حالتي النفسية تماماً، حتى إنني أصبحت أفكر بالموت أو الانتحار. نعم، كانت هناك مقاومة وانتفاضة داخل السجن، لكن لم يكن هناك أي دعم حقيقي أو مساندة خارجية من قبل التنظيمات للمعتقلين في الداخل

وبرأيي، فإن الأشخاص أصحاب القيمة الحقيقية لم يكن يُعترف بهم في حياتهم، لكن بعد موتهم كان يجري تمجيدهم ورفع شأنهم، ولا أريد التوسع أكثر في هذه النقطة

بعد ذلك نُقلت إلى المشفى، واستمر علاجي هناك لمدة شهر كامل كنا نتعرض في سجن آمد إلى مختلف أشكال الضغط والألم والمعاناة.

وكلامي الأخير هو أن كل من لم يعترف تحت تلك الظروف كان إنساناً مباركاً بحق. لقد كنا في وضع لا يُحسد عليه، وضع بالغ القسوة، وقد فقدنا الكثير من الأشخاص الطيبين والرائعين. ومع ذلك، لم يجعلنا كل ذلك ننحني أو نستسلم، بل بقينا نشعر أننا مدينون لشعبنا، ومدينون له بالكثير.

محمد أمين طويسز:

لقد كنت معتقلاً في سجن آمد، وذقنا هناك مختلف أشكال
الويلات والتعذيب. وكان هذا التعذيب يتسم بوحشية شديدة، إذ
إن الممارسات التي كانت تُرتكب بحقنا تجاوزت كل المعايير
الإنسانية والأخلاقية

في تلك المرحلة، كانت الحركة السياسية، بمختلف تنظيماتها
واتجاهاتها، تتعرض لقمع همجي ومنهجي. وكنا واقعين تحت
وطأة هذا القمع لأسباب عديدة تقف خلف ظلم الدولة لنا. الجميع
كان يُعامل بمنطق التكميم والقهر، ولم نكن ندرك بشكل كامل
خطورة الوضع الذي كنا نعيشه. كما أن عدم اتخاذنا للاحتياطات
الأمنية اللازمة وعدم استعدادنا الكافي جعلنا منا صيداً سهلاً بيد
الدولة

لقد تعرضنا لزيادات في الأحكام والمحكوميات، وبنفس التهم
المتعلقة بالتعامل مع الأحزاب والتنظيمات السياسية، وكانت
بعض الأخطاء التي ارتُكبت في ذلك الوقت سبباً مباشراً في
تفاقم معاناتنا. إضافة إلى ذلك، كان بيننا خونة ومتعاونون مع
الدولة، وهو ما فاقم حجم الأذى الذي تعرضنا له

ومع ذلك، فإن المقاومة داخل السجن تشكلت بفعل صمود
الجميع وإرادتهم التي رفضت الإذعان والاستسلام. ولم تكن تلك

الإرادة مرتبطة بتنظيم بعينه أو جهة محددة، بل إننا جميعاً،
على اختلاف انتماءاتنا، كنا متكاتفين ومتعاونين ومنسقين في
العصيان والانتفاضة داخل المعتقل

ولا شك أن الجميع ارتكب أخطاء، وقد دفعنا تلك الأخطاء إلى
أثمان باهظة. فكل شيء يمكن احتماله واحتاؤه، إلا الخيانة

-ديار بوداك:

لقد قضيت فترة قصيرة في سجن آمد، لكن مجرد الحديث عن
الاعترافات أو أوضاع السجن وما كنا نمرّ به ليس بالأمر
السهل، بل هو خيار بالغ القسوة والصعوبة. أما وصف
الوحشية واللاإنسانية التي تعرضنا لها، فهو أمر يتجاوز حدود
الوصف والكلمات، ويمكن الحديث عنه بإسهاب طويل من حيث
أساليب التعذيب وأدواته وأشكاله المختلفة

وباختصار شديد، يمكن القول إن ما مررنا به كان همجية فاقت
كل تصور، وكانت الدولة تمارسها بشكل ممنهج ومنظم. لم تكن
على مستوى الاستعداد لمواجهة تلك الوحشية، فلم تكن لدينا
تجربة سابقة، ولا تدابير وقائية أو تنظيمية تحمينا. وكان كل
واحد منا يواجه ذلك الظلم والأذى بصورة فردية ووحيدة

وفي ظل تلك الظروف، ظهرت أحياناً بعض مظاهر الأنانية بين
المعتقلين، ولم تكن الثقة متوفرة بالشكل الذي كان ينبغي أن

تكون عليه. كما أننا لم نكن قد طورنا آليات أو وسائل حقيقية لمواجهة ذلك الواقع القاسي

ومع استمرار ذلك القمع الهجمي المتكرر، بدأت المقاومة تتشكل تدريجياً، واتسعت جذوتها شيئاً فشيئاً. لكن الحقيقة أننا لم نكن جاهزين فعلاً لمواجهة سياسات العنف والهمجية تلك، رغم أن التضامن والتنسيق بين المعتقلين كان يمكن أن يخفف من أثر ذلك الظلم المنهجي ويفرغه من جزء كبير من تأثيره

في الواقع، كان الجميع تقريباً بلا تجربة سابقة، وكنا نتعامل مع الأمور بعفوية كبيرة. نعم، كنا نندد بالمخبرين والجواسيس، وكان هناك من يدعي المقاومة بينما كان البعض يُستثنى من المواجهة، كما أن وضع كل معتقل كان يختلف عن الآخر بحسب ظروفه وقدرته على التحمل

لكن الذين استطاعوا الصمود دون أن ينهاروا أو يتنازلوا أو يتعاونوا أمنياً مع الدولة أو يتحولوا إلى جواسيس لصالحها، كانوا بلا شك أشخاصاً مباركين.

-كنان هالا باي:

صديقي العزيز، لقد قمت بقراءة كتابكم في سجن آمد، والذي يحمل عنوان "في سجن آمد غادرت الحمايم أعشاشها". وقد تناولتم فيه الأحداث التي جرت داخل السجن بصورة إيجابية وواقعية.

إن الدولة، داخل المعتقل رقم خمسة في آمد، مارست أشكالاً من التعذيب فاقت كل تصور وكل حدود الإنسانية. وعلى مدى نحو

سبع سنوات قضيتها في سجن آمد، تعرضتُ شخصياً للتعذيب
ولضغوط شديدة، كما رأيت بأمّ عيني بعض كوادِر حزب العمال
الكوِردستاني وهم يتعاونون أمنياً مع الدولة

ولا أرى داعياً لتكرار أو إعادة تفاصيل تلك المرحلة القاسية.
لكنني أؤكد أن الكتاب الذي قمتم بكتابته سيكون مادة توثيقية
مهمة للغاية، لأن الشعوب تبقى حية بتاريخها وثقافتها وتراثها
وذاكرتها

وبهذه المناسبة، وقبل الشروع بطباعة هذا الكتاب، أستطيع
القول بثقة إن الرفاق الذين سيقروؤن هذا العمل سيجدون فيه
تعبيراً حقيقياً عن واقع تلك المرحلة وما حملته من معاناة
وتجارب. وسيكون هذا الكتاب بلا شك وثيقة تاريخية مهمة
للأجيال القادمة.

.أبارك لكم هذا الجهد، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق في حياتكم

"معتقل طريق الحرية"

جلال أفجي :

إلى العزيز إبراهيم

لقد قرأت كتابكم في سجن آمد "غادرت الحمام أعشاشها"،
وقرأته باهتمام كبير. أبارك لكم هذا العمل القيم، وأتمنى لكم
دوام التوفيق والنجاح

لقد استطعتم أن تعبّروا عن الأحداث التي جرت في سجن آمد
 بأسلوب واضح وسلس، وأن تقدموها للقارئ بصورة صادقة
 ومؤثرة. وكما ذكرتم، فإن ما حدث في سجن ديار بكر كان
 تجسيدا صارخا لحجم الظلم الذي تعرضنا له، والذي تعرض له
 شعبنا على مدى مئات السنين

إن هذا الكتاب يمثل صرخة شعب يطالب بحريته، شعب تعرضت
 هويته للإنكار والمحو. وهو أيضاً صرخة تهز جدران سجن
 آمد، ذلك السجن الذي حاولت الدولة من خلاله إخماد صوت
 الحرية وخنق إرادة المقاومة لدى شعبنا

لقد مارست الدولة مختلف أشكال الظلم والقمع بحق شعبنا، في
 محاولة لكسر معنوياته وإرادته، لكنها لم تستطع، ولن تستطيع،
 إطفاء هذا الصوت الحر. فهذا الصوت أكبر من أن يُخنق، لأنه
 يمثل صرخة شعب يتوق إلى الحرية والكرامة

وعندما نتأمل وطننا، حجارة أرضه وصخوره وجباله، نشعر
 بالفخر، وكأن كل جزء من هذه الأرض يصرخ وينادي ويقاوم.
 أما الذين سقطوا شهداء على هذه الأرض، فهم كرامة هذا
 الشعب ورمز عزته، وجذوة تضحياتهم لن تنطفئ، بل ستبقى
 مستمرة عبر الأجيال

*معتقل كاوا

-رجب مرعش :

إلى صديقي العزيز إبراهيم غوروز،

يا صديقي الذي عشت معه أياماً قاسية داخل المعتقل رقم خمسة
في سجن آمد، لقد تقاسمت معك تلك الأفكار والهواجس
والمشاعر، وتقاسمت أيضاً هذا المشروع الذي أراه اليوم
متجسداً في كتابك، لحظة بلحظة.

أنا سعيد لأنك كتبت هذا الكتاب، وسعيد لأنني أشاركك ما كتبت
فيه. أشكرك على مشاعرك، وعلى تجربتك، وعلى النتيجة التي
توصلت إليها. فعندما نقرأ هذه السطور، تعود إلينا تلك الأيام
بكل تفاصيلها، وكأنها تُعاش من جديد لحظة بلحظة

الكثير من أصدقائنا ورفاقنا الذين كانوا معنا في السجن رقم
خمسمة أتذكرهم من خلال هذه الصفحات. ومع ذلك، ما زالت
هناك أشياء كثيرة لم تُكتب بعد، رغم أنها عاشت معنا بكل
قسوتها. فمهما كتبنا ومهما عبرنا، لن تكتمل الصورة الكاملة
لتلك المرحلة، لأن هناك أجزاء كثيرة ضائعة ومخفية داخل تلك
الذكريات

صديقي ورفيقي إبراهيم، إن ممارسات السجّانين كانت كثيرة
ومتعددة، وكذلك أشكال الظلم والتعذيب والقهر. الجميع كانت
لهم مواقفهم، وكل واحد عبّر عن موقفه بطريقته الخاصة. وإلى
جانب كل ما جمعنا من معاناة وتجارب مشتركة، كانت هناك

أيضاً اختلافات بين الناس، فالسجن كان يضم آلاف المعتقلين من مختلف الأعمار والانتماءات الفكرية والسياسية

وبطريقة ما، تحول ذلك المعتقل إلى مدرسة للفكر السياسي والنضالي، حيث تعرّف الإنسان من خلال الظلم والمعاناة على حقيقة ذاته وحقيقة الواقع من حوله. ولهذا، ينبغي استخلاص الكثير من العبر من تلك التجربة

في كتابات إبراهيم غوروز، هناك محاولة حقيقية لتخليد مواقف الذين عاشوا هذه المعاناة وشهدوا تفاصيلها. فعلى الرغم من أن المعتقل كان يعيش في أقصى درجات الظلم والجور، فإن هذا الظلم لم يستطع أن يصادر إرادته بالكامل. لقد ظل يقاوم بكل الوسائل الممكنة، من محاولات الانتحار إلى الإضراب عن الطعام، وكانت كل تلك الأفعال تعبيراً عن قوة الإرادة والموقف الإنساني

وهذا تحديداً ما شدني في هذا الكتاب وأثر فيّ بعمق. فكثير منا لم يكن قادراً على حماية رفيقه أو زميله. الأخ لم يكن يستطيع حماية أخيه، والأب لم يكن قادراً على حماية ابنه، ولا الابن قادراً على حماية أبيه. إن تلك الأيام والتجارب التي عشناها في ذلك السجن لا يمكن للإنسان أن ينساها بسهولة، رغم مرور أربعين عاماً على خروجنا منه، فما زالت تلك الجراح حارة وثقيلة تسكن دماغنا وتعيش معنا حتى اليوم

إننا نتحدث عن ظلم مورس بحق البشر، وكان وما يزال يجب أن يتوقف.

وفي هذا الكتاب، حين يتحدث إبراهيم غروز عن المقاومة في سجن آمد، وجدت نفسي أتساءل: لماذا بقيت تلك المقاومة واقفة على قدميها رغم كل شيء؟ لقد كانت، في جوهرها، احتجاجاً على السادية، ورفضاً للاستسلام أمامها.

في جحيم آمد، صودرت حتى جنازات الكثير من المعتقلين. وكانت محاولة مصادرة روح الإنسان وفكره وهويته هدفاً أساسياً لتلك السلطة الفاشية، التي لجأت إلى أبشع الأساليب لفرض هيمنتها على أجسادنا وعقولنا.

لقد وصل الأمر إلى حد أن كثيرين منا فكروا بالموت أو حاولوا إنهاء حياتهم بأيديهم، لأن لحظات اليأس تلك كانت تتجاوز قدرة الإنسان على الاحتمال. ويمكن الحديث طويلاً عن معنى الإقدام على الانتحار في مثل تلك الظروف، وعن العلاقة بين السادية التي مارسها السجان وبين الألم الذي عاشه المعتقل.

نعم، لقد استخدموا السادية كسلاح ضدنا، وهذا ما استطاع صديقي غروز أن يصفه بدقة وصدق. والحقيقة أن الأحياء وحدهم هم القادرون على فهم وتقييم ما جرى هناك.

أما التفسير الآخر لاستمرار المقاومة، فهو أن كثيراً من الناس كانوا يمتلكون ضميراً حياً ووجداناً إنسانياً، ولم يكونوا قادرين على تقبل أو احتمال ذلك العذاب. ولهذا، كانت المقاومة بالنسبة لهم شكلاً من أشكال الدفاع عن إنسانيتهم في مواجهة ذلك الجحيم.

في جحيم سجن آمد، تمت مصادرة حتى جنازات الكثير من المعتقلين. وفي ذلك المكان، لم يكن استهداف أجساد المعتقلين وحدها هو المقصود، بل كانت أرواحهم وأفكارهم وإرادتهم أيضاً هدفاً مباشراً للسجّانين. ومع ذلك، كان المعتقلون يتصدّون لذلك الظلم بأجسادهم العارية، إذ لم يكن لديهم أي أدوات أو وسائل أخرى للمقاومة

لقد كانت تلك الطغمة الفاشية تحاول سحق الروح الإنسانية وجرد المعتقلين نحو الاستسلام الكامل. وحتى محاولات الانتحار أو التصفية الجسدية التي أقدم عليها بعض المعتقلين لم تكن تعبيراً عن الاستسلام بقدر ما كانت رد فعل وموقفاً احتجاجياً في وجه ذلك الجحيم. ومن داخل السجن نفسه، يمكن فهم تلك الحالات بوصفها شكلاً من أشكال المقاومة السلبية، أو محاولة أخيرة للحفاظ على ما تبقى من الإرادة الإنسانية

في تلك الظروف، كانت الوحشية تُمارس على أجسادنا بشكل يومي، وكان هدفهم إفناءنا معنوياً وجسدياً. أما نحن فكنا نقاوم عبر تلك الأجساد التي تتعرض للسيّاط والألم والإذلال. وهذه الجوانب عبّر عنها إبراهيم غوروز بصورة دقيقة وعميقة

ويبقى السؤال: هل الأحياء وحدهم قادرون على تقييم ووصف ما جرى هناك؟ ربما تكون الإجابة مرتبطة أيضاً بالجانب النفسي، لأن ما حدث كان يتجاوز حدود الوصف السياسي المباشر، ويمس أعماق النفس البشرية

السجّانون لم يكونوا يعترفون بأن أولئك المعتقلين بشر يمتلكون الإحساس والوجدان والكرامة. كانت أجساد المعتقلين بالنسبة

إليهم بلا قيمة، ومع ذلك كنا نحاول من خلال تلك الأجساد نفسها أن نحافظ على كرامتنا وعلى الحد الأدنى من الاعتبار الإنساني

ومن الطبيعي أيضاً أن يشعر الإنسان أحياناً بتأنيب الضمير لأنه لم يستطع أن يفعل أكثر مما فعل. لكن ذلك الشعور لم يكن دائماً أو مطلقاً، لأننا في الحقيقة لم نمارس أي شكل من أشكال الظلم، بل كان الظلم يُمارس علينا من قبل تلك الفاشية

لكل إنسان حدوده في المقاومة والتحمل، ولذلك اختلفت أشكال الصمود من معتقل إلى آخر. وإذا كان بعض الأشخاص أضعف من غيرهم أو لم يستطيعوا تحمل التعذيب كما تحمله الآخرون، فإن ذلك لا يُعد انتقاصاً أخلاقياً منهم أو إدانة لهم، لأن قدرة البشر على الاحتمال تختلف بطبيعتها

وكان معظم المعتقلين من الشباب، بينما كانت الدولة تلجأ باستمرار إلى ابتكار أساليب جديدة من التعذيب والقمع. ومن الطبيعي، في مواجهة تلك الأساليب المستحدثة، أن تظهر ردود فعل وأساليب مقاومة مقابلة، مثل الإضراب عن الطعام أو ما كان يُعرف بصيام الموت، باعتبارها شكلاً من أشكال الاحتجاج والموقف السياسي والإنساني

وقد كنا نستخلص من تلك التجارب دروساً كثيرة، لأن فعل المقاومة، حتى في أكثر الظروف قسوة، كان يترك وراءه خبرات وعبراً عميقة تتجاوز حدود السجن نفسه

من المهم أن نتساءل: هل كان هناك إقرار وقرار صريح باستمرار الكفاح؟ والسؤال الآخر المهم يتعلق بالحالة الوجدانية التي عبّر عنها إبراهيم غوروز، خاصة فيما يخص الدور السلبي المرتبط بعدم الإيمان أو الكراهية، وكذلك التناقضات وحدتها بين التنظيمات والمجموعات الحزبية والمكونات اليسارية في عام 1980، في خضم الصراع من أجل الديمقراطية والتحرر القومي

تلك الأمثلة المؤلمة خلقت مواجهات ضارية فيما بيننا من أجل تجميع الطاقات ضد عدو واحد. ويمكن أن نذكر، على سبيل المثال، نتائج التنازع بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني، وما تركته من آثار سلبية على تجربتنا ككرد، وكذلك على استمرار الذهنية السلطوية حتى هذا الوقت

لم نستطع حتى الآن تحليل تلك الإشكالات بعمق واستخلاص العبر أو الحلول منها. كان هناك فقط نوع من التعاطف والتشابك بين الثوريين والديمقراطيين والقوميين، لكن لم يُعالج البعد المعرفي أو التنظيمي، وهذا ما يستوجب التعمق فيه كثيراً. علينا أن نراعي المستويات الفكرية، وأن نفهم إشكالات الشقاق، وأن نفعل مبدأ النقد الرفاعي

الرفيق غوروز، عندما يتحدث عن ذلك العصر، يقدّم محاولة لتفكيك مفهوم القومية. وهو في ذلك يقترب من الحقيقة في طرحه، إذ يشير إلى النقطة المشتركة بيننا، مؤكداً على أهمية

ارتباط الشعب بالفكر القومي، بوصفه استمرارية للنضال القومي الكوردستاني وتثبيتاً له.

ولا يقتصر الأمر على الفكر القومي فقط، بل يشمل أيضاً الروح الثورية والديمقراطية والروح الاشتراكية، وهو ما كان يشكل نقاط التقاء بين كثير من الذين كانوا قابعين في زنزانة رقم خمسة في سجن آمد. وهذه النقاط المشتركة ما زلت أويدها معه

من الجدير بالذكر أننا نتفهم مفهوم الثورية والاشتراكية والديمقراطية، وينبغي التفصيل في هذه المفاهيم الثلاثة. في ذلك الوقت، كان الإنسان فخوراً بتلك القيم، وكان يرفعها بوصفها مبادئ أساسية، وكان الإيمان بها أو الإيمان السياسي بها إيماناً احتوائياً شاملاً. ولهذا يجب إعادة مراجعة هذه المفاهيم من جديد

وكيف، عندما نتحدث عن مفهوم الهوية القومية وكذلك الدينية، نلاحظ أننا نعاني أحياناً من سوء فهم لهذه المفاهيم. ومن هنا تبرز الحاجة إلى فهم الهوية السياسية والثقافية بعمق، وكذلك فهم طبيعة التحركات الثورية للتحركات السياسية، سواء في تركيا أو في كوردستان.

ولا يقتصر الأمر على تفكيك مفهوم القومية فقط، بل هناك أيضاً اشتراكيون وشيوعيون وثوريون وديمقراطيون، ورغم أن غالبيتهم كانوا أكراداً، فإن هناك أيضاً أتراكاً وعرباً وأرمن، وكان بينهم من يؤمن بالثورية. كما كانت هناك حركات دينية متعددة، سنية وعلوية، وحتى حركات إيزيدية ذات طبيعة إيمانية خاصة

وباختصار، فإن الشعب حاول حماية هويته بكل ما يملك من وعي وإمكانات، وكان يقف بصلابة ضد الأيديولوجية العنصرية الفاشية التي انتهجتها الدولة. ولم يكن هذا النضال حكراً على حزب معين أو شخصيات محددة، بل شارك فيه أناس كثر آمنوا بالهوية واستطاعوا الصمود بكل ما لديهم

وبهذه المناسبة، أحيي شعبي، وأحيي المعتقلين في سجن آمد الذين تعرضوا للظلم والتعذيب. كما أحيي مقاومة جميع الشهداء والجرحى وذوي الإعاقات الدائمة، وأتذكرهم جميعاً، فهؤلاء، من الشهداء والأحياء والمصابين، يمثلون أنواراً نهتدي بها معتقل من حزب رزغاري

-سراج كرجي:

في سجن آمد، ازداد عدد المعتقلين بشكل كبير. وكان غضبنا داخل السجن جزءاً من التاريخ المرير، وجزءاً أيضاً من انبعاث الحركة التحررية الكردستانية

وبلا شك، فإن حياتنا في السجن ارتبطت بالرفاق الذين كانوا معنا هناك؛ بعضهم استشهد، وبعضهم بقي على قيد الحياة. وهذا ما يجعلني أتذكر كل شيء تقريباً، دون أن أنسى حتى أصغر التفاصيل، لأن النسيان بالنسبة لي يشبه الموت

صديقي العزيز ورفيقي إبراهيم غوروز لم ينسَ لحظات السجن، وكتب عنها في هذا الكتاب. وفي مستهل كتابه، حاول أن يقدم

إضاءة على حياة السجن وتجربته. لقد قضيت أنا وإبراهيم وقتاً طويلاً هناك، وكان إبراهيم صاحب موقف ثابت، وكانت تقييماته للسجن بحجم ذلك الموقف الذي عرفناه عنه داخل المعتقل

ومن أجل صداقتنا ورفاقتنا في تلك الأيام المؤلمة، قرأت مذكراته هنا. وفي كثير من الأحيان شعرت بالحزن، وأحياناً كنت أضحك، وأحياناً أخرى كنت أعيش حالة من الاحتداد والانفعال أثناء قراءتي لبعض الصفحات

لقد قضيت تسع سنوات في السجن، ثم نُقلت بعد ذلك إلى سجن جيهان. وعندما يقضي الإنسان سنوات طويلة في المعتقل، تبدأ بعض التفاصيل الصغيرة التي عاشها هناك بالعودة إلى ذاكرته. وعندما قرأت مذكرات إبراهيم، استحضرت تلك التفاصيل وكأنها تجري الآن أمام عيني، واستوقفتني الكثير من الأحداث التي عشناها في تلك الأيام

وفي كل مرة أقرأ فيها مقطعاً من هذا الكتاب عن حياتنا هناك، أشعر أن ذهني ومشاعري الإنسانية، وحتى جسدي وروحي، تعود إلى تلك اللحظات الثقيلة وكأنها تصيبني بالإغماء من جديد. وحتى الآن ما زلت أتساءل كيف استطعنا التحرر من ذلك الطوفان من الألم

هذا الكتاب مليء بالوجع، وما زالت الكثير من الأشياء عالقة في الذاكرة. وعند قراءة مذكرات إبراهيم، يعود ألمي إلى الحياة من جديد. فبعض الأحداث التي جرت داخل تلك المعتقلات، والأفعال اللا قانونية التي ارتكبت بحقنا وتم توثيقها هنا، لا يمكن للإنسان أن يفهم شدتها ما لم يعيشها بنفسه

ومنذ اليوم الذي دخلت فيه ذلك السجن وحتى الآن، لا تزال مشاهد التعذيب تعود إلى ذاكرتي باستمرار. والكتب التي تتحدث عن هذا السجن وعن الحياة الجماعية داخله تعيدنا بحنين موجع إلى تلك الحياة التي عشناها مع رفاقنا هناك

حينها كنا شباباً، وكانت لدينا أهداف وطموحات كبيرة. وكان سجان الدولة، أسعد أوقطاي ديران وزمرته، يقولون لنا: “أنتم لن تتحرروا من هذا السجن أبداً، وسنريكم أن تعذيبنا لا حدود له، ومن بينكم من سيقضي ما لا يقل عن عشر سنوات هنا نعم، كانت حياتنا ونضالنا يحملان قيمة كبيرة، ولم تكن لتلك المقاومة حدود.

في تلك السنوات التي عشناها هناك، كانت قوافل الموت الملعونة تمر أمام أعيننا، وكانت حاشية السجن تحاول إخراج كل ما لديها من فاشية وخطرة. وفي المقابل، كنا نتصدى لذلك الجبروت بكل ما نملك من قوة، ولم نتراجع أبداً من أجل أن تستمر الحياة

ماذا أقول؟ وكيف أقول؟

قلبي يتوجع، ولا أستطيع الحديث أكثر. لقد مرت ثلاثة وأربعون سنة على تلك الأحداث التي شهدتها ذلك السجن، ومع ذلك لا تزال تلك الوقائع تمر أمام عيني حتى اليوم. وما زلت أتذكر الكثير من الرفاق والفدائيين الذين حاربوا وقاوموا من أجل كوردستان.

إن كتاباتنا وكتبنا حول سجن آمد تزيد من حزني وألمي، وليس فقط بسبب المعتقلين أنفسهم، بل أيضاً بسبب ذويهم: أمهاتهم، آبائهم، إخوتهم، أخواتهم، بناتهم، أطفالهم، وكل من أحبهم وشاركهم هذا الوجد، فأصبحوا شركاء للمعتقلين في معاناتهم ومحنتهم.

إبراهيم غوروز يتناول في كتابه موضوع الإيديولوجيا الرسمية للدولة بوصفه محوراً أساسياً، ويتطرق في تقييمه إلى محاولات المواجهة ضد الحسابات الكاذبة والإيديولوجيات الضيقة. كما يتحدث بصراحة ووضوح عن تلك القضايا والتفاصيل المتعلقة بحياة السجن

ورغم كل ذلك، فقد قام بتقييم الكثير من الحوادث المهمة وطرح مواضيع أساسية تتعلق بحياة المعتقل داخل السجن، مع أن هناك بلا شك أشياء كثيرة لم تُذكر بعد. وكل إنسان يمتلك حساسية إنسانية سيدرك حجم الفداحة التي كنا نعيشها هناك

ولكل إنسان حقه في تقييم ما يقرأه أو يستقرئه من تلك الأحداث. لكن عندما تصبح هذه الوقائع موثقة ومطروحة أمام الناس، ينبغي فهمها وتقييمها بصورة دقيقة ومسؤولة

إن الاستراتيجية الفاشية التي انتهجتها الدولة يجب أن تُقرأ بوعي أعمق وأكثر استنارة. فإذا حدثت أي انتكاسة، ينبغي أن نعرف أسبابها ومن كان وراءها. وإذا تحقق أي إنجاز أو مكسب، فيجب أيضاً معرفة دور التنظيمات والأحزاب التي ساهمت فيه، وأي القوى كانت وراء تلك المكتسبات

وخاصة كل معتقل قضى فترة من الزمن هناك، ينبغي أن يتحدث بصدق: من الذي ارتجف في لحظات الاستسلام؟ ومن الذي تسبب في الأخطاء؟ وما هي المواقف التي ارتكبتها بعض الأحزاب أو بعض الشخصيات الحزبية؟ فكل ذلك يجب أن يُقَيَّم بصورة موضوعية وصادقة

وفي المقابل، ينبغي أيضاً الإشادة بقيم ومآثر وبطولات المعتقلين الذين رفضوا الاستسلام والإذعان أمام الضغط الفاشي. نعم، يجب قراءة تلك الأحداث بصدق، كما يجب إبراز التجارب النضالية للأجيال القادمة

لماذا انتصرت روح الخامس من أيلول داخل السجن؟

ينبغي استقراء تجربة الخامس من أيلول في كوردستان بعمق، لأن هناك مكتسبات تحققت داخل ذلك السجن. فقد انكسرت غطرسة السجان، واندلعت انتفاضة الخامس من أيلول داخل المعتقل، وكانت انتفاضة جادة وحقيقية، ولم يعبأ المعتقلون بكل ذلك الضغط ولا بكل الأفعال الوحشية التي مارستها الدولة بحقهم

واليوم أصبح بالإمكان فهم طبيعة تلك الدولة الفاشية وأهدافها بصورة أوضح مما مضى، وخاصة محاولاتها لإخضاع وتكميم جميع المعتقلين، بمختلف انتماءاتهم الحزبية. فقد كان هناك قوميون وشيوعيون، وحتى بعض من كوادر الحزب الشيوعي العراقي، إلى جانب حزب العمال الكوردستاني وسائر الأحزاب الكردية الأخرى

وأستطيع أن أقول براحة ضمير إن الكثيرين لم يقبلوا الاعتراف ولم يذعنوا لما كانت تريده الدولة. وعندما كانت تُغلق الأبواب، كان ما يجري داخل القواويش بيد المعتقلين أنفسهم وتحت إرادتهم

وفي تلك الظروف القاسية، كان لابد من الاسترشاد بجهود بعض رجال التنظيمات. أما أسعد أوكتاي يلديران وكتيبته، فقد كانوا يحاولون إجبار المعتقلين على التعاون، ويسعون إلى زرع المخبرين بين الأقل صموداً وتماسكاً منهم. وقد استخدموا في ذلك أساليب كثيرة تقوم على الدهاء والخداع، بهدف جر المعتقلين إلى التعاون الأمني

لكن هذا النهج قوبل بالرفض والمقاومة من قبل السجناء، وفي النهاية مارسوا المزيد من الظلم بحق المعتقلين، ومع ذلك فقد انهزموا، وانكسرت سياساتهم

وهذه التجربة يجب أن تُقرأ بصدق وموضوعية، مع الإقرار بأن كل تنظيم واجه تلك الفاشية بأسلوب مقاومته الخاص. وهذا لا يعني أن تلك التجارب لم تتضمن أخطاءً أو نواقص في أساليب المقاومة، بل يجب مراجعتها بصورة نقدية وموضوعية، واستخدام أسلوب النقد والنقد الذاتي لمعرفة مكامن الخلل

وأنا ورفاقي كنا نعلم جيداً أن كثيراً من المواقف الخاطئة قد اتُخذت في التعامل مع تلك المرحلة

ومن أجل تغليب المصلحة الوطنية، سكت كثير من الرفاق عن بعض الأخطاء، رغم أن آثار تلك الأخطاء استمرت حتى يومنا

هذا. ولذلك كان لابد من إيجاد أدوات وآليات تمنع تكرار تلك الأخطاء مستقبلاً

وحتى الآن، ما زالت بعض القضايا لم تُناقش بصورة صريحة، وخاصة ما يتعلق بالشباب الذين كانوا في تلك المرحلة. فالتجربة والخبرة التي يمتلكها الإنسان بعد مرور ثلاثة وأربعين عاماً ليست كما كانت عليه في ذلك الوقت، حين كنا نعيش تلك الأحداث داخل سجن آمد بصورة مباشرة وتحت الضغط والتعذيب

وإذا كان هناك ذنب أو خطأ في تجارب تلك التنظيمات، فنحن جميعاً نتحمل جانباً من القصور. لأن الإنسان، عندما يتأمل الصورة الكبرى، يدرك اليوم أخطائه بصورة أوضح، ويصبح أكثر حذراً من الوقوع فيها مجدداً، وخاصة الأخطاء المتعلقة بعدم وحدتنا وتنسيقنا كأحزاب وتنظيمات

ولولا مقاومة الخامس من أيلول، لكانت الهمجية التي مورست بحق المعتقلين أكثر قسوة ووحشية. ومع ذلك، وبرأيي، فإن أحد أكبر الأخطاء التي رافقت كتابة مذكرات سجن آمد كان الربط المباشر بين تلك الأحداث وبين العمل المسلح وأمواج التغيير التي كانت تعيشها المرحلة آنذاك، وهو ما جعلنا أحياناً غير قادرين على تقييم الوقائع بصورة موضوعية

وقبل الثاني عشر من أيلول، فإن الأحزاب التي كانت تعتبر نفسها قوى رئيسية في شمال كردستان، وبسبب انشغالها بتناقضاتها البينية، لم تكن قادرة على ممارسة النقد الذاتي أو

تحديد مواضع الخلل في أدائها. وحتى الذين بدأوا العمل المسلح لم يكونوا مستعدين لتطوير منهج نقدي حقيقي.

والشيء الذي يؤلمني أكثر هو أننا حتى الآن لم نستطع استقراء الأحداث المتعلقة باعتقالنا في سجن آمد بصورة كاملة وواضحة. ولهذا تساقط كثير منا كأوراق الشجر؛ بعضنا مات، وبعضنا انسحب من المشهد السياسي. وإذا لم نستطع فهم تلك المرحلة، فننستطيع فهم سياقات التاريخ ومساراته بصورة صحيحة

لقد جسد إبراهيم غروز تلك التناقضات، وكذلك التنازع بين الأحزاب خارج سجن آمد، وتحدث عنها بشجاعة وصراحة، وقال إن “الملك عارٍ”. وأنا أيضاً أستطيع أن أقول شيئاً آخر: لقد كنا معاً في تلك المرحلة، تحت التعذيب، وعشنا لحظات القوة والضعف، والانتصار والهزيمة. كنا شباباً تتراوح أعمارنا بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين، وحتى الخامسة والثلاثين، وكنا نقاوم ونستبسل من أجل خلاص شعبنا ووطننا وكان البعض ينتقد اضطرار بعض المعتقلين إلى تنفيذ التعليمات أو أداء المارش العسكري أثناء السير. لكن إذا أردنا فعلاً تغيير مسار التاريخ، فعلينا أن نقول كل شيء بموضوعية كاملة

إن كتابة التاريخ عمل إيجابي، ويجب توثيق تلك الأحداث، كما ينبغي أن تطلع عليها الجهات الحقوقية، لكي تعرف كيف عشنا، وماذا رأينا، وما الذي تعرضنا له. ومن الضروري أن يكون الجميع على اطلاع بحقيقة ما جرى، سواء من هم في الداخل أو الخارج

وفي كثير من الكتابات التي تناولت تاريخ سجن آمد، جرى تبرير بعض الأخطاء وربط الانكسارات فقط بأخطاء الخصم أو الحزب الآخر. كما وقع خطأ آخر، حين قدّم بعض المعتقلين أنفسهم كأبطال مطلقين، واتهموا الآخرين بالضعف أو التخاذل، وهذا بدوره يقدم صورة غير دقيقة للأجيال القادمة

وثمة مواضيع أخرى كثيرة بلا شك

وفي النهاية، أشكر مشاعر وإباء إبراهيم غروز. لقد مضت سنوات طويلة، لكن ما حدث لم يغادر الذاكرة، ولا يمكن إعادة ما مضى أو تغييره. إن ما عشناه في ذلك السجن، وما حملناه من مواقف سياسية وإنسانية، ما زال حاضراً في أذهاننا

وإن كتابة تلك التجارب وتدوينها أمر إيجابي، لكن ينبغي قراءتها بعقلانية وموضوعية ومسؤولية. فعلينا أن نضع أيدينا على ضمائرنا ونحن ننقل هذه الوقائع إلى أحفادنا، حتى تبقى الحقيقة حية كما هي

حديقة المقاومة زُرعت فيها العديد من الورود الملونة في سجن آمد، وفي مواجهة تلك الأفعال الفاشية والهمجية دُفعت أثمان باهظة. وكانت كل مقاومة تُبنى لتصبح ركيزة لمقاومة أخرى، ولذلك فإن المقاومات الكبرى التي حدثت هناك كانت ذات أهمية وهيبة كبيرتين

ورغم الحصار المفروض على المعتقلين، استطاعوا تثبيت هويتهم وإثبات وجودهم، وكانت المشاركة والتكاتف بين المعتقلين عاملاً حاسماً جعل النصر معنوياً وحتمياً داخل

السجن. لقد نهض العديد من المعتقلين، ومن مختلف القوى السياسية، ومهدوا الطريق لحراك قومي تحرري كوردستاني يتسم بالإصرار والصمود في مواجهة كل الأفعال الهمجية

وكان المعتقلون يستخدمون أجسادهم نفسها كأسلوب من أساليب المقاومة، لأن هدف السلطة كان محو الإرادة والإصرار الكردستاني. وسرعان ما أدرك الوطنيون والقوميون حقيقة ذلك، فعملوا بعقولهم وبروح التضامن والتكاتف، وأصبح الصمود شعار تلك المرحلة.

وقبل الثاني عشر من أيلول، كانت هناك تناقضات وصراعات كثيرة بين أطراف الحركة الكردستانية والقوى اليسارية، بل وحتى أشكال من العنف فيما بينها. ومع ذلك، فإن إرادة المقاومة أصرت على الاستمرار، ودفع كثيرون حياتهم ثمناً لهذا الموقف، وقدموا تضحيات باهظة ورسخوا رؤية حقيقية عنوانها مقاومة عدائية الدولة والتنديد بممارساتها

وفي مواجهة تلك الأفعال الفاشية، وُلدت مواقف وأشكال متعددة من المقاومة، وفي جميع المهاجع والمنفردات والساحات اشتعلت جذوة الصمود

إبراهيم غروز عانى كثيراً من تلك الظروف والمواقف، لكنه لم ينحن عن فكرته أو عن هدف حرية واستقلال الشعب الكوردستاني. وفي سجن آمد واجه الكثير من الأفعال الهمجية، لكنه وقف بثبات أمامها

وفي القضايا التي كانت الدولة التركية تنظر إليها بوصفها من أخطر التحديات، ومنها قضية الحزب الديمقراطي الكردستاني، برزت نماذج كثيرة من الصمود. وإذا أردنا إجراء مقارنة حقيقية حول سجن آمد، فعلينا أن نتذكر أن بعض المعتقلين كُتب لهم أن يعيشوا، وبعضهم استشهد، وآخرون لم يمتلكوا حتى وعياً أو تجربة سياسية كبيرة، ومع ذلك شاركوا جميعاً في تلك المقاومة

وكثيرون ساروا على نهجهم، وهؤلاء يجب ألا يُنسوا أبداً، لأنهم الورود الملونة التي زُرعت في حديقة المقاومة. ومن واجبي أن أقول ذلك، وأن أعطيهم قيمتهم، وأن أصفهم بما أستطيع من الصدق والوفاء

وفي كتاب “في سجن آمد الحمايم غادرت أعشاشها” سأقرأ هذا العمل التاريخي بكل سعادة واهتمام. وأنا على يقين أن السلام والديمقراطية سيعمان يوماً ما، وأن كرامة هؤلاء المعتقلين ستُرد إليهم، وسيظهر جيل جديد يحمل لواء المقاومة وحرية واستقلال الشعب الكوردي

ورغم كل ما مرّ به المعتقلون من ظلمات وممارسات همجية، فإن تلك المقاومة، وهذه الأعمال المكتوبة عنها، ستبقى حاضرة، وستظل ناقوساً يضيء الطريق للأجيال القادمة.

أتمنى لكم النصر والنجاح.

إسماعيل بيشكجي

في كتاب “في سجن آمد غادرت الحمام أعشاشها” قام إبراهيم غوروز بتدوين مذكراته وتجربته داخل المعتقل. وقد صدر هذا الكتاب عن دار نشر دوز في كانون الثاني/يناير عام 2024

إبراهيم غوروز هو أحد م معتقلي المعتقل رقم خمسة المعروف بسجن آمد - ديار بكر، وفي هذا الكتاب يستعرض ذكرياته وتجربته داخل السجن. وفي مستهل الكتاب، كتب شفيق شولاق مقدمة مؤثرة بالفعل.

ويتحدث شفيق شولاق في مقدمته عن مرحلة النضال التي عاشها مع رفاقه في منتصف سبعينيات القرن الماضي، في إطار الدفاع عن الحقوق القومية والديمقراطية للشعب الكردي. ويشير إلى أن المناخ السياسي في تلك المرحلة كان مليئاً بالتوترات، حتى إن بعض الرفاق كانوا يُتهمون بالخيانة أو يُنظر إليهم بهذه الصفة بسبب اختلافاتهم الفكرية والسياسية

لكن عندما كان بعض هؤلاء الأشخاص يذهبون إلى المهاجع ويتعرفون عن قرب على الكرد وحقيقتهم ومعاناتهم، كانت مواقفهم تتغير، ويبدأون بإعادة النظر في أفكارهم السابقة. ومن هنا كان يشعر بضرورة كتابة رسالة مليئة بالنقد والصراحة إلى شفيق شولاق

وكان التعذيب سياسة ممنهجة تمارسها الدولة بصورة منظمة، في إطار بناء مجتمع يخضع للأيديولوجية الرسمية التركية.

ووفق تلك الأيديولوجية، كان يُراد للمجتمع أن يُصاغ وفق تصور قومي وديني محدد، يقوم على اعتبار “التركي المسلم الحنفي” النموذج الرسمي المقبول، بينما كانت الهويات الأخرى، ومنها الهوية الكردية، تتعرض للتهميش والإنكار.

أما المعتقل رقم خمسة في سجن آمد، فقد كان بمثابة مختبر لتلك السياسات. وما جرى تطبيقه هناك بصورة منهجية انعكس لاحقاً على المجتمع خارج السجن أيضاً

ولم يكن المعتقلون وحدهم ضحايا تلك السياسات، بل إن عائلاتهم كانت تنال نصيبها من الأذى والمعاناة. فالدولة لم تكن تستهدف من هم داخل المعتقل فقط، وإنما أيضاً من هم خارجه.

ومن الأمثلة المؤلمة التي يوردها الكتاب قصة الشاب علي كاغوز، الذي اعتُقل مع والده داخل السجن رقم خمسة. وهناك كان الأب يتعرض للتعذيب أمام ابنه، كما كان الابن يتعرض للتعذيب أمام أبيه. وكان الأب يحاول أن يحمي ابنه ويخفف عنه آثار الضرب والإهانة، بينما كان الابن يحاول بدوره الدفاع عن أبيه. وقد قدم إبراهيم غروز هذه الحادثة بأسلوب درامي ومؤثر.

وفي نهاية كتاب “في سجن آمد الحمايم غادرت أعشاشها” يوجد ألبوم صور، إلا أنه لا يحتوي على أسماء الأشخاص أو التواريخ المتعلقة بتلك الصور، وكان من الضروري استدراك هذا النقص بإضافة الأسماء والتواريخ التوضيحية، لما لذلك

من أهمية توثيقية وتاريخية.

دوغان جران

كتاب يجسد وجه الظلم والوحشية التاريخية

في زمن مضى، عندما ذهبت إلى معرض للكتاب في ألمانيا، ووضعت كتبي ضمن المعرض، اقترب مني أحد الأشخاص وأهداني كتابه المعنون: “في سجن ديار بكر الحمايم غادرت أعشاشها”. كان ذلك الأخ العزيز إبراهيم غوروز، فشكرته على هديته.

وعندما قرأت الكتاب، شعرت وكأنني أمام إنسان خرج من عمق تاريخ يمتد لألف سنة من الظلم والمعاناة. لقد عشت تلك الأحداث أثناء القراءة بكل تفاصيلها، ورأيت بوضوح حجم الوحشية التي مارستها الدولة التركية في شمال كردستان، وإصرارها على قمع الشعب الكردي وتكميمه بكل وسائل العنف

لقد أرادت الدولة طمس الشخصية الكوردية وضرب الشعور القومي الكردستاني، وكانت المقاومة التي ظهرت داخل السجون بمثابة رد فعل طبيعي تجاه تلك السياسات. كما سعت الدولة إلى فرض أيديولوجيتها الكمالية العنصرية داخل المجتمع، وكان السجن أحد أهم الميادين التي استخدمت لفرض تلك الأيديولوجيا بالقوة.

إن قادة ذلك الانقلاب عمدوا إلى ممارسة أبشع الأساليب بحق المعتقلين، ولم يكن الهدف إيذاء الأفراد فقط، بل أيضاً إخضاع المجتمع بأكمله وإغراق عائلات المعتقلين بالخوف والرعب. لقد أراد المحتلون، من خلال ما جرى في سجن ديار بكر، تصفية الهوية الكردية وتحويل الشعب الكردي إلى شعب منسلخ عن ذاته، وإجباره على الاستسلام والإذعان.

وفي مواجهة ذلك، نهض العديد من المعتقلين وقدموا أجسادهم وأرواحهم ثمناً لمقاومة تلك السياسة. وقد دفع كثير منهم حياتهم ثمناً لذلك، فيما تعرض آخرون للجنون أو الشلل أو الإعاقات الدائمة

ولهذا، فإن هذا الكتاب يُعد شهادة حية وتوثيقاً لمرحلة تاريخية شديدة القسوة، وقد استطاع إبراهيم غوروز أن يعبر عن تلك الحقبة بصدق ووضوح.

إننا نثمن ثوار تلك المرحلة وتضحياتهم. وقد قرأت من قبل كتباً عديدة تناولت مقاومة السجون، مثل الكتب التي تحدثت عن حرب المقاومة، وعن المعتقلين الذين واجهوا الظلم، كما قرأت عن بطولات الفيتناميين في مواجهة القمع، وقرأت أيضاً بعض الكتب التي تناولت مقاومة المعتقلين في السجون النازية عام 1943، ومنها كتاب مخيم الإنذار، الذي شكّل شهادة على نضال المعتقلين ضد النازية. وهناك أيضاً كتب تناولت مقاومة اليونانيين للنازية داخل السجون

ولا أرى ضرورة للتوسع أكثر في الحديث عن تلك الكتب هنا،
لكن من المهم الإشارة إلى أن الكتاب الذي تناول معتقلي سجن
آمد ومقاومتهم الباسلة يمثل عملاً توثيقياً مهماً. فقد قدم إبراهيم
غروز في هذا الكتاب شهادته حول ما حدث، وبذلك أصبح هذا
العمل وثيقة تؤرخ لتلك المرحلة الزمنية
وبلا شك، فإن مؤلفه يستحق الثناء والتقدير

MAB

من أجل الأخ العزيز إبراهيم غروز،

قبل كل شيء، أحب أن أثنى هذا العمل المغنون: “في سجن
ديار بكر غادرت الحمام أعشاشها”. أبارك لك هذا العمل،
وأحيي قلمك ويدك السخية، وأتمنى لك الطمأنينة والصحة
والعمر المديد

بلا شك، فإن ذلك العصر الهمجي الوحشي قضى على العديد من
أبنائنا، من كبار السن والنساء والشباب، الذين مروا عبر
مسلخ ديار بكر، أي المعتقل رقم خمسة في سجن آمد، وسقطوا
شهداء أمام تلك الغطرسية والوحشية الممنهجة التي مورست
بحقهم

كثيرون منهم استشهدوا، وكثيرون تعرضوا للشلل أو للإعاقات الدائمة، وعاشوا جحيم ذلك السجن. وبعضهم خرج منه نصف ميت، أو خرج وهو يحمل مرضاً مزمناً يرافقه حتى اليوم

وللأسف، كان هناك أيضاً بعض الخانعين والانتهازيين الذين خرجوا من ذلك السجن، ومنهم سليم تشوروكايا، الذي كتب كتاباً اتسم بالنكران والبؤس. فمثله ومثل غيره دونوا شهاداتهم انطلاقاً من فكر إيديولوجي ضيق يخدم مصالح أحزابهم، ولم يضعوا في اعتبارهم قضية الكرد ولا الكردايتي

وعلى العكس من ذلك، فقد ألحقوا الضرر بنضالات شعب شمال كردستان، وكتبوا آراءهم وفق نهج إيديولوجي ضيق، سعوا من خلاله إلى تضليل الشعب، بل وحتى تضليل الرأي العام الأوروبي والدولي

لقد كان سجن آمد وصمة عار على الإنسانية جمعاء، وليس على الشعب الكوردي فقط.

وفي هذا العمل المهم، قمت بتعرية الإيديولوجيات الضيقة، وقدمت شهادة صريحة عن مقاومة الكورد لتلك السياسة الفاشية التي انتهجتها الدولة التركية. وأشعر بالفخر أمام هذا الموقف، لأن كل بداية طموحة تمر عادة عبر حقبة مظلمة وصعبة وأنا على يقين أن تلك المقاومة وذلك النضال لم ينتهيا بعد، وأن ثمارهما ستظهر يوماً ما أما الذين ودّعوا الحياة نتيجة تلك المقاومة، فأتمنى لهم الرحمة والسلام، والذين

ما زالوا على قيد الحياة أتمنى لهم الصحة والسلامة، لأنهم
سيبقون دائماً في وجداننا وذاكرتنا

الكثير من الرفاق والكتّاب والمثقفين الكرد يشعرون بالامتنان
والتقدير للمواقف التي دونتها في هذا الكتاب. لقد تحدثت عن
تلك الأحداث بحساسية إنسانية عالية، وقدمت شهادة
موضوعية حول ما جرى، كما وصفت سياسة الدولة تجاه
الكورد بصورة واضحة وصريحة

ولا يجب أبداً أن تُنسى مذبحة ديار بكر رقم خمسة، ولا
تفاصيلها، ولا طقوس التعذيب والأحداث الفظيعة التي جرت
داخل ذلك السجن. وعلى الجميع أن يتنبهوا لهذه الوقائع وأن
يتذكروها دائماً

وكل مجموعة أو فئة دفعت حياتها ثمناً داخل ذلك السجن يجب
أن تُكشف حقيقتها وأن يُنصف تاريخها. كما يجب أيضاً كشف
الإيديولوجيين المضللين، مثل سليم تشوروكايا، الذي قدّم
روايات مضلّة حول مسلخ ديار بكر، وحاول تصوير نفسه
كبطل وحيد، بينما ألقى اللوم على بقية رفاقه

مثالاً، إذا لم تخنّي الذاكرة، فإن أول مرحلة من الإضراب داخل
المهجع بدأت عندما كان لنا رفيق يُدعى أردال ألن، الذي تم
شنقه. لقد رفض تناول طعام الإفطار، وأقدم على صيام الموت.
وعندما سمعنا نبأ استشهاد، قمنا تضامناً معه بالإضراب عن
الطعام.

وفي رأس السنة عام 1981 تواصلنا مع مهجع آخر، وبدأنا أيضاً بصيام الموت. وما أقصده من ذكر هذه الوقائع هو أن المعتقلين داخل السجن لم يكونوا يعلمون دائماً بما يجري في المهاجع الأخرى، وحتى إذا وصلت إليهم الأخبار، فإنها كانت تصل بعد فترة من الزمن.

ولهذا، لا يمكن لأي كتاب واحد أن يحتوي كل ما جرى داخل سجن آمد. بل كان ينبغي كتابة منات، وربما آلاف الكتب، وإجراء أبحاث ودراسات واسعة حول تلك الحقبة

والأمر الآخر أن سوء الطالع أصاب كثيراً من المعتقلين الذين كانوا ضحايا مذبحه ديار بكر، والذين تعرضوا لظلم كبير، وخاصة بعد الانقلاب العسكري. فقد حدثت لاحقاً الكثير من التناقضات والتنازعات بين الأحزاب السياسية الكردية، الأمر الذي أدى إلى انقسامات استمرت لسنوات طويلة، وجعلت موقفنا كشعب كردي أكثر ضعفاً وهشاشة

وللأسف، فإن كثيراً من القادة والمسؤولين لم يعيروا هذا الوضع الاهتمام الكافي، بل ظلوا منشغلين بالمناصب والسلطة والخلافات الحزبية

لقد دفع هذا الشعب الكردي ثمناً باهظاً، وضاعت في سجن آمد حياة الكثير من الكوادر والمناضلين الكردستانيين، حتى إن مصير بعضهم بقي مجهولاً. أما الذين كانوا خارج السجن، فلم يكونوا يعلمون شيئاً عما يجري في داخله.

وبالنسبة لي شخصياً، عندما أبلغت بقرار الإفراج عني، لم أشعر بالسعادة الكاملة. صحيح أنني خرجت من ذلك الجحيم، لكن الكثير من رفاقي الأعزاء ظلوا هناك؛ بعضهم استشهد، وبعضهم مات أثناء الإضراب عن الطعام.

ولم يتوقف مسلسل التناقضات والصراعات بين أحزابنا حتى بعد ذلك.

وطوال حياتي لن أنسى رفاقي الذين كانوا معي في ذلك السجن. وبعد مرور كل هذه السنوات، عندما أعود لقراءة هذا الكتاب، أشعر بألم كبير على فراق أولئك الرفاق الأعزاء

إبراهيم غوروز، طريقك صحيح، وأنا أحييك، وأراك موضع فخر بالنسبة لي. وأتمنى لك المزيد من الكتابات، كما أتمنى لك النجاح والتوفيق.

مصطفى كلج

صديقي العزيز إبراهيم غوروز،

بصدد كتابك عن المعتقل رقم خمسة في سجن آمد، والمعنون
 “في سجن ديار بكر غادرت الحمام أعشاشها”، أشكرك على
 كتابة هذا العمل

لقد قرأت الكتاب بغصة وألم شديدين، وعندما قرأته شعرت
 وكأنني عدت مجدداً إلى سجن آمد، وكأن التاريخ بكل زلازله
 عاد ليقف أمامي من جديد، وخاصة تلك المرحلة الممتدة بين
 عامي 1981 و1983. ولهذا أشعر بحزن كبير واختناق داخلي
 كلما استحضرت تلك السنوات

لقد وصف إبراهيم في كتابه الأفعال الشنيعة التي ارتكبت هناك
 بصورة واضحة وصريحة. وكل شخص عاش جحيم سجن آمد،
 عندما يقرأ هذا الكتاب، ستعود به الذاكرة إلى تلك المرحلة
 السوداء، وسيدرك أن السجن العسكري في آمد، ما بين عام
 1981 وحتى الخامس من أيلول 1983، كان جحيماً حقيقياً

لقد كتبت كتب كثيرة حول سجن آمد، وكان كثير منها يتحدث
 عن السجن وتجربته. لكن عدداً كبيراً من تلك الكتب ألفها
 أنصار حزب العمال الكردستاني، وكانت تتحدث أحياناً عن

البطولات الفردية لأنصار الحزب بصورة مبالغ فيها، بينما كانت بعض الحقائق تُخفى أو تُطمس

وفي المقابل، كانت هناك كتب أخرى كتبها أعضاء أو مناصرو تنظيمات أخرى كانت موجودة داخل سجن آمد في شمال كوردستان، وبعض تلك الكتب اكتفت بالحديث عن أفعال الدولة التركية فقط، دون التطرق إلى الجوانب الأخرى

كما أن بعض الكتاب لم يجرؤوا على الحديث بصراحة عن ممارسات أنصار حزب العمال الكوردستاني داخل السجن تجاه الأحزاب الأخرى ومناصري التنظيمات المختلفة، وذلك بسبب الخوف من التهديدات أو الضغوط، ولذلك لم تُروِ الحقيقة كاملة

أما إبراهيم، ففي هذا الكتاب استطاع أن يجيب عن كثير من الأسئلة، كما استطاع أن يدعم بالحجج والشهادات الكثير من الوقائع والآراء المتعلقة بما جرى في سجن آمد. كذلك كشف حقيقة بعض الأشخاص الذين تحدثوا عن المعتقل بصورة مضللة، ومن بينهم سليم جيروكايا

فالكثير من الناس لم يكونوا يعرفون حقيقة ما جرى داخل السجن، وعندما كانوا يقرأون كتابات سليم تشوروكايا، كانوا يندشون ويقولون: “ما هذه العظمة؟ وما هذه البطولة “الخارقة”

لكن الحقيقة أن المقاومين داخل السجن قاوموا وحشية العدو جميعاً، وبصبر وعناد كبيرين، ولم تكن المقاومة حكرًا على شخص أو جهة واحدة

فمن يصدق أكاذيب سليم جيوروكايا يفهم من روايته أن باقي أعضاء وأنصار التنظيمات الأخرى كانوا أسرع إلى الاستسلام وأضعف موقفًا. لكن سليم، في كتاباته، استخدم تجربة اعتقاله وسنوات سجنه للتشفي بالأحزاب والتنظيمات الأخرى

وعندما كتب كتابه، كان ما يزال خاضعاً لسلطة عبد الله أوجلان، ولذلك كتب بما يرضي قيادته، ولم يترك – بحسب هذا الرأي – اتهاماً أو رواية إلا وأوردها بما يخدم توجهه الحزبي. ولو كتب تلك المذكرات بعد انشقاقه عن حزب العمال الكردستاني لربما كتبها بصورة مختلفة تماماً

ويجب أن يعلم الجميع أن الفترة الممتدة في سجن آمد بين عام 1981 وحتى الخامس من أيلول 1983 كانت مرحلة شديدة القسوة، وأن كثيراً من المعتقلين كانوا تحت ضغط هائل أو على شفير الانهيار والاستسلام بسبب التعذيب الوحشي والظروف اللاإنسانية

وبحسب هذه الشهادة، فإن بعض أنصار سليم ورفاقه، بعد انهيارهم أو استسلامهم، تحولوا إلى أدوات استخباراتية داخل السجن، وعمل بعضهم في التجسس لصالح إدارة المعتقل

ويُطرح هنا سؤال مباشر: إذا كان سليم ورفاقه لم يستسلموا فعلاً، فلماذا شارك بعضهم – بحسب هذه الرواية – في قراءة

القسم الأتاتوركي في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1980،
خلال مراسم ذكرى وفاة مصطفى كمال أتاتورك، وأعلنوا الولاء
للدولة وطلبوا العفو منها؟

كما تشير هذه الشهادة إلى أن عدداً من المعتقلين، خلال سنوات
1980 وحتى الخامس من أيلول 1983، تحولوا إلى مخبرين
داخل السجن، ومن بينهم أسماء ذكرت بوصفها كانت تعمل
ضمن صفوف حزب العمال الكردستاني وفي المقابل، يتحدث
صاحب الشهادة بفخر عن رفاقه من الحزب الديمقراطي
الكردستاني، مؤكداً أنهم لم يقبلوا – بحسب وصفه – أن
يكونوا جواسيس أو متعاونين مع إدارة السجن أو مع
شخصيات مثل أسعد أوكتاي يلديران

كما يستذكر أحداث الإضرابات والاحتجاجات داخل المهاجع،
ويشير إلى أن بعض المعتقلين رفضوا ارتداء لباس السجن
الذي فرضته الدولة، ودفع بعضهم حياته ثمناً لذلك، بينما قبل
آخرون ارتدائه بعد فترات طويلة من الجوع والتعذيب

ويؤكد في ختام شهادته أنه يشعر بالفخر تجاه رفاقه الذين
قضوا في جحيم سجن آمد دون أن يقبلوا – وفق قناعته –
بالخيانة أو العمالة، وأنهم قاوموا هناك “كالأسود”، وظلوا
متمسكين بمواقفهم حتى النهاية

أسيا جبار

” في سجن ديار بكر، الحمام غادرت أعشاشها“

أحييك يا أخي العزيز. عندما عشت حسرتك وتلقيت كتابك، ومن
أجل أن ألمس أثر تجربتك، شعرت كأنني أستنشق رائحة
السجن من بين الصفحات. كلما قرأت الكتاب كنت أعيش ألم
المعذبين وكأنه حاضر في قلبي

لقد أدركت من خلاله حجم الظلم والتعذيب الذي تعرضت له،
ووعيت أنك مررت بتجربة قاسية وملينة بالمعاناة

أحييك بعمق، وأحيي كل من سار على هذا الطريق وتحمل تلك
التجربة الصعبة.

مسعود أيسل

قرأت الكتاب دفعة واحدة حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل

يا عمي العزيز، شعرت أن سنوات الألم الماضية كلها عادت
دفعة واحدة أثناء القراءة

الحياة التي خرجت منها جراح عميقة لا يمكن شفاؤها، وقد
تركت آثارها على الجسد والروح.

ذكرتني الكلمات بالأهل، وبالحنين، وبالحسرة التي بقيت في
داخلهم

حتى صمتهم كان واضحاً لي رغم أنهم لا يتكلمون عما
بمكانهم.

موضوع السجن والحرية والسلاسل جعلني أفهم الحياة مبكراً
وبقسوة، أشعر أن رسالتك فتحت في داخلي أبواباً كانت مغلقة
منذ زمن طويل.

لقد أثرت في كلماتك بعمق كبير وأيقظت فيّ وعياً جديداً

أعتقد أن كتابك لم يكن مجرد نص، بل أثر حقيقي فتح أفقاً
سياسياً وفكرياً

أتمنى لك القوة والاستمرار، وأن يزداد تأثير قلمك في
المستقبل.

بوبي أسر

أعطاك الله القوة يا عزيزي إبراهيم غوروز

كنت مع إبراهيم غوروز لفترة في سجن آمد، المعروف بسجن
رقم خمسة.

تعرضنا معاً للاعتداء والتعذيب داخل هذا السجن بين عامي

1980 و1982

كان تعذيباً وحشياً، وكان حتى الضحك والكلام بيننا ممنوعاً في تلك الظروف

قاومنا قدر المستطاع، لكننا لم نكن نعلم إن كنا سنخرج أحياء من ذلك الجحيم

أنا وإبراهيم وكثيرون مثلنا خرجنا من هناك أحياء، واستمررنا في النضال رغم كل الصعوبات

كنا نريد فضح ما جرى في سجن آمد أمام العالم كله

تلك الممارسات كانت أشد فظاعة من معسكرات النازية إذا أردنا قول الحقيقة

ومهما كتبنا عن تلك المرحلة، فلن نستطيع وصفها كما هي، فكل ما يكتب لا يعدو أن يكون قطرة من بحر

يا إبراهيم كوروز، بكتابتك لهذا العمل تفتح نافذة في قلب ذلك الظلام المرعب

بوصفي رفيقك في نفس المعتقل ونفس المهجع، أبارك لك هذا العمل وأقدره

إنه عمل يستحق التثمين والإشادة

وأتمنى أن يشعر كل من يقرأه بعمق ذلك الجحيم الذي عشناه

وكذلك أن يدرك حجم تلك الأحداث ومعناها الحقيقي

لقد منحتنا القوة بهذا العمل، وأدخلت البهجة إلى قلوبنا رغم الألم.

أخرجت ما في داخلنا عبر هذا الكتاب المكتوب باللغة الكردية بلهجة الكرمانجية.

لقد قدمت خدمة مهمة للمكتبة الكردية والكردستانية

يا إبراهيم، بهذا العمل قمت بمهمة حقيقية

فأي كتابة بلغة غير اللغة الأم لا تستطيع أن تنقل الصدق الكامل والإحساس العميق

الشعب يُعرف بلغته، والأمة تُدرك بهويتها ولغتها وكتابتها

ونحن ككرد نعرف أنفسنا بلغتنا الكردية، التي حاول المحتلون طمسها وإضعافها

محمد دهبسوار يبعثه كلمات حول كتاب “في سجن آمد”،
الحمانم مغادرة أعشاشها

الاحتلال المفروض على القومية الكردية جلب معه المزيد من العنف والاعتداء الجسيم على الكرد، وكان له تأثير ووقع هائل على الشعب الكردي لعشرات السنوات، وكردستان تحت تأثير العدو. هذا التأثير جعل نضالات الحركة الكردية في حالة من الإرهاص

النظام الهيجي المحتل قام بتهديم بناء المجتمع. الأساليب الهيجية التي تتبع من قبل الطرف المحتل، وخاصة بحق الشعب الكوردي، جعلت المجتمعات الكردية في حالة من الصرع.

هذا الظلم والضرب والتعذيب يكشف عن ضراوة العقلية السلطوية المتبعة بحق الكرد وسياسيهم؛ فالبعض يتم تصفيته، والبعض الآخر يخرج من تلك الساحة وهو محبب. الكثير من هؤلاء المعتقلين، جراء تلك الممارسات، تضرروا جسدياً وكذلك نفسياً، وبلغ ذلك التأثير السلبي حدًا كبيراً، ولم يتحرر بعضهم منه حتى الآن.

بعد انقلاب 12 أيلول سنة 1980، وبعشرات الآلاف، تم اعتقال الكرد من قبل الدولة التركية، وتم الزج بهم لسنوات طويلة في المعتقلات، وتوزيعهم على مختلف السجون، وكان الهدف من ذلك تحطيمهم وتدميرهم تماماً

في المعتقلات حدثت الكثير من الإضرابات والعصيان، والكثير أحرق نفسه، وبهذا الإحراق للنفس أو الجسد كان يتم التعبير عن الاحتجاج. وكانت إحدى تلك المحاولات من صاحب هذا الكتاب نفسه، المدعو إبراهيم غوروز

إبراهيم غوروز، مع رفاقه، قضى في السجن عشرات السنوات، خمسة عشر سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، وهو كباقي رفاقه تعرض لأذى كبير، وخرج بشموخه من ذلك السجن.

وحينها قرر أن يكتب مذكراته من أجل أن يقرأها العالم، ومن أجل أن يعلموا ماذا كان يحدث خلف تلك السجون والمعتقلات.

كان لا بد أن يعلم العالم ماذا كان يحدث بحق هؤلاء المساجين الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل القضية.

عندما تلقفت الكتاب ورأينا بعضنا، شعرت ببهجة كبيرة لأنه أقدم على هذا الفعل الشجاع، بالرغم من تلك الضغوطات وذلك الظلم الذي بات جزءاً من حياته، وقدمها على هيئة كتاب للقراء.

رغم أن لعشرات السنوات، وعشرات الآلاف من الكرد دخلوا في ذلك المهجع ولاقوا الكثير من الأهوال والضرب، فإن إبراهيم بكل تأكيد لم يكتب لأنه أراد أن يبرز نفسه، بل لأنه أراد أن يبرز هذه الحقبة ويضعها أمام حكم القراء، وبلا شك فهذه شجاعة منه، ويجب على المرء أن يقول ذلك في هذا الصدد.

وهذا الكتاب، وبمناسبة شهادة توفيق حول تلك الحقبة، تحدث إبراهيم فيه عن هذا السجن، وشيئاً فشيئاً بدأ يدخل في التفاصيل والأهوال التي لاقاها الرفاق. وفي هذا الكتاب يمكن فهم تلك الأشياء من باب أنها توثيق لمرحلة كاملة، كان يتحدث عن طريقة مقاومة المعتقلين داخل تلك المعتقلات، وكذلك يبرز تعدد أساليب النضال داخل ذلك السجن. يتحدث عن المعتقلين والحياة الداخلية فيها بهذا الشكل

وفي هذا الصدد، فالكتاب لا يتحدث فقط عن التعذيب ولا يصفه فحسب، إنما يتحدث عن حياة كاملة ويضعها نصب العين بهذا الشكل يمكننا أن نقيم هذا الكتاب على أنه كتاب ثمين، ومن الجيد أن القراء يتلقفونه، ومن الجيد أيضاً أن تتم ترجمته إلى الكوردية

وأتمنى أن يصل إلى عدد كبير من القراء الذين يودون التنقيب
عن الحقيقة ليتعلموا شيئاً من تلك الحقبة
وفي النهاية، أتمنى لصديقي العزيز إبراهيم التوفيق.

علي رضا جزيجي

“الحمام غادرت أعشاشها في سجن آمد”

اليوم أريد أن أتحدث عن كتاب رفيقي وصديقي إبراهيم كوروز
المعنون: “الحمام غادرت أعشاشها في سجن ديار بكر”. كنت
قد أجلت الكتابة لوهلة كوني كنت مريضاً، لكنني عدت وقررت
الكتابة

لقد عشت مع صديقي كل تلك اللحظات، لذلك أريد، باختصار
وإيجاز، التحدث عن بعض مضامين الكتاب. إن تأثير سجن آمد
والأحداث التي حدثت هناك يكشف عن كنز هائل من الأسرار،
والكثير لا يعلم ما جرى هناك بدقة

إن الرغبة في الإسهاب والقول الكثير هي مرادفة لشعور داخلي
قوي يود الحديث بلا توقف عن ظروف الظلم والقهر التي لقيها
المعتقلون هناك. فالأشياء التي تُقال لم تكن واضحة تماماً،
ويمكن للمرء أن يقول إن من لم يعايش تلك الحقبة بنفسه يبقى
غير مدرك تماماً لفداحة تلك الأهوال

ورغم ذلك، ورغم مواقف الذين من حولنا، ولكي يتعرف الناس ويجيدوا كتابة التاريخ، فإنهم يقعون أحياناً في خطر الخطأ في النقل وتسجيل ما حدث كتاريخ. كما أن مواقف التنظيمات ومواقف بعض الأشخاص كثيراً ما تقوم بتحويل الحقيقة كما تشتهي وتهوى تنظيماتهم، أما المواقف النابعة عن الكرامة والصدق والشفافية والوفاء، فهي مواقف فردية، والأشياء التي يمكن أن تتجسد أمام الأعين.

إن كتاب إبراهيم غوروز هو نتاج متعدد الملامح، وبرأيي فإنه يجسد سعي الرفاق من مختلف الأحزاب للتحرر، وكذلك يكشف عن الأخطاء والهفوات، وهذه خصلة محمودة في الكتاب

فهذه ليست وثيقة قبول بالواقع أو ذوبان فيه، إنما هي وثيقة حياة مشتركة ومحاولة لبناء خط مقاومة ضد الهمجية

هناك كثير من الخصال النابعة من النقاء ومشاعر الأشخاص الذين عاشوا تلك الحقبة، وهناك وصف شفاف لمعاناتهم في هذا الكتاب. وبلا شك فإن هذا السؤال يجعلنا نتحدث عن سبب بقاء ذلك النقاء وتلك الثقة محصورين ضمن المواقف الفردية، وكيف يمكن لهما أن يخرجنا إلى الآخرين، وعلى المستوى التنظيمي، فإننا أمام رغبة ضرورية في المحاسبة الذاتية. وأنا سعيد بوجود أشخاص واعين وشفافين وينتبهون كثيراً إلى الصفاء الذي بداخلهم

والشيء الجيد أن ما حدث لم يختفِ من الأذهان، وأن هذا الكتاب يقف بمثابة موقف في وجه سلسلة من الأكاذيب التي تُحاك هنا وهناك، لقد عبرت بموقفك عن أولئك الذين جعلوا

الحمامة تغادر عشها، وتحديثهم بهذا الكتاب، وهذا عمل ليس بالسهل.

أبارك لك شعورك وكدحك وعملك، وأحيي أولئك الذين، في يوم من الأيام، عانقت صدورهم اليم بقلب ممتلئ وبحب دافئ، لأنهم قاوموا في وجه العاصفة ولم يتركوا أنفسهم تنجرف مع تلك الأمواج

لقد تلاقت دروبي في هذا الطريق مع صديقي إبراهيم كروز، الذي شاركني سنوات السجن والمعاناة. وقد وصلني منذ أيام كتابه «في سجن آمد غادرت الحمام أعشاشها»، فقرأته بعناية واهتمام.

في البداية، أبارك للرفيق إبراهيم غوروز هذا العمل القيم، الذي جاء ثمرة كدح طويل وجهد يستحق كل التثمين. وأشعر بفرح حقيقي لأن هذا الكتاب بات بين أيدي القراء.

يقع الكتاب في 270 صفحة، وقد صدرت طبعته الكردية عن منشورات دار دوز. ومن أجل أن يطلع القراء عليه بأنفسهم، لا أريد هنا الخوض في تفاصيل مضمونه. وأنا على يقين بأن كل من قرأ هذا العمل أدرك عمق ما يحمله من معانٍ وتجارب، وأنه لا بد أن يثير في نفس القارئ أسئلة كثيرة، وربما يجد بين صفحاته بعض الإجابات.

قبل طباعة الكتاب، راسلني الرفيق إبراهيم واقترح أن يصدر العمل باسمينا معاً. وقد رأيت في ذلك وفاءً لرفاقتنا، وتعبيراً صادقاً عن الاحترام والتقدير. لكنه في النهاية يبقى حصيلة

تجربته الشخصية وكفاحه الفردي، ولذلك لم أقبل أن أكون شريكاً في هذا الجهد الذي يعود إليه بالكامل. ومع ذلك، فإنني أشكره بصدق على هذه المبادرة النبيلة

إن هذا العمل مبارك وذو قيمة كبيرة، وأراه ينضم إلى فئة النفائس في المكتبة الإنسانية. ومن هنا أبعث إلى صديقي العزيز إبراهيم غوروز محبتي وتقديري، وأتمنى له دوام العز والتألق

يُعدّ هذا الكتاب وثيقةً في مواجهة الزيف والكذب والتشاؤم، في حقبة ظهرت فيها الإيديولوجيات كأنها انفجار ثقيل، تزامن مع صعود التنظيمات الفاشية إلى الحكم. آنذاك كانت الصراعات الإيديولوجية بين الأحزاب قد بلغت ذروتها، وكانت التنظيمات السياسية تعيش حالة اقتتال وانقسام فيما بينها

هذا الكتاب يعرّي الوقائع ويكشف الحقائق أمام الأعين دون مواربة، ويعبّر بصدق عن مواقف الإنسان وتجاربه المؤلمة، كما يمتاز بأسلوب واضح في تناول جدلية التناقضات بين البشر، سواء كانوا سجانين أم مسجونين. ولذلك فهو عمل ذو قيمة كبيرة، لأنه بمثابة شهادة حيّة على مرحلة تاريخية شديدة القسوة.

وعندما نتحدث عن مسؤوليتنا أمام الإنسانية، فإن ذلك يفرض علينا أن نخرج من عبادة الإيديولوجيا والتحزب الضيق، وأن نتعامل مع الفكرة بروح قومية وأبعاد استراتيجية وإنسانية. ومن أجل ذلك، يصبح توحيد الجهود ضرورة لا خياراً

لقد جاء هذا الكتاب خاليًا من البروباغندا والشعارات الجوفاء، وكان بمثابة ردّ فعل أخلاقي وإنساني على ما جرى في سجن آمد رقم خمسة، وعلى الممارسات التي ارتكبت بحق جميع المعتقلين، على اختلاف تنظيماتهم وانتماءاتهم الحزبية. كما أن جميع الأحزاب والتنظيمات الكردية خارج أسوار السجن كانت تتحمل، بدرجات متفاوتة، مسؤولية ما آلت إليه أوضاعها واعتقال كوادرها.

وحين نقرأ «في سجن آمد غادرت الحمامم أعشاشها»، نرى بين تلك الحمامم صورة عصيان إبراهيم في مواجهة الظلم والغبن. وإبراهيم، كما يُقال في المثل الشعبي الكردي، «ألغى كثيرًا من الفحولة الزائفة»، إذ استطاع بصدق أن يترجم ما في دواخلنا وما عجز كثيرون عن قوله، ومن أجل أن نضيء مستقبلنا، علينا أن نفهم شروط المرحلة، وأن نمارس مبدأ المحاسبة بضمير حي ووجدان صادق. فإذا كان هدفنا الأساسي هو نقل تجربتنا إلى الأجيال اللاحقة كي تتعلّم منها وتتّعظ، وإذا أردنا لهذا العمل أن يكون وثيقة تاريخية ونضالية وإنسانية، فلا بد أن نقترّب من الحقيقة بمسؤولية، وأن نعمل وفق هذه المسؤولية بصدق وشجاعة.

نحن مضطرون إلى خوض كفاحنا ومسيرتنا تجاه مجتمعنا بلغة شفافة ومفتوحة، دون مواربة أو تزييف، وبعيدًا عن المزايدات أو بثّ التشاؤم والإحباط أو الاستعراض اللفظي. المطلوب هو خطاب صادق، واضح، يقترب من الناس ويواجه الحقائق كما هي، ينبغي الاقتراب من المجتمع ومصارحته بما جرى في تلك الحقة، وبالأخطاء السلوكية والانحرافات التي رافقت التجربة،

وكذلك بما استخلصناه من تجربة السجن والعمل النضالي. فهذه التجربة، بما فيها ما حدث في سجن آمد (سجن رقم خمسة)، ليست حدثاً عابراً، بل ملفّ تاريخي ما زال يُستعاد ويُناقش عبر عشرات الكتب والوثائق والأعمال الفنية

ويُصنّف سجن رقم خمسة ضمن أسوأ السجون في العالم، حيث ارتبط باسمه التعذيب الوحشي والانتهاكات القاسية. وكان معتقل آمد مركزاً لهذه الممارسات التي هدفت إلى كسر إرادة المعتقلين وإخماد أي فعل نضالي، خصوصاً ضد الحركة التحريرية الكردية، وفي سياق أوسع من سياسات القمع التي استهدفت أيضاً قوى سياسية أخرى تحت شعارات مثل مكافحة الشيوعية، بعد انقلاب 12 أيلول 1980، ومع جذور تمتد إلى منتصف السبعينيات، تزايدت حملات القمع عبر معسكرات وتشكيلات أمنية وعسكرية مختلفة. وخلال تلك المرحلة، نُقل المعتقلون السياسيون الأكراد بين عدة مدن وسجون، ثم جرى تجميعهم في سجن آمد، حيث واجهوا ظروفاً قاسية للغاية في تلك البيئة، كان كل معتقل وكل تنظيم يحمل تجربته الخاصة في مواجهة الموت والخيانة والقمع. داخل الزنازين الانفرادية والمهاجع، تشكلت ردود فعل مختلفة، لكن الغالب كان روح التحدي والصمود، ومحاولة الحفاظ على الحد الأدنى من الفعل السياسي والفكري، رغم غياب التجربة والخبرة في إدارة هذا النوع من المواجهة

لكن من الضروري الإقرار بأن تلك المرحلة كانت تفتقر إلى النضج الكافي في بعض الجوانب. كان هناك حماس شبابي

ورعونة في التعامل مع الحدث أحياناً، وغياب لرؤية استراتيجية واضحة لكيفية تطوير الخطاب السياسي وتوسيع تأثيره خارج السجن. هذا النقص انعكس على المسار العام وأثر في مسار التجربة النضالية، رغم ما حملته من توضيحات وصمود، في خضم الثورات، كنّا في كثير من الأحيان نواجه الموت والغدر معاً. ولذلك كان الخوف إحدى سمات تلك المرحلة؛ خوفٌ ممزوج بعدم اليقين، وبالخشية من أن يتراجع الإنسان عن إيمانه بتنظيمه أو بالطريق الذي اختاره وسار فيه وفي كل مرحلة من مراحل الثورة، كان الإدراك والوعي يمثلان مهمة تاريخية، لأن نقل راية النضال من يد إلى يد، ومن جيل إلى جيل، يُعدّ مكسباً معنوياً وتاريخياً لأي حركة أو تنظيم وفي المقاومة التي شهدناها سجن آمد، وأمام وحشية الدولة وأساليبها القمعية، لم ينحن المعتقلون أمام صنوف الإذلال والتعذيب. والذين ما زالوا واقفين حتى اليوم، ويحملون تلك الذاكرة في أرواحهم، يستحقون التحية، لأنهم ما زالوا يستحضرون أرواح الذين ضاعوا في زحمة ذلك السجن القاسي، ويواصلون حمل تلك التجربة الثقيلة بكل ما فيها من ألم وخسارات.

وبعد ما تعرّضت له الحركة من نكسات، بقي في الساحة القومية والاجتماعية أشخاص تقاسموا معنا الأعباء، وتجاوزوا الحسابات التنظيمية الكلاسيكية الضيقة، ورفضوا أن تتحول الشعارات إلى مجرد كلمات محفوظة تُردّد بلا وعي أو مسؤولية.

لقد أثبتت التجربة أن غياب التنظيم السليم لم يحقق نجاحاً في مواجهة الفاشية، كما أن مواجهة الفاشية التركية بعقلية حزبية وإيديولوجية ضيقة لم تكن كافية. كنا نفتقر إلى البناء الصحيح، وإلى القدرة على خلق مناخ قومي ناضج وواسع الأفق، ولهذا نجد أن كثيراً من الكوادر الذين كانوا يوماً جزءاً من تنظيمات حزبية، باتوا اليوم يواصلون نضالهم خارج تلك الأطر التنظيمية. وهذا الواقع جعل المسيرة النضالية تواجه صعوبات كبيرة، سواء على المستوى السياسي أو الفكري

كما أن كثيرين لم يستطيعوا ذهنياً الخروج من قوقعة الماضي، وما زالوا يبحثون عن التجديد دون أن يمتلكوا الجرأة الكافية لمراجعة التجربة بعمق. والحقيقة أن تجاوز الماضي لا يعني إنكار التضحيات، بل يعني فهم الأخطاء وعدم تكرارها.

إن كثيراً من الأحداث التي جرى الحديث عنها، أو التي رويت لاحقاً، ابتعدت عن الحقيقة والوصف الدقيق للواقع. وبعض المواقف الخاطئة، بقصد أو دون قصد، خدمت السياسات التركية، وما تزال الأخطاء نفسها تتكرر حتى اليوم بأشكال مختلفة ولذلك فإن المسؤولية التاريخية والأخلاقية تفرض علينا أن نقرأ تجربتنا بصدق، وأن نواجه أنفسنا قبل أن نواجه الآخرين، لقد تعلمنا، في خضم الحياة ومواجهة سياسات القمع والإنكار، أن نناضل عبر مؤسساتنا وهيكلنا المختلفة، بمعزل عن الانتماء الضيق لأي خلية أو حزب أو تنظيم. فقد أراد العدو أن ينهي الشعب الكردي من خلال استهدافنا نحن، وأن يجعل من استسلام الفرد الكردي رمزاً لاستسلام شعب بأكمله

ومن هذا المنطلق، سعت الدولة التركية إلى تفرغ نضالنا من مضمونه، وإلى طمس الخط القومي والاستراتيجي الذي شكّل جوهر وجودنا السياسي. أما تمايزنا السياسي أو لونا الإيديولوجي، فلم يكن في نظرها سوى ذريعة إضافية لمعاقبنا، لأن جريمتنا الأساسية كانت أننا طالبنا بحقوقنا ودافعنا عنها، وكنا نعلم جيداً أن الفلسفة العميقة التي حكمت العقلية الرسمية التركية تجاه الكورد، تقوم على فكرة أن “الكوردي الجيد هو الكوردي الميت”. هذه الذهنية لم تكن مجرد شعار، بل انعكست في السياسات والممارسات اليومية، سواء داخل المعتقلات أو خارجها. ففي الأقبية والسجون، كما في الحياة العامة، مارست الدولة التركية السياسة ذاتها: القمع، والتخويف، والتكميم، ومحاولة كسر الإرادة الكوردية بكل الوسائل.

ولا أريد هنا الدخول في تفاصيل موسعة حول هذا الملف، لكن من واجبي، أمام هذه الحقيقة، أن أتحدث بشفافية، وأن أوضح طبيعة الأفكار والمواقف التي كانت تحكم المجموعات المناضلة آنذاك، ففي بعض الأحيان، ولأسباب اجتماعية أو نفسية، كان بعض الأشخاص يُستثمرون كأدوات داخل الصراعات القائمة، وكان يُنظر إليهم بوصفهم ضعفاء أو حتى خونة، فيقصّون عن دوائر القرار. هذه البيئة المشبعة بالفاشية والعنف خلقت انعداماً عميقاً للثقة، ورسّخت الشك والتباعد بين الأفراد أنفسهم، ورغم كثرة الكتب والمقالات والوثائق التي كُتبت عن سجن رقم خمسة في آمد، فإن كثيراً منها لم يقترب من جوهر الحقيقة كما ينبغي، بل بقي أسير البروباغندا الحزبية

والحسابات الإيديولوجية الضيقة. وكان الأجدر أن يُتناول ما جرى هناك بوصفه مأساة إنسانية وتاريخية، بعيداً عن التوظيف السياسي والتنظيمي.

إن غياب اليقين الاجتماعي، وضعف الوعي، وقلة المعلومات الدقيقة، كلها عوامل ساهمت في استمرار التعتيم على حقيقة ما جرى داخل معتقل آمد. كما أننا، بصراحة، لم نقم بما يكفي تجاه هذه القضية، ولم نستطع بناء فكر قومي استراتيجي قادر على مواجهة استراتيجية الدولة التركية في قمع الشعب الكوردي وإنكار وجوده، لقد كنا نعرف جيداً حجم المأساة والانتهاكات التي ارتكبت بحقنا، لكننا، وللأسف، لم ننجح دائماً في تعرية تلك الممارسات وكشفها كما يجب. كما أن المبالغات الحزبية والاستطرادات التنظيمية خلقت تناقضات داخلية أضعفت المشهد النضالي، وجعلته يبدو هشاً أمام الحاجة إلى فكر قومي حر، أكثر وعياً واستقلالاً ونضجاً

للأسف، ما تزال النظرة الإيديولوجية تحكم كثيراً من مواقفنا، وما زلنا نعين القضايا بمنطق الاختلاف الحزبي والإيديولوجي، الأمر الذي جعل بعض مواقفنا تتخذ طابعاً غير متحرر، وأحياناً أقرب إلى الحالة المرضية منها إلى الرؤية الوطنية الشاملة.

ولهذا، فإن مواجهة الفاشية لا يمكن أن تتم إلا بفكر قومي جامع، يتجاوز الانقسامات الضيقة، ويضع القضية القومية فوق الاعتبارات التنظيمية والحسابات الحزبية. لكننا، حتى اليوم، ما زلنا أسرى البروباغندا التنظيمية، وما زال بعض أفراد الأحزاب والتنظيمات يتحدثون بعقلية: “نحن من قاوم أكثر، وغيرنا لم

يقاوم"، بدل البحث عن خيارات سليمة وأساليب جديدة تعزز الصمود الجماعي، وبدل أن نطوّر رؤى حديثة وأدوات أكثر مرونة وفاعلية، ما زلنا في كثير من الأحيان نعيش بعقلية الماضي، وكأن الزمن توقف قبل نصف قرن، تحت أنقاض السياسات القديمة وخطاباتها المستهلكة. وهذا بحد ذاته شكل من أشكال الهزيمة والانحدار الفكري

وباختصار، فإن كل فرد، وكل مهجع، وكل مجموعة داخل تلك التجربة، يمتلك تاريخاً وتجربة خاصة. لكن النقطة المشتركة بين جميع تلك التجارب كانت الصمود، وما تركه ذلك الصمود من أثر في الوعي والشارع الكردي. فكل كردي يدافع عن قضيته في وجه القمع كان يُنظر إليه بوصفه عدواً، ومن هنا، فإن الضرورة تفرض علينا توحيد طاقاتنا وغضبنا ضمن هدف واضح ومشترك، بعيداً عن التنافس التنظيمي العقيم. كما ينبغي ألا ننسى معتقلي سجن آمد، لأن ما جرى هناك يمثل صفحة سوداء ومؤلمة في تاريخ الكرد، ويجب أن يُقرأ بعمق ومسؤولية.

كما أن المقاومة لا يمكن أن تبقى أسيرة الأساليب القديمة، بل يجب أن تتجدد بأدوات مرنة واحتوائية، قادرة على مواجهة مشاريع الإقصاء والتصفية. ولهذا، كان يفترض بالكتاب القومي أن يكتب بحياد ومسؤولية، وأن يكون هدفه، سواء في الكتابة أو في الممارسة، فضح همجية القمع وكشف سياسات السلطة، لا إعادة إنتاج الانقسامات الضيقة، إن كثيراً مما كُتب وقيل حتى الآن، سواء عبر الكتب أو الوثائق أو الأفلام، بقي محكوماً بالنفس الإيديولوجي ذاته، ولم يتشكل بعد خطاب قومي

معتدل ومتوازن يكشف حقيقة ما جرى في سجن آمد، أو يقدم قراءة عميقة لمرحلة ما بعد انقلاب 12 أيلول 1980

وكان الأجدر أن يجري التركيز على خطط السلطة وسياساتها وأدواتها في مواجهة الحركة القومية الكردية، بدل أن تتحول تلك التضحيات إلى مساحة لتقديم الأجندات الحزبية الضيقة على حساب الحقيقة والتجربة الجماعية.

ومن أجل أن يفهم المرء حقبة السجن، لا بد أن يستقرأ الحالة السياسية في تلك اللحظة، وأن تدرك الحقائق السياسية والواقع السياسي معاً. فعندما تُفصل الحادثة عن الحقيقة، لا يمكن فهم، كان لا بد من تجميع الصفوف حول ما جرى على نحو صحيح هدف واحد، وكان ينبغي أن يقوم نضالنا على قاعدة من الإدراك العميق. لذلك، لا بد من التمتع بالشفافية والموضوعية، وألا يُكتب التاريخ بناءً على ردود الأفعال أو التنازعات الإيديولوجية

وبسبب ما جرى في سجن رقم خمسة، سجن آمد، وكذلك مرحلة الإجماع وانتزاع الاعترافات من المعتقلين، فإن جميع التنظيمات السياسية ناضلت، بشكل أو بآخر، ولو بصورة فردية، وباختصار، فإن حقيقة ما حدث في سجن آمد أن كل من كان قابلاً في ذلك السجن، سواء كان كردياً أم تركياً، تعرض بدرجة ما للإذعان والضعف. وفي النهاية، يبقى كل فرد مسؤولاً عما قام به بعد ذلك الاستجواب المركز

ومع ذلك، فإنني أؤمن هذا العمل، وأشكر رفيقي إبراهيم غوروز. وهدفني الأساسي، الذي أراه عميقاً وبعيداً، ويتعلق بالاستراتيجية القومية الكردستانية، هو أن نعطي الجيل القادم

دروساً وعبراً من حقبتنا، طريق الشموخ هو أن نقف معاً في مواجهة نظام الاحتلال، كما فعلنا في 5 أيلول 1983 و3 كانون الثاني 1984، حين وقفنا بصوت واحد من أجل إعلاء راية المقاومة.

"عندما نحن بصمت معاً نكبر ونتقدم. لوهلة نشعر أننا جئنا إلى منتصف الدنيا، ولوهلة أخرى تصطدم بنا مئات الأمواج، لكن الضغط ذاته كان يرفعنا أحياناً. بعض تجاربنا يمنحنا النشوة، وبعضها الآخر يمنحنا الضعف. أما الشعور الذي لا يبعث السلام الهادئ، فإنه يترك خلخلةً في دواخلنا، نشعر بها وترافقتنا، لكنها في الوقت نفسه تنقينا وتجعل عالمنا الملون أكثر تلوناً"

"غوته "

أما حول كتاب أخي إبراهيم غوروز، فقد قرأت كتابه المعنون «في سجن ديار بكر غادرت الحمانم أعشاشها»، وأبارك له جهده ومشاعره الصادقة، وأدعو له بالسلامة ودوام العافية

نعم، لقد مرّ كثير من أقربائنا وذوينا ورفاقنا بتجربة ذلك الجحيم، وقد قرأت هنا شيئاً من تجاربهم، كما قرأت عدة كتب تناولت تلك المرحلة القاسية. لكن حين قرأت هذا الكتاب، أدركت مجدداً مدى فداحة الإجرام الذي ارتكبهته الدولة التركية بحق الثوار الكورد.

لقد كتب أخي إبراهيم بكل شفافية وصدق، ولم يتردد أيضاً في الحديث عن غطرسة حزب العمال الكوردستاني، معبراً عن ذلك

بوضوح وجراحة. وهذا ما يمنح الكتاب قيمته الحقيقية، لأنه لا
يكتفي بسرد الألم، بل يحاول الاقتراب من الحقيقة دون مواربة
وأنا على يقين بأن لهذا الكتاب شأنًا مهمًا، وأنه سيكون بمثابة
شهادة توثيقية على تلك الحقبة بكل ما حملته من مآسٍ
وتناقضات وتجارب إنسانية قاسية

أشرك مجددًا، وأبعث لك سلامي الثوري المقاوم

(تمت)

ريبر هبون في سطور:

-هو ريبر عادل أحمد

-من مواليد منبج – سوريا 1987

-درس اللغة العربية في جامعة حلب

-يقيم منذ عام 2015 في ألمانيا ويحمل جنسيتها

-يكتب باللغتين الكردية والعربية

-مؤسس تجمع المعرفيين الأحرار

-المؤلفات المطبوعة

- في الشعر:

ديوان صرخات الضوء باللغة العربية عام 2016

جوقات كوردستانية 2019 مشترك مع الشاعرة بنار كوباني

ديوان

بالكردية 2020 Qêrînên roniyê

شدو الكرزات 2023

ديوان

بالكردية 2025 Destana min

-في النشر الأدبي:

أطيف ورؤى – نصوص ودراسات 2017
كتاب

بالكردية 2021 Rewrewkên xwînî

أطيف تلتهم نفسها – نصوص 2023 -

- في القصة:

اعترافات ثملة – 2023-

- في الرواية:

الزلال - 2023

: في النقد الأدبي

فك المرموز في روايات حليم يوسف - دراسة نقدية 2020 -

كيف تصبح كاتباً حقيقياً- دراسات نقدية – 2023 -

مفاتيح الكتابة المؤثرة من منظور فلسفة الحب وجود -

والوجود معرفة 2023

قيامه الإبداع من منظور فلسفة الحب وجود والوجود معرفة -

2023

إكتب بعمق من منظور فلسفة الحب وجود والوجود معرفة -
2023

أين هو الكاتب الحقيقي من منظور فلسفة الحب وجود -
والوجود معرفة 2023

- في الفكر:

الحب وجود والوجود معرفة – فكر 2021-

نقد السياسة الكوردية – غربي كوردستان أولاً 2025
كتاب-

بالكردية – Evîn hebûn e û hebûn zanîn e

2024

- كتب الكترونية

وطن وامرأة

أصداء الخيبة

صرخات الضوء

دلالات ما وراء النص في عوالم محمود الوهب -

أطياف

أهازيج قلم من نار

إعداد كتب:

- معرفة ومعرفة - حوارات -
- أفكار صاحبة - مناظرات -
- قراءة للمشهد السياسي في غربي كردستان -
- عقرب مقاومة العصر -
- بارين أيقونة الزيتون -
- التطرف -

ترجمة ديوان شعري Evîn kernevalekî xwedayî ye -
لإسماعيل أحمد الحب كرنفال إلهي

مؤلفات عنه:

- حوارات مع روبر هبون - مجموعة مؤلفين
- ماذا في كتابات روبر هبون- مجموعة مؤلفين

- في الجرائد والصحف

عمل على تحرير صحيفة الحب وجود والوجود معرفة -

له العديد من المقالات والدراسات المنشورة في مختلف -
الدوريات والصحف الالكترونية كالحوار المتمدن ، مركز النور،
صحيفة الفكر وصحيفة المثقف والفيصل ونواكشوط - الليبي -
المدائن بوست، القلم الجديد، مجلة لوتس وصوت كردستان

- في الأنشطة الأدبية والفكرية المختلفة:

- شارك في الملتقى الأدبي الثالث لشعراء مدينة منبج 2008 -
- أقام العديد من الندوات والأمسيات الأدبية في منبج وحلب -
- كنادي التمثيل العربي واتحاد الكتاب العرب
- وكذلك في ألمانيا شارك في العديد من المتلقيات الأدبية وله -
- العديد من المقابلات الإذاعية والتلفزيونية الكردية-
- عضو في اللجنة الإدارية سابقاً لاتحاد مثقفي عربي -
- HRRK كوردستان
- قدم برنامج معارفات و معارفون باللغتين الكردية والعربية -
- مؤسس منتدى دوسلدورف الثقافي -
- عضو في الاتحاد العالمي للمثقفين العرب -
- عضو في الاتحاد العام للصحفيين والكتاب الكورد -
- مسؤول الإعلام في مركز الجالية الكوردستانية – دوسلدورف

about.me/reber.hebun

الفهرس:

4	مقدمة المترجم – ريبير هيون
10	مقدمة النسخة الكوردية من الكتاب- شفيق جولاق
14	لماذا معتقل رقم 5 في ديار بكر –أمد؟
16	لماذا أمد على وجه الخصوص؟
17	كيف اعتقلنا في 12 أيلول
19	من تواجد في معتقل رقم 5
30	وضعنا قبل بداية التعذيب الشديد في السجن رقم 5
36	متى بدأوا بالتعذيب؟
46	مرحلة التخويف والاعتداء
139	أثر حوادث الخارج على الداخل
298	النزاع بين حزب العمال الكوردستاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني في شمال كوردستان
303	شهادات وآراء عن الكتاب
303	جلال يشار
305	محمد أمين طويسز
306	ديار بوداك
307	كنان هالاباي
308	جلال أفجي
310	رجب مرعش
317	سراج كرجي
328	اسماعيل بيشكجي
330	دوغان جران
332	MAB
337	مصطفى كلج
341	أسيا جبار
342	بوبي أسر
347	علي رضا جزيجي
361	ريبير هيون في سطور

في سجن ديار بكر (آمد)... غادرت الحمامم أعشاشها
إبراهيم غوروز
ترجمة: ريبر هبون
منشورات تجمع المعرفيين الأحرار

reber.hebun@gmail.com

رقم التسلسل:

103/24/06/2026

ISBN: 978-625-95383-7-2



تجمع المعرفيين الأحرار

رابط الدار:

<https://reberhebun.wordpress.com/>

<https://kulturforumdusseldorf.wordpress.com/>

موقع ريبر هبون

<https://zanyaran.wordpress.com/>

بلوغر:

<https://reberhebun.blogspot.com/>

هذا الكتاب يفتح باباً أسوداً في
سجن ديار بكر (أمد) سيء الصيت
، يرصد وجعاً لا ينفك عن معتقل
قضى في السجن أكثر من عقد
ونصف دفاعاً عن شعبه ووطنه
المنهوب كوردستان.

الكاتب إبراهيم غوروز يقر ما
بأعماقه من وجع وعذاب راصداً
قهر رفاقه ممن قاسمهم ذات
المصير المزمّل لأجل أجيال الغد
ولكل الأصوات الحرة الباحثة عن
حقيقة كفاح الشعب الكوردي
وصرخات معتقليه الذين لا تزال
أصداؤهم تهز أروقة المعتقلات في
شمال كوردستان و تركيا حتى
الآن.

حاولت نقل هذه الأوجاع بحرص
وتوءدة ، فنقل رسالة المناضل
أمانة لأبد من حملها لأجل أن تكون
بمثابة بوصلة للحرية المنشودة
والتي دفع الكثيرون لأجلها أثماناً
وقرابين.

ريبر هبون

